جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الحكمة في دعوة إبراهيم عليه السلام

إعداد

نجود فارس أحمد السردي

إشراف

الدكتور خضر سوندك

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الشريعة من كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين.

2010م

الحكمة في دعوة إبراهيم عليه السلام

إعداد

نجود فارس أحمد السردي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2010/2/18م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
-د. خضر سوندك (مشرفاً ورئيساً)	....
-د.عوده عبد الله (ممتحناً داخلياً)	....
-أ.د. حلمي عبد الهادي (ممتحناً خارجياً)	....

الإهداء

إلى روح المصطفى ﷺ ...

إلى ثرى وطني الماسيّ فلسطين، وإلى كل من كان لهذا الثرى نورا.

إلى معلمي الناس الخير في كل مكان وزمان، وإلى طلاب العلم أنّى كانوا.

إلى من تتجلّى رحمة الخالق في كفه أبي، وإلى التي جعلت من قلبها ملجئاً من ظلمات الحياة ومتاعبها أمي.

إلى من كنت لهم ابنة وكانوا لي أهلا مع أهلي.

إلى من طوّعوا الحياة لتكون أجمل، ولوّنوا بوجودهم العمر فأزهر، زوجي "محمد علي" وأولادي لؤي وجنى وعبد الرحمن.

إلى قرة عيني أخي أحمد أعاده الله سالماً معافاً في دينه وبدنه.

وإلى ثغر الدنيا الباسم أخواتي خلود ونجوان وهبه.

إلى من يقف الإنسان أمام كرمه ممتناً خجلاً.... أستاذي الفاضل الدكتور خضر سوندك.

وإلى صرحي العلم والمعرفة اللذين رعياني طيلة فترة تعليمي جامعتيّ القدس المفتوحة والنجاح الوطنية.

وإلى كل من علمني حرفاً... وإلى كل من مدّ لي يد العون ولو بالدعاء.

وإليك يا جدّتي أهدي ثمرة جهدي علّ الله ينفعني به وإياكم.

ابنتكم نجود السردي

الشكر والتقدير

بعد التوجه إلى الله تعالى بالحمد الجليل والثناء الجميل.

أتوجه إلى معلم البشرية سيدنا محمد ﷺ الذي أنار الله به القلوب والدروب، بسؤال الله أن يؤتيه الدرجة العالية الرفيعة، وأن يبعثه المقام المحمود، والحوض المورود، إن الله لا يخلف الميعاد.

أتقدم أيضا بخالص شكري وامتناني لصرح العلم الشامخ جامعة النجاح الوطنية التي أتاحت لي فرصة التقرب إلى الله تعالى بالعلم.

كما أوجّه شكري وامتناني لأساتذتي الأفاضل في كلية الشريعة الإسلامية الذين لم يبخلوا عليّ بالنصيحة العلمية.

وأخصّ بالشكر فضيلة الدكتور خضر سوندك الذي كان لي معيناً ومرشداً، والذي لم يدّخر جهداً في إخراج هذا البحث للنور كما ينبغي له، حسب الأصول العلمية.

وأستاذي الكريم الذي أمدني بيد العون سواءً بالنصيحة أو بإعارتي كتبه الخاصة، شعوراً منه بمسؤوليته المستمرة، التي ولاه الله إياها، تجاه طلابه، فضيلة الدكتور علي علّوش.

كما أوجه خالص امتناني وشكري لفضيلة الدكتور عودة عبد الله أستاذي، والممتحن الداخلي لهذه الأطروحة، وفضيلة الاستاذ الدكتور حلمي عبد الهادي، أستاذ الحديث في الجامعة العربية الأمريكية، الممتحن الخارجي.

إلى كل هؤلاء أتقدم بالشكر والدعاء بأن يجعلهم الله أهله وخاصته في الأرض، وأن يبقيهم مشاعل نورٍ يهتدي بها طلاب العلم في فلسطين وغيرها، وأن يجعل الله هذا العلم حجة لهم في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا سبباً في تثقيل موازينهم يوم القيامة إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الحكمة في دعوة إبراهيم عليه السلام

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: **اسم الطالب:**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

فهرست الموضوعات

الحكمة في دعوة إبراهيم عليه السلام

إعداد

نجود فارس أحمد السردي

إشراف

الدكتور خضر سوندك

الملخّص:

إن العقل لقاصر عن إدراك جليل الحكم والعبر التي حَكَمَت حياة رسول من أولي العزم من الرسل، وأَحْكَمَت أقواله وأفعاله حتى استحق ما استحق من محبة الله وخلته، وحتى أصبح محطّ اهتمام علماء العقيدة والتفسير والحديث والتاريخ، إلا أنه يمكننا استنباط بعض هذه العبر والحكم من حياته عليه السلام والتي تخص الداعية والمربي والمعلم على حدٍ سواء.

أولاً: اختلف علماء التاريخ في اسم والد سيدنا إبراهيم عليه السلام ومكان ولادته وبعض تفاصيل رحلاته وهجراته، وهذا الاختلاف لا يضيرنا كمسلمين لأنه لا يترتب على معرفته كبير علم، ولا على عدم معرفته كبير جهل، لأن الله تعالى لو أراد أن يطلعنا عليه لأطلعنا، والحكمة الأولى من القصص القرآني هي التقاط العبرة والعظة منها.

ثانياً: إن حياة إبراهيم عليه السلام كانت نسقا متكاملا من الابتلاءات العظيمة، والتي أبدى فيها الصبر والتصبّر والتوكل والرضا بقضاء الله تعالى دون جزع أو تردد.

ثالثاً: اتبع إبراهيم عليه السلام جميع الأساليب الممكنة في توصيل دعوته إلى قومه، فمن المواجهة الفردية والجماعية إلى إقامة الحجة بالبرهان والحوار والتورية.

رابعاً: لقد غير إبراهيم عليه السلام المنكر بيديه حين كسّر الأصنام، وبلسانه طوال مدة بعثته، ولم يكن أبداً ممن يغير المنكر بقلبه؛ لأنه لم يكن ضعيف الإيمان مطلقاً.

خامساً: رفع إبراهيم عليه السلام قواعد البيت الحرام قبلة المسلمين التي رضيها رسول الله محمد ﷺ بعد أن توجه في صلاته إلى المسجد الأقصى عدداً من السنين. ثم توجّه بعد ذلك بأربعين عاماً إلى رفع قواعد المسجد الأقصى المبارك، قبلة المسلمين الأولى، ومسجدهم الثاني.

سادساً: وجوه التشابه بين أبي الأنبياء عليه السلام وخاتمهم ﷺ كثيرة جداً فمن الشبه الخَلقي إلى التشابه في الصفات الخُلُقية، وفي الدعاء، وفي محبة الله والناس، والمكانة في الدنيا والآخرة.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وجعله للمؤمنين سراجا منيرا، وأرسل لتبليغه أشرف خلقه، وصفوة عباده، وخاتم رسله، فبلغ وأدى، وصام وصلى، وحج واعتمر، وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، اللهم صلّ عليه صلاةً تُفتح بها أبواب خير موصدة، وصلّ عليه صلاةً توصد بها أبواب شرٍ مفتوحة، اللهم صلّ عليه عدد ما مشى فوق الأرض بشر، وعدد ما حطّ طير على الشجر، وشفّعه اللهم فينا، اللهم واقبل شفاعته عنا، وبارك لنا في عقولنا لنتمّ حفظ كتابك؛ علما وعملا، ونبلغ دعوتك، فننال بذلك الدرجات العلى من الجنة، أما بعد...

فإن حبيبنا المصطفى ﷺ مبلّغ هذه الرسالة الغرّاء كان خاتما للأنبياء والرسل من سلالة إسماعيل عليه السلام وهو دعوة أبي الأنبياء[1] وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام قال تعالى على لسانه عليه السلام **﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾** [2] وقد قال رسول الله ﷺ: **"إني عبد الله وخاتم النبيين وأبي منجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي آمنة التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته له نورا أضاءت لها قصور الشام..."** [3] ، وهو الرسول الذي ابتلاه الله تعالى بما لا يطيقه إنسان، وشدد عليه حتى استحق أن يكون في باقة أولي العزم من الرسل، فمن طغيان قومه، وطاغوت ملك زمانه، إلى كفر والده، وتكذيب أهل الأرض له، وأمْره بمفارقة ابنه الذي انتظره سنوات عديدة، ثم أمْره بذبحه ككبش يُضحى به[4] ورغم هذه الظروف الحالكة السواد فقد مضى عليه السلام

---

[1] الأميري، أحمد البراء، **فقه دعوة الأنبياء** ط1. دمشق: دار القلم. 1420هـ - 2000م. ص166.

[2] البقرة، 129

[3] الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله (405هـ) **المستدرك على الصحيحين** ط 1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ - 1990م. كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب، ح3566. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[4] بهجت، أحمد، **أنبياء الله** ط3. بيروت: دار الشروق. 1975م. ص94.

يبلغ رسـالة ربــه عــز وجــل، ويحــاور الطغــاة ويجــادلهم بالحجــة والبرهــان تــارة[1] وبالمقاطعة والاعتزال تــارة أخــرى[2] وبتحطــيم طــواغيتهم[3] والتوريــة عــن ذلــك تــارة ثالثة[4] حتى أتاه اليقين وهو على ما عاهد عليه اللهَ تعالى[5].

وأنا إذ أبحث في هذا الجهد المتواضع حياة هذا الرجــل العظــيم الــذي كــان أمــةً وحده أسأل الله العلي القدير أن يجمعنا وإياكم بــه فــي مســتقر رحمتــه، فإنــه ولــي ذلــك والقادر عليه، وأسأله أن يدخر لي ثواب جهدي المقــلّ إلــى يــوم تشــخص فيــه الأبصــار، وأن يبارك فيكم أساتذتنا الأفاضل، ويجزيكم خيــر الجــزاء عــن كــل لحظــة أوليــتم فيهــا اهتماما بنا وبمستقبلنا لنبقى نحن وأنتم على صلة وطيدة بكتــاب الله تعــالى وســنة نبيــه ﷺ وليظل العلم رحما بين طلابه ومعلميه.

فما كان في بحثــي هــذا مــن صــواب فمــن الله تعــالى، ثــم رضــا الوالــدين، وما كان فيــه مــن خطــأ أو ســهو أو نســيان فمــن ذنــوبي وقصــور جهــدي البشــري، ومن الشــيطان، أعاذنــا الله وإيــاكم منــه ومــن همزاتــه ولمزاتــه ووسوســاته، وحفــظ عيوننا وعيونكم مــن العمــى عــن الهــدى، وآذاننــا وآذانكــم مــن الصــمم عــن الحــق، وقلوبنا وقلوبكم مــن أن تمــور فيهتــز الإيمــان فيهــا، ووفقنــا إلــى مــا فيــه صــلاحها في الدنيا والآخرة.

---

[1] زين العابدين، محمد بن سرور بن نايف، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله** ط3. برمنجهام: دار الأرقم. 1408هـ - 988م. ج1. ص93.

[2] المرجع السابق. ص96.

[3] المرجع السابق. ص119.

[4] المرجع السابق. ص121.

[5] العارف، هشام فهمي، **سيرة إبراهيم الخليل في القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة**، ط1. بيروت: دار البشائر الإسلامية. 1417هـ - 1996م. ص30.

الدراسات السابقة:

لم أجد كثيراً من الكتب التي أفردت الحديث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام وإنما ذهب جلُّ هذه الكتب إن لم تكن كلها إلى ذكره مع مجموعة من الأنبياء ضمن قصصهم، مع وجود بعض الكتب المتخصصة، وهي كالآتي: -

*كتاب إبراهيم أبو الأنبياء، لعباس محمود العقاد، بدون معلومات الطباعة.

*كتاب النبي إبراهيم في الثقافة العربية الإسلامية، للدكتور تهامي العبدولي، طبعة دار المدى للثقافة بسوريا لسنة 2001م.

* وكتاب درب إبراهيم عليه السلام، لسعيد شبلي، طبعة دار علاء الدين بدمشق لسنة 2003م.

* وسيرة إبراهيم الخليل، لهشام العارف، طبعة دار البشائر الإسلامية الأولى ببيروت.

* وإبراهيم وأبناء عهده مع الله، للأستاذ الدكتور رينهارد لاوت، ترجمة الأستاذ الدكتور غانم هنا، طبعة خطوات للنشر والتوزيع بدمشق لسنة 2006م.

أسباب اختيار البحث:

بعد أعظم الأسباب وأرقاها وهو نيل رضوان الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ يأتي اختياري لاستنباط الحكم من هذه القصة لتكون أطروحتي في طريق العلم الذي لا ينتهي، لأكشف عن الطرق والأساليب التي اتبعها سيدنا إبراهيم عليه السلام لعرض دعوته ولأستنبط من حياة هذا الرسول الكريم عليه السلام العبر والحكم؛ لتكون نبراسا لي في إيصال ما حصلت عليه من العلم لطلبته، ودافعا قويا للمضي قدما في مواجهة الصعوبات التي تعترض طريق المؤمن مهما كان نوعها، ومعينا في تربية ثمرة قلبي تربية تكون سببا في نجاتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

مشكلة البحث:

من هو نبي الله إبراهيم عليه السلام وما هي صفاته ومتى نبأه الله تعالى وكيف حاور من حاور من أهل الأرض وإلام توصل وما هي ابتلاءاته؟ وما الحكمة من دعوته عليه السلام وما هي أوجه الشبه بينه وبين رسولنا ﷺ هذه الأسئلة وغيرها سأحاول الإجابة عنها من خلال صفحات هذا البحث أسأل الله أن يوفقني فيه وأن يثيبني عليه خير الجزاء.

منهج الباحثة:

لقد قمت باستخدام المنهج الاستقرائي في جمع النصوص الواردة في القرآن والسنة، والتي ذكرت دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام كما قمت بجمع ما استطعت الوصول إليه من أقوال العلماء فيما يخص مادة هذا البحث من أمّات[1] الكتب مستخدمة المنهج الوصفي، ثم قمت بالمقارنة بين الأقوال والترجيح بينها حسب المنهج العلمي التحليلي، أما خطوات تحقيق منهجي فتتَلَخّص بالنقاط الآتية: -

1. جمعت الآيات المتعلقة بدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام.
2. قمت بعزوّ الآيات إلى مواضعها في السور وتوثيقها بالهامش.
3. بينت معاني الألفاظ الغريبة من مظانّها.
4. رجعت إلى المصادر الأصيلة ما استطعت فإن لم أجدها أخذت عمّن نقل عنها.

---

[1] أمهات واحدتها أم وأصلها أمهة ولذلك جمعت على أمات باعتبار اللفظ وأمهات بإعتبار الأصل وقال بعضهم الأمهات للناس والأمّات للبهائم. أنظر: البعلي، محمد بن أبي الفتح الحنبلي أبو عبد الله (709هـ)، **المطلع على أبواب الفقه** بيروت: المكتب الإسلامي، 1401هـ 1981 م. ج1. ص317. وقال بعضهم: الأُمَّهات فيمن يعقل، و الأُمّات بغير هاء فيمن لا يعقل. أنظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر. ج12. ص29.

5. رجعت إلى كتب اللغة والتفسير والحديث والعقيدة، ولم أغفل الكتب المدونة على الصفحات الإلكترونية، والأقراص المدمجة.

صعوبات البحث:

تعددت صعوبات البحث كأي بحث يسعى طالب العلم فيه إلى بلوغ مرامه من رضا الله تعالى إلى الرضا عن الذات القاصرة المقصرة، وتقبل العلماء لبحثه مادة وموضوعا، ومستوى المعلومات التي يتوصل إليها، ومدى ما تقدمه هذه المعلومات له ولأمته الإسلامية، ومن الصعوبات التي يعاني منها معظم طلاب العلم في بلادنا أن مكتباتنا ينتابها بعضُ النقص في المراجع مما يضطرنا أحيانا للجوء إلى المراجع المدونة على الصفحات الإلكترونية والتي لا نستطيع دائما أن نجزم بالثقة في توثيقها، هذا بالإضافة إلى ضيق الوقت وقلة بركته، والالتزام بالعمل وهمومه ومتطلباته، إلى مثله وأضعافه في البيت، ومتابعة الأولاد ودراستهم وتحفيظهم، فسبحان القائل ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾[1] فلو بقيت كل منا في بيتها لما أنقض وزرُها ظهرَها، لكن العمل فوق أنه عبادة فهو سبب من أسباب تيسير العلم وتقريب المأمول، هذه الأعباء وغيرها كانت سببا في تقصيري في هذا البحث.

ورضي الله عن القاضي البيساني[2] الذي قال للعماد الأصفهاني[3]: **"إني ما رأيت أنه يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو**

---

[1] الأحزاب: 33

[2] هو القاضي الفاضل: هو عبد الرحيم بن علي بن حسن البيساني المتوفى سنة 596هـ وله ديوان لا يزال مخطوطا. أنظر: أبو بكر، أحمد ابن محمد بن عمر (851هـ): **طبقات الشافعية** ط1. بيروت: عالم الكتب. 1407هـ. ج2. ص30.

[3] العماد الأصفهاني: هو أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبو الفرج المتوفى سنة 597هـ وله كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) و(البرق الشامي) ومؤلفات كثيرة، وكان بينه وبين القاضي الفاضل مكاتبات ومحاورات لطاف، فمن ذلك ما يحكى عنه أنه لقيه يوما راكبا على فرس، فقال له: سر فلا كبا بك الفرس، فقال له الفاضل: دام علا العماد. وهذا مما يُقرأ مقلوبا وصحيحا سواء. أنظر: ابن خلكان، شم الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، أبو العباس، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لبنان: دار الثقافة، ج5 ص147.

زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولــو تُــرك هــذا لكــان أجمــل"[1] وإنهــا لميزة في كل بحث أنه لا يتم أبدا، فالحمد لله الذي يسر لي مــا يســر مــن أســباب الرضــا بقدره وقضائه، وكلي أما أن تتسع صدوركم فتقــوّم جهلنــا وأن لا يضــيق حلمكــم بزلاتنــا؛ فأنتم قدوتنا وإن كان لنا فخر في شيء بعد إسلامنا فهو أنكم أساتذتنا وشيوخنا.

[1] حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله الرومي الحنفي القسطنطيني (1076هـ): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ. ج1. ص17.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة ذكرت فيها مشكلته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة فيه، والصعوبات التي أعاقت حسن سبكه، وفيه ثلاثة فصول تحتوي على عدد من المباحث والمطالب، وخاتمة وفهارس، أما خطة البحث فهي كالآتي:

الفصل الأول: حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام الخاصة والعامة

المبحث الأول: نشأته وحياته.

المبحث الثاني: معبودات قومه:

المبحث الثالث: بعثته وصحفه.

المبحث الرابع: ابتلاءاته وصبره ونصره:

المبحث الخامس: منزلته عند الله تعالى.

الفصل الثاني: الحكمة التي ظهرت في دعوته عليه السلام.

المبحث الأول: مواجهته للتقليد.

المبحث الثاني: المواجهة الفردية والجماعية.

المبحث الثالث: الحجة بالتشكيك والاستدراج.

المبحث الرابع: المخالطة والاعتزال.

المبحث الخامس: الحوار في دعوته:

المبحث السادس: الحكمة في تحطيم الأصنام.

الفصل الثالث: علاقة أبي الأنبياء بخاتمهم:

المبحث الأول: التشابه بينهما في المكانة عند الله وعند الناس.

المبحث الثاني: التشابه في الصفات الخلقية.

المبحث الثالث: الدعاء والاستجابة.

الخاتمة.

الفصل الأول

حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام الخاصة والعامة

المبحث الأول: نشأته وحياته.

المبحث الثاني: معبودات قومه.

المبحث الثالث: بعثته وصحفه.

المبحث الرابع: ابتلاءاته ونصره.

المبحث الخامس: منزلته عند الله تعالى.

الفصل الأول

حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام الخاصة والعامة

المبحث الأول: نشأته وحياته.

لا بدّ للإنسان من قدوة يتأسّى بها ويستنير بهديها، ويستمدّ منها قوته لمواجهة مصاعب الحياة؛ وبما أن المسلم يتأثر بواقع حياة الرسل والأنبياء والصالحين ويقتدي بهم، فإنني سأتناول في هذا المبحث حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام قبل الرسالة، وطرفا من حياته بعد البعثة، وسيكون هذا من خلال المطالب الآتية إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

"إبراهيم" كلمة سريانية تعني أب رحيم، وفي العبرانية اسم مركب من كلمتين هما: أب أي أبٌ، وراهام أي جماعة أو جمهور أو عدد كثير كرهام بالعربية[1] وقيل أن إبراهيم اسم أعجمي غير معرب، وقيل: هو مشتق من البرهمة وهي شدة النظر وإدامته[2].

ويقال أيضا إن اسم إبراهيم من الأسماء التي تنبئ عن نشأة دينية لأنه على أرجح معانيه يفيد معنى (حبيب الله) لأن (رام) تعني المحبة بالسريانية، ولعل التغيير الذي حصل على اسم (إبرام) إنما استحدث ليفيد معنى (حبيب الله) بدلا من (حبيب الإله) الذي كان يعبده والده في معابد الوثنية[3]. قال ابن حجر: "وقيل أن المعنى بالسريانية أنه راحم"[4].

---

[1] الرُّهْم والرُّهام جماعة الرجل وبه سميت المرأة رُهْماً. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة رهم ج12. ص257. وانظر أيضا: الزاوي، طاهر أحمد، **ترتيب القاموس المحيط**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1979م، مادة رهم ج2. ص403.

[2] ابن منظور، **لسان العرب** مادة برهم ج12. ص48.

[3] العقاد، عباس محمود، **إبراهيم أبو الأنبياء** بدون معلومات الطباعة، ص294.

[4] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي (852هـ) **فتح الباري شرح صحيح البخاري** بيروت: دار المعرفة، 1379هـ ج6 ص389.

واختلف المؤرخون في اسم أبي إبراهيم عليه السلام أهو آزر أم تارح؟ ومنشأ هذا الاختلاف هو أن القرآن الكريم سماه آزر، وقد عرف عبر التاريخ بأن اسمه تارح أو تارخ. وفيما يلي أقوال بعض العلماء.

أولاً: ما قاله الإمام ابن جرير الطبري من أن الراجح عنده أن اسمه آزر ولعل له اسمان علمان أو أن أحدهما لقب والآخر علم؛ وهو على ذلك يرى أن كلمة آزر في قوله تعالى **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾**[1] تأتي مجرورةً بالفتحة لأنه اسم أعجمي ويعربُ بدلاً من أبيه، وقد ذكر أن هناك قراءات أخرى كقراءة الحسن البصري[2] وهي بالرفع على أنه منادى، وقراءة السديّ[3] بالنصب على أن المعنى أتتخذ أصناما، ونقل عنه قوله أن آزر اسم صنم وقد قال بعضهم إن آزر تعني المعوجّ في لغتهم وهي أشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام[4].

ثانياً: ما قاله الإمام القرطبي من أن اسمه آزر، وقد ذكر قول مجاهد أن آزر ليس اسم أبيه وإنما هو اسم صنم واسمه هو إبراهيم عليه السلام بن تارح بن ناخور بن ساروع.[5]

---

[1] الأنعام: 74

[2] هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، عظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. توفي بالبصرة سنة 110هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام** ج2 ص226.

[3] هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الاصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس توفي سنة 128هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام** ج1 ص317.

[4] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بيروت: دار الفكر، 1405هـ، ج7. ص243. بتصرف.

[5] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله (671هـ) **الجامع لأحكام القرآن** ط2 القاهرة: دار الشعب، 1372هـ، ج7. ص22.

ثالثاً: قول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى وترجيحه أن يكون لأبي إبراهيم اسمان أحدهما لقبا، وعلل قول مجاهد والسدّي من أن آزر اسم للصنم وقد غلب على اسم أبي إبراهيم عليه السلام لكثرة خدمته له[1].

رابعا: ما قاله الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى ورجح فيه أن آزر ما كان والد إبراهيم عليه السلام بل كان عماً له فأما والده فهو تارح والعم قد يسمى بالأب بدليل أن أولاد يعقوب سموا إسماعيل بكونه أباً ليعقوب[2] مع أنه كان عماً له ويحتمل أن آزر كان والد أم إبراهيم عليه السلام وهكذا قد يقال له أب[3].

والراجح على ما يبدو أن اسم أبيه آزر لإخبار القرآن بذلك صراحة في آية سورة الأنعام المذكورة سابقا، ولحديث الإمام البخاري: قال رسول الله ﷺ: **"يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إِبْرَاهِيمُ أَلَمْ أَقُلْ لك لا تعصيني فيقول أَبُوهُ فَالْيَوْمَ لا أَعْصِيكَ فيقول إِبْرَاهِيمُ يا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يوم يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى من أبي الأَبْعَدِ فيقول الله تَعَالَى إني حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ على الْكَافِرِينَ ثُمَّ يُقَالُ يا إِبْرَاهِيمُ ما تَحْتَ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فإذا هو بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ[4] فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى في النَّارِ"**[5]

ولا أرى أنه اسم صنم؛ إذ كيف يعاقب الله تعالى صنما لا حول له ولا قوة يوم القيامة؟!

كما أن الراجح أيضا أن كلمة آزر في الآية الكريمة تعرب بدلا من أبيه مجرورة بالفتحة عوضا عن الكسرة لأنها اسم أعجمي، وليست منادى؛ لأن القرآن

---

[1] ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء(774هـ)، **تفسير القرآن العظيم** ، بيروت: دار الفكر، 1401هـ، ج2. ص150. بتصرف.

[2] إشارة إلى قوله تعالى **﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾:** البقرة، 133

[3] الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني أبو عبد الله (606هـ) **مفاتيح الغيب** بيروت: دار الكتب العلمية، 1425هـ - 2004م، ج13 ص33.

[4] الذيخ ذكر الضباع وأراد بالتلطخ التلطخ برجيعه أو بالطين. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب** ج3 ص16.

[5] البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بزدبه أبو عبد الله (256هـ) **الجامع الصحيح المسند من أمور الرسول ﷺ وسننه وأيامه**، ط1. بيروت: دار الفكر. 2000م كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى "واتخذ الله إبراهيم خليلا"، ح3172.

أورد في موضع آخر طريقة حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه وكيف يناديه بقوله (ياأبتِ) قال تعالى **﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾**[1] فهل من الممكن أن يناديه باسمه هكذا؟! ثم إن الله تعالى ذكر أنه عليه السلام استغفر لأبيه حتى نهاه الله عن ذلك **﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾**[2] ولأجل ذلك أستبعد أن تكون كلمة آزر سباً لأبيه كما ذكر ابن أبي حاتم[3]عن معتمر بن سليمان[4] قال: سمعت أبي[5] يقرأ **"وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر"** قال: بلغني أن آزر معناها أعوج وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام[6] فالأنبياء معصومون عن الصغائر فضلا عن الكبائر وسب الوالد من الكبائر فقد حرم الله تعالى قول (الأفّ) للوالدين **﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾**[7] وليس السباب من القول الكريم أبداً.

ويمتد نسب إبراهيم عليه السلام إلى سام بن نوح عليه السلام فسلالة قومه من المسلمين الذين نجوا بعد الطوفان، ذكر ابن كثير اسمه فقال: هو إبراهيم بن تارح بن ناحور ابن ساغور بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واسم أمه (أميله) وقيل اسمها بونا بنت كربتا بن كرثى بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام [8].

---

[1] مريم: 42

[2] الشعراء: 86

[3] عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، له تصانيف، منها الجرح والتعديل، و التفسير وعلل الحديث وتقدمة المعرفة بكتاب الجرح والتعديل وغيرها، توفي سنة327هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام** ج3 ص324.

[4] معتمر بن سليمان التيمي أبو محمد البصري يلقب الطفيل ثقة من كبار التاسعة مات سنة 87هـ، وقد جاوز الثمانين. أنظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي(852هـ) **تقريب التهذيب** ط1 بيروت: مؤسسة الرسالة، 1416هـ -1996م، ص471.

[5] هو سليمان بن طرخان التيمي، سمع أنساً والحسن قال عنه شعبة ما رأيت أحدا أصدق من سليمان التيمي كان إذا حدث عن النبي ﷺ تغير لونه، توفي بالبصرة سنة 43هـ. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب** ص192.

[6] ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (327هـ) **تفسير القرآن** صيدا: المكتبة العصرية، ج4 ص1325.

[7] الإسراء: 23

[8] ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء(774هـ) **قصص الأنبياء**، ط1، المنصورة: مكتبة الإيمان، ص102.

وهذا النسب الذي ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى لا دليل عليه وهو من الإسرائيليات.

المطلب الثاني: مولده وموطنه وقوميته.

اختلف العلماء في تحديد زمان مولده عليه السلام فقد تضاربت الروايات في تعيينه، واعتمد كثير منها على روايات أهل الكتاب، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما كلام في تحديد أزمنة ميلاد بعض الأنبياء منهم إبراهيم عليه السلام لا يُطمأن إليه[1] ولكن أكثر المؤرخين على أنه ولد في الفترة الواقعة ما بين عامي ألفين وألفٍ وسبعمائةٍ قبل الميلاد، والله أعلم[2].

أما عن مكان ولادته فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ولد إبراهيم بغُوطة دمشق، في قرية يقال لها (برزة) في جبل يقال له (قاسيون)[3]. وقال ابن عساكر: والصحيح أنه ولد في بابل، وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه حين جاء معينا للوط عليه السلام[4].

ولم تقف الروايات عند هاتين المدينتين في تحديد مكان مولده عليه السلام بل قيل أيضا إنه من مواليد السوس بأرض الأهواز، وقيل بحرّان، التي يرجح الدكتور مهران[5] أنها مولده، وهي في إقليم العراق الأعلى في منطقة الجزيرة بين دجلة والفرات، وليس أور البابلية في جنوب العراق[6].

---

[1] الأميري، **فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم** ص169.

[2] مهران، محمد بيومي، **تاريخ العرب القديم**، الإسكندرية: دار المعرفة،2000م ص169.

[3] المرجع السابق نفسه، ص169.

[4] ابن عساكر، تقي الدين علي بن الحسن أبو القاسم (571هـ) **تاريخ مدينة دمشق** دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1982م، ج2. ص326.

[5] الأستاذ الدكتور محمد بيومي مهران: أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم في جامعة الإسكندرية، حصل على درجة الدكتوراه في الآداب بمرتبة الشرف في التاريخ القديم من كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ثم عين مدرساً بها، شغل مناصب كثيرة وهامة، وله كتاب تاريخ العرب القديم. أنظر: صفحة المتحولون www.14masom.com/mostabsiron/

[6] مهران **تاريخ العرب القديم** ص122.

ولا يوجد دليل صحيح على مثل هذه المعلومات وما هي إلا اجتهادات للعلماء في محاولة حثيثة لتتبّع سيرة هذا النبي الكريم.

وأما عن قومية إبراهيم عليه السلام فيؤكد عباس محمود العقاد على عروبته ويقول: فلا يقال عنه إنه إسرائيلي؛ لأن يعقوب هو أول من تسمى بإسرائيل وهو حفيد إبراهيم، ولا يقال أيضا إنه يهودي؛ لأن اليهودي ينسب إلى يهودا رابع أبناء يعقوب، ولا يقال إنه عبري إن أريد بالعبرية اللغة؛ إذ أنه كان يتكلم لغة يفهمها كل أهل الإقليم ولم تكن العبرية قد انفصلت عن بقية اللغات السامية بعد. وقد يقال إنه سامي، ولكنها نسبة جد لا نسبة قوم، وقد تكلم السريانية في ذلك الوقت أناس ليسوا سريانيين، ولا آراميين، ولا حميريين، كالأحباش[1].

ويرى الدكتور مهران أن إبراهيم عليه السلام كان من العرب العاربة وأن قومه قد خرجوا من الجزيرة العربية كجماعة من الجماعات السامية العديدة، وأنه عليه السلام هو أبو العرب العدنانيين الذين هم أبناء إسماعيل عليه السلام[2].

كما يرى بعض العلماء منهم محمد رشيد رضا[3] أن إبراهيم عليه السلام كان يتكلم العربية القديمة، التي هي قريبة من عربية جرهم، وكانت هي اللغة السائدة، وأن العبرية لهجة من لهجاتها[4].

ومما يؤكد هذا الكلام أن إبراهيم عليه السلام ذهب إلى مكة بعد أن شبّ ابنه إسماعيل عليه السلام وتحدث مع زوجته الجرهمية العربية وقد فهم كل منهما الآخر، وهذا مذكور في

---

[1] العقاد **إبراهيم أبو الأنبياء** ص 289-291.

[2] مهران، **تاريخ العرب القديم**، ص137 - 157.

[3] هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون من أعمال طرابلس الشام، ثم رحل إلى مصر سنة 1315 هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. أنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد، من أشهر آثاره مجلة المنار وتفسير القرآن الكريم الذي كتبه نقلا عن محمد عبده ولم يكمله، و تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده. توفي سنة 1354هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام** ج6 ص126.

[4] رضا، محمد رشيد (1354هـ) **تفسير المنار** القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج7. ص535.

البخاري من حديث ابن عباس ﵄: **"انطلق إبراهيم... فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بِشَرّ نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنّا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول: غيّرعتبة بابك. قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد، فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت الماء، قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال النبي ﷺ: ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه قال: فَهُمَا لا يخلو عليهما أي اللحم والماء - أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه[1] قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال ذاك أبي، وأنت العتبة أمرني أن أمسكك..."**[2].

وأكثر ما تظهر غرابته من ألفاظ في هذا الحديث هو قوله " قولي له يغير عتبة بابه" وقوله " مريه يثبت عتبة بابه" وقد فهمت الزوجتان كلام إبراهيم ﵇ لكنهما لم تفهما المراد منه، وفهمه إسماعيل ﵇ والشاهد في الحديث أن الزوجتان نقلتا الكلام بحرفيته باللغة العربية التي تتكلمانها، معع أنهما لم تفهما المراد من الكناية، وهو كناية

---

[1] يقال خلوت بالشيء واختليت به إذا لم أخلطه بغيره، وفي حديث أبيّ: **"ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنهُ"**. أنظر: ابن حجر العسقلاني **فتح الباري** ج6 ص405.

[2] البخاري، **صحيح البخاري** كتاب الأنبياء، باب يزفون وهو النسلان في المشي، ح3184. وانظر أيضا بيان طرق الحديث: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ج6. ص401.

عن تطليق الزوجة الأولى واستبقاء الثانية، ولو فهمت الأولى معنى الكلام لما أوصلته، وقد فهم إسماعيل عليه السلام المراد من الكناية.

المطلب الثالث: زوجاته.

أولى زوجاته عليه السلام هي سارة ابنة ملك حرّان، والمشهور أنها ابنة عمه هاران الذي تُنسب إليه حرّان[1] وقد ورد ذكر سارة رضي الله عنها في الأحاديث النبوية الشريفة وسيأتي ذكر الحديث في موضعه إن شاء الله تعالى. وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بنبوتها هي وأم موسى ومريم عليهن السلام إلا أن التحقيق يثبت أنهن صديقات رضي الله عنهن وأرضاهن[2]. ودليل ذلك قوله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾[3] فاللفظ واضح لا يحتاج إلى كبير جهد في التفسير وقد أكده الله تعالى في موضعين آخرين من القرآن الكريم[4]. وقد كان إبراهيم عليه السلام يحبها حبا شديدا لدينها وقرابتها منه وحسنها الباهر[5]. وهي العقيم التي ذكرها الله تعالى في كتابه ﴿ **فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**﴾[6] وبشرها بإسحاق ويعقوب ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾[7] وماتت سارة بقرية حبرون التي في أرض كنعان، وقد جاء في معجم البلدان للحموي: "حبرون بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون: اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس، وقد غلب على اسمها الخليل، ويقال لها أيضا حبرى.

---

[1] ابن كثير، **قصص الأنبياء** ص116.

[2] المصدر السابق، ص118.

[3] الأنبياء، 7

[4] يوسف، 109 والنحل، 43

[5] ابن كثير، **قصص الأنبياء** ص119.

[6] الذاريات، 29

[7] هود، 71

وقد روي عن كعب الأحبار[1]: أن أول من مات ودفن في حبرى سارة زوجة إبراهيم عليه السلام وأن إبراهيم خرج لما ماتت يطلب موضعا لقبرها فقدم على صفوان وكان على دينه وكان مسكنه ناحية حبرى، فاشترى الموضع منه بخمسين درهما، وكان الدرهم في ذلك العصر خمسة دراهم، فدفن فيه سارة، ثم دُفن فيه إبراهيم إلى جنبها"[2]. وقد ذكر في موضع آخر من كتابه الاسم الحديث لحبرون: "الخليل اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس، بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام في مغارة تحت الأرض، وهناك مشهد وزوار وقوام في الموضع، وضيافة للزوار، وبالخليل سمي الموضع، واسمه الأصلي حبرون، وقيل حبرى، وفي التوراة: أن الخليل اشترى من عفرون بن صوحار الحيثي موضعا بأربعمائة مثقال فضة ودفن فيه سارة"[3]. وكذا قال الطبري[4].

أما نصوص التوراة التي تحدثت عن موتها رضي الله عنها فقد ذكرت أن إبراهيم عليه السلام اشترى المغارة من رجل يُدعى عفرون بأربع مائة شاقل، وهي العملة الإسرائيلية التي نتداول بها اليوم، وربما تكون إعادة تداولها في وقتنا الحالي من باب ادّعاء اليهود لحقهم في أرضنا حيث جاء في سفر التكوين: **"فَسَمِعَ إِبْرَاهِيمُ لِعِفْرُونَ، وَوَزَنَ إِبْرَاهِيمُ لِعِفْرُونَ الْفِضَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي مَسَامِعِ بَنِي حِثٍّ. أَرْبَعَ مِئَةِ شَاقِلِ فِضَّةٍ**

---

[1] هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها سنة 32هـ، عن مئة وأربع سنين. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج5 ص228.

[2] الحموي، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله (626هـ) **معجم البلدان** بيروت: دار الفكر، ج2 ص212.

[3] المصدر السابق، ج2 ص387.

[4] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (310هـ) **تاريخ الأمم والملوك** عمان: بيت الأفكار الدولية، 2004م، ج1 ص187.

جَائِزَةٍ عِنْدَ التُّجَّارِ"[1] وقد دفنها في المكان المسمى **"وَبَعْدَ ذلِكَ دَفَنَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ امْرَأَتَهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ أَمَامَ مَمْرَا، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ"**[2].

أما زوجته الثانية فهي هاجر المصرية الجارية التي أهداها ملك مصر الفاجر لسارة[3] -وسيأتي ذكر ذلك بإذن الله تعالى - وهي أم إسماعيل عليه السلام الابن الأكبر لإبراهيم عليه السلام الذي بشر به لست وثمانين سنة خلت من عمره، ثم أمر بإسكانه في جبال فاران وهي أرض مكة المكرمة، وهي حينئذ خالية من أية حياة، وهو البارّ الذي بنى البيت العتيق مع والده[4] قال تعالى على لسانه عليه السلام ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾ [5] وهو الذي وصفه ربه عز وجل بصدق الوعد فقال ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً**﴾[6] وقد توفيت هاجر في مكة المكرمة، وهي ابنة تسعين سنة وقد دفنها إسماعيل عليه السلام في الحجر[7] ثم دُفن إسماعيل عليه السلام في الحجر بجانب أمه[8] إلا أن التوراة تذكر أن هاجر رضي الله عنها وابنها تاها في صحراء بئر السبع **"فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ"**[9]. وهذا منافٍ للصحة تماما، وعارٍ عنها أيضاً، فقد ثبت في كتاب الله تعالى إسكانه لزوجته وابنه مكةَ المكرمة، وهذا ما أجمع عليه العلماءن وهو واضح الدلالة في قوله تعالى ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ**

---

[1] الصوري، الكاهن إسحاق أبو الحسن السامري، **التوراة السامرية** ط1 القاهرة: دار الأنصار، 1398هـ - 1978م، ترجمها من العبرية إلى العربية الكاهن أبو الحسن السامرية في مدينة نابلس. سفر التكوين 23: 16

[2] التوراة سفر التكوين 23: 19

[3] ابن كثير، **قصص الأنبياء** ص188.

[4] المصدر السابق، ص120 -123.

[5] إبراهيم، 37

[6] مريم، 54

[7] ابن عساكر، **تاريخ دمشق** ج70 ص145.

[8] المقدسي، مطهر بن طاهر (355هـ) **البدء والتأريخ** بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، ج3 ص61.

[9] التوراة، **سفر التكوين** 21 : 14

لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[1]. وبعد وفاة سارة تزوج بـامرأة اسـمها قنطـورا بنـت يقطـن الكنعانيـة فولدت له ستة: مدين وزمران وسرج ويقشان ونشق ولم يسمّ السادس، ثم تـزوج بعـدها حجون بنت أمين، فولدت له خمسة: كيان وسورج وأمـيم ولوطـان ونـافس[2]. والظـاهر أن أحدا من هؤلاء الأولاد لم ينجب وهي معلومات لا دليل عليها.

المطلب الرابع: أولاده.

أنجب إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام وهو ابن ستٍ وثمانين سنة، وقد حصل ذلك بعد أن هاجر عليه السلام من بلاد قومه فسأل ربه أن يهب لـه ولـدا صـالحا قـال تعـالى علـى لسانه **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِـنَ الصَّـالِحِينَ﴾**[3] فوهبـه الله إسـماعيل عليه السلام مـن هـاجر القبطيـة[4] والذي كان محمد ﷺ آخر الرسل والأنبياء وخاتمهم من نسله.

ثم بعد ذلك بثلاث عشرة سنة بشـره الله تعـالى بإسـحاق عليه السلام الـذي سـينجبه مـن ابنة عمه سارة ثم ينجب هو يعقـوب[5] عليه السلام الـذي كـان مـن نسـله يوسـف عليه السلام وأخوتـه الأسـباط، وموسـى عليه السلام وهـارون وداود وسـليمان، وأيـوب ويـونس، وزكريـا ويحيـى وعيسى، وغيرهم من الرسل والأنبياء منهم من ذكـره الله ومـنهم مـن لـم يـذكره **﴿وَلَقَـدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَـنْ لَـمْ نَقْصُـصْ عَلَيْـكَ﴾**[6] صـلوات الله عليهم وعلى تابعيهم **﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلّـاً هَـدَيْنَا وَنُوحـاً هَـدَيْنَا مِـنْ قَبْـلُ وَمِـنْ ذُرِّيَّتِـهِ دَاوُدَ وَسُـلَيْمَانَ وَأَيُّـوبَ وَيُوسُـفَ وَمُوسَـى وَهَـارُونَ وَكَـذَلِكَ نَجْـزِي الْمُحْسِنِينَ﴾**[7].

---

[1] إبراهيم، 37

[2] ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله (230هـ) **الطبقات الكبرى** ج1 ص17.

[3] الصافات، 100

[4] ابن كثير، **قصص الأنبياء** ص149.

[5] المصدر السابق، ص149

[6] غافر، 78

[7] الأنعام، 84

المطلب الخامس: الحياة السياسية وقت ولادته.

يقول الدكتور أحمد شلبي[1]: كانت مصر وبابل دولتان مزدهرتان قامت فيهما أرقى حضارات العصور القديمة وقد تأثرت أرض كنعان بنتائج الحروب والمنافسات بين الدولتين وكانت السيطرة على أرض كنعان وسكانها للغالب منهما ومما تدل عليه الآثار البابلية أنها هي الحضارة التي كانت تسيطر على أرض كنعان في الألف الثالثة قبل الميلاد لذا فقد تأثرت حضارة الكنعانيين بحضارة بابل[2].

وقد ولد إبراهيم عليه السلام في عهد نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح الذي كان حاكماً مستبداً جباراً استخف قومه فنصب نفسه إلهاً لهم فأطاعوه إضافةً إلى عبادة الأصنام والتماثيل[3]. ولم لا فالأصنام الناطقة أفضل من الأصنام الجامدة كما يقول الشيخ زين العابدين[4].

وإن كانت كلها أصنام ففي النتيجة كلها تحتاج لمنجٍ من عذاب الله يوم القيامة، ومع أن التفاضل لا يقع إلا في الخير إلا أنني أرى أن الأصنام الجامدة أفضل من الناطقة، مخالفةً لكلام الشيخ زين العابدين السابق؛ لأن الصنم الجامد لم يدّع الألوهية، ولا يتجرّأ على ذلك، أما الصنم الناطق فهو جاحد، متعدٍّ على الذّات الإلهية، مع علمه بضعفه وقلّة حيلته، فهو ينسى أصله الترابيّ، ويُنَصِّب نفسه إلهاً وأنّى له ذلك؟! ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي يدّعي فيها ملك الألوهية فقد فعلها فرعون، وهي عين ما سيفعله الدجّال آخر الزمان، أعاذنا الله وإياكم منه، فهي إذن ظاهرة قديمة متجددة،

---

[1] هو الدكتور أحمد محمد جاب الله شلبي ولد بقرية عليم 1915م، تلقى دراسته في الأزهر الشريف وتخرج في كلية دار العلوم جامعة القاهرة، حصل على درجة الماجستير والدكتوراه من لندن وكمبردج مؤلفاته تزيد عن خمسين كتابا وأهمها: موسوعة التاريخ الإسلامي، موسوعة الحضارة الإسلامية. حصل على العديد من الأوسمة ومنها وسام الجمهورية من الطبقة الأولى والثانية في عهد الرئيس محمد حسني مبارك. أنظر: موقع الدكتور أحمد شلبي ahmedshalbyschool.110mb.com

[2] شلبي، أحمد، **مقارنة الأديان اليهودية** ط 8 القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص44.

[3] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك** ج1 ص142.

[4] زين العابدين **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله** ص90.

منشؤها الفراغ الروحي الذي يعاني منه المرء فيحاول التغلب عليه مثبتاً لنفسه مكانةً لا تليق به؛ لأنه دونها، مما يعظّم في نفسه المريضة الشعور بعظمتها الكاذبة، ومن ثمّ فإنه يحاول إقناع غيره بهذه المكانة التي توهّم وجودها، وبما أن الناس لن يؤمنوا له بهذه البساطة؛ ذلك لأن طبيعة البشر رفض الانصياع إلى إنسان مثلهم إلا بامتلاكه قوة وسيطرة، فإنه يستخدم هذه السيطرة ليتخذه الناس إلهاً ولو عن غير قناعة.

هذا ويذكر الإمام الشهرستاني في كتابه الملل والنحل أن الناس في زمن إبراهيم عليه السلام كانوا مختلفين في أديانهم وعقائدهم، وأشهر فرقهم اثنتان[1]:

الأولى فرقة الصابئة.

والثانية فرقة الحنفاء[2].

ومن الطبيعي أن يكون حاكم هذه الدولة أو ملكها الجبار المتألّه طاغية من طواغيت عصره كيف لا وقد كان من السهل عليه جداً أن يصدر أمراً بإحراق إبراهيم عليه السلام **﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾**[3] كيف لا وقد ادعى الربوبية والإحياء والإماتة **﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾**[4].

المطلب السادس: هجراته.

هاجر إبراهيم عليه السلام هجرتين هجرة بالقلب وهي الأساس وهجرة بالجسد ولكل مقصودها؛ فالهجر حسب ما يقول ابن القيم - ضد الوصل، ولابد من أن يكون المهاجَر أحب إلى قلب المهاجِر من المهجور، فمن يهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته ومن عبودية العباد إلى عبوديته، ومن خوف غيره ورجائه والخضوع له إلى

---

[1] الشهرستاني محمد بن عبد الكريم أبو الفتح (548هـ) **الملل والنحل** القاهرة: مؤسسة الحلبي، ج2. ص35.
[2] كان يقال للرجل إذا أَسْلَم في زمن النبي: قد صَبَأَ: عَنَوْا أنه خرج من دين إلى دين. أنظر: إبن منظور، **لسان العرب** مادة صبأ ج1. ص107. قد حَنَفَ وتَحَنَّفَ. والدينُ الحنيف: الإسلام، و الحَنيفِيَّة: مِلة الإسلام. والحنفاء: جَمْع حَنيفٍ، وهو المائل إلى الإسلام الثابتُ عليه. المصدر السابق نفسه، مادة حنف ج9. ص58.
[3] الأنبياء، 68
[4] البقرة، 285

خوفه ورجائه والخضوع له وحده، يسمى مهاجرا[1]. وعلى هذا الاعتبار فإن لكل نبي هجرة واحدة على الأقل تتمثل في اعتزال دين قومه ولسيدنا إبراهيم عليه السلام هجرة بالقلب تمثلت بالاعتزال. قال تعالى **﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً﴾**[2]. فبعد أن يئس من استجابة أبيه وقومه له واستمرارهم على الكفر قرر أن يعتزلهم بقلبه إذ أن الأمر بهجرة الجسد لم يكن قد صدر بعد، وقد ورد في القرآن الكريم أمر للرسول ﷺ باعتزال المشركين فقال تعالى **﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾**[3]. إلا أن الاعتزال لا يعني الانعزال عن المجتمع وتركه أسير الرذيلة والفسق، وإنما يعني هجر محرمات المجتمع والتذكير بالله قال تعالى **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ۞ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[4] حتى مع المنافقين الذين هم أشد الناس خطرا على الدعوة الإسلامية أمر الله باعتزال فكرهم والاستمرار بدعوتهم علّ الله يهديهم **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾**[5] وقد فهم إبراهيم عليه السلام هذا المعنى فطبقه في تعامله معهم.

قال الإمام الطبري: "وقوله (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) من الأوثان والأصنام (وأدعو ربي) يقول: وأدعو ربي بإخلاص العبادة له وإفراده بالربوبية (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) يقول عسى أن لا أشقى بدعاء ربي ولكن يجيب دعائي ويعطيني ما أسأله"[6].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "(وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي) أي أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله (وأدعو

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر (751هـ) **الرسالة التبوكية** زاد المهاجر إلى ربه، ص9 .

[2] مريم، 48

[3] الأعراف، 199

[4] الذاريات، 54 55

[5] النساء، 63

[6] الطبري، **جامع البيان** ج16 ص92.

ربي) أي وأعبد ربي وحده لا شريك له (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) وعسى هذه موجبة لا محالة فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد ﷺ"[1].

وإن الإنسان إذا ما اعتزل الناس وكفرهم ومعاصيهم لوجه الله تعالى فإن الله يكافئه ويعوضه قال تعالى **﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً﴾**[2] وربما يكون في هذا كله ما يصبّر قلوب الدّعاة في عصرنا الحالي، الذي يبدو فيه الإنسان الذي يدعو إلى الله بإنكار المنكرات المتعددة كأنه غريب، مما يضطره أحيانا إلى اعتزال الناس وأفكارهم، مع أن الأصل المخالطة والتوجيه وعدم اليأس، فقد قال رسول الله ﷺ: **"الْمُسْلِمُ إذا كان مُخَالِطًا الناس وَيَصْبِرُ على أَذَاهُمْ خَيْرٌ من الْمُسْلِمِ الذي لَا يُخَالِطُ الناس ولا يَصْبِرُ على أَذَاهُمْ"**[3].

قال الإمام القرطبي: وقوله عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا قيل أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلا وولدا يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه ولهذا قال فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب أي آنسنا وحشته بولد[4].

وبعد اعتزاله قومه جاءه الأمر بالهجرة الحقيقية أي البدنية وذلك بعد أن آمن له ابن أخيه لوط عليه السلام[5] **﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[6]. وقد كانت الهجرة الأولى إلى بيت المقدس ويدل على ذلك قوله تعالى **﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾**[7] وقد ذكر غير واحد من العلماء أن هذه الأرض هي بلاد الشام وتحديدا بيت المقدس[8].

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ج3 ص125.

[2] مريم، 49

[3] الترمذي، **جامع الترمذي** كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب 51 ح2507.

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن الكريم** ج11 ص113.

[5] وهو لوط بن هاران بن تارح وهو آزر: **ابن كثير، قصص الأنبياء** ص149.

[6] العنكبوت، 26

[7] الأنبياء، 71

[8] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ج11 ص305 وانظر أيضا الطبري، **جامع البيان**، ج17 ص47.

وقد دلت الآثار على أن الأرض المباركة هي بيت المقدس، فعن أبي بن كعب ﷺ قال في قوله تعالى: **﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾**[1] قال: الشام وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة وكذا قال أبو العالية[2] أيضا.

وقال قتادة: كانا بأرض العراق فأنجاهما الله إلى الشام وكان يقال: للشام أعقار دار الهجرة وما نقص من الأرض زيد في الشام وما نقص من الشام زيد في فلسطين وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك المسيح الدجال وقال كعب الأحبار: في قوله إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين إلى حران، وقال السدي: انطلق إبراهيم ولوط قِبَ الشام فلقي إبراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها على أن لا يغربها. رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور أنها ابنة عمه وأنه خرج بها مهاجرا من بلاده[3]. وقد ورد أيضا في تفسير الآية نفسها: يريد نجينا إبراهيم ولوطا إلى أرض الشام وكانا بالعراق وكان إبراهيم عليه السلام عمه، قاله ابن عباس وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها ولأنها معادن الأنبياء والبركة ثبوت الخير[4].

وهذه الآثار كلها أقوال للصحابة رضي الله عنهم وهي آثار لا تحتمل الاجتهاد، وتبلغ درجة الرفع في بيان فضيلة أرض الشام وأنها مهاجَرإبراهيم عليه السلام وقد وردت أيضا أحاديث مرفوعة تؤكد هذه المعاني منها:

ما ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار**

---

[1] الأنبياء، 71

[2] رُفَيْعٌ أَبُو الْعَالِيَةِ أَدْرَكَ أَيَّامَ النَّبِيِّ ﷺ وَقِيلَ: اسمه رفيع بن مهران الرياحي من التابعين، سئل مرة: أَدْرَكْتَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لا، جِئْتُ بَعْدَهُ بِسَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ " أنظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي(852هـ) **الإصابة في تمييز الصحابة** ط1 بيروت: دار الفكر، 1421هـ - 2001م، ج2 ص191.

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ج 3 ص186.

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن الكريم** ج11 ص305.

أهلها تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الـرحمن وتحشـرهم النـار مـع القـردة والخنـازير تبيت معهم حيثما باتوا وتقيل معهم حيثما قالوا"[1] والشاهد هنـا أن بـلاد الشـام وفلسـطين تحديدا هي مهاجَر إبراهيم ﷺ لأنها خيرة الله من أرضه يجتبـي إليهـا خيـرة عبـاده كمـا جاء في حديث عبد الله بن حوالة الأزدي[2] قال: قـال: رسـول الله ﷺ: **"ثـم سيصـير الأمـر إلى أن تكون جنود مجندة جند بالشام وجند ظاهرا وجند بـالعراق فقـال ابـن حوالـة خـر لي يا رسول الله إن أدركت ذاك قال عليك بالشام فإنه خيـرة الله مـن أرضـه يجتبـي إليـه خيرته من عباده فإن أبيتم فعليكم بيمنكم واسـقوا مـن غـدركم فـإن الله قـد توكـل لـي بالشام وأهله"**[3].

ويقول الدكتور أحمد شلبي مـن خـلال تتبعـه للمراجـع ودراسـة الآثـار اللغويـة والاجتماعية، أن خط السير كلن أشبه بجزء مـن دائـرة، فقـد كـان الاتجـاه إلـى الشـمال حتى الاتصال بمناطق الآراميين، ثـم الانحـدار إلـى الجنـوب حتـى الـدخول فـي أرض كنعان[4].

إن المتتبع لأقوال العلماء يدرك أنهم اختلفـوا اختلافـا بينـاً فـي تحديـد خـط سـير سيدنا إبراهيم ﷺ وربما يرجع هذا الاختلاف إلى تغير أسـماء المـدن والبلـدان منـذ ذلـك الحين وحتى زمن التأريخ، وقد يرجع أيضـا إلـى نـدرة النصـوص الصـحيحة فـي هـذا الشأن، وقد يرجع كذلك إلى كثرة الاجتهادات الواردة عن الصـحابة والعلمـاء نظـرا لتعـدد الأفهام وتفاوت القدرات على تحليل النصـوص، وبالتـالي فـإنني وجـدت نصوصـا كثيـرة تتكلم عن خط هجرته الذي يبدأ من بابل، وربما تكون هذه هـي نقطـة البدايـة التـي اتفـق

---

[1] أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (275هـ) **سنن أبي داود**، بيروت: دار الفكر، كتاب الجهاد باب سكنى الشام ح2482. قال ابن حجر الحديث لا بأس به وفيه شهر بن حوشب وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ج11 ص380.

[2] هو عَبْدُ اللهِ بْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ أبو حَوَالَةَ سَكَنَ الْأُرْدُنَّ، له صحبة. أنظر: الأصبهاني، **معرفة الصحابة** ج3 ص1622.

[3] الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبد الله (241هـ) **مسند الإمام أحمد بن حنبل** مصر: مؤسسة قرطبة، ج4 ص110. ح17046. والحديث ضعيف لأن فيه بقية بن الوليد وهو كثير التدليس عن الضعفاء. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص65.

[4] شلبي، أحمد، **مقارنة الأديان اليهودية** ص5148.

عليها الجميع، ثم اختلفوا في اسم المدينة الأولى التي نزلها فقيل حران قرب دمشق، وقد خالف ابن عساكر فروى عن أبي الحسين الرازي: أنه عليه السلام لم يتجه إلى حرلان، وهي قرية من غوطة دمشق، بينها وبين دمشق اثنا عشر ميلا، وهي حرلان بلام ألف من أرض دمشق، وليست هي حران بألف التي في أرض الجزيرة، كذا قال: وإنما هاجر إبراهيم عليه السلام من أرض بابل إلى حران التي بأرض الجزيرة والله أعلم.

وذكر أيضا عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قوله: "فانطلق إبراهيم عليه السلام فنزل أرض فلسطين، ونزل لوط سدوم، ونزل هاران حران، وإنما سميت حران لأن هاران نزلها وذلك قبل أن يبوئ الله لإبراهيم البيت"[1]. ومن المعلوم عندنا كمسلمين أنه عليه السلام هاجر بزوجته سارة إلى مصر حيث وهبها الملك الجبار هاجر أو آجر كجارية وهبتها هي بعد ذلك لإبراهيم عليه السلام ثم هاجر هو بها وابنها إسماعيل عليه السلام إلى مكة المكرمة[2].

وبالتالي فإن هجراته عليه السلام حسب ما أرى كانت: من بابل أرض مولده إلى فلسطين، مرورا بحرّان لكنه لم يسكنها، كما جاء في الحديث السابق، مصداقا لقوله تعالى **﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾**[3] ثم هاجر بسارة إلى مصر هجرة دعوة إلى الله تعالى، فحصل معهما ما سيرد ذكره في موضعه إن شاء الله فعادا بهاجر القبطية إلى فلسطين، ثم هاجر بهاجر وابنها إسماعيل عليه السلام إلى مكة المكرمة، وعاد إلى فلسطين بأمر من الله تعالى، فكانت على ذلك ثلاثة أضرب: فالأولى فراراً بالدعوة، والثانية نشراً للدين، والثالثة عمارةً للأرض. والله تعالى ورسوله أعلى وأعلم.

المطلب السابع: وفاته.

إن الموت حق على كل إنسان، وكذلك الأنبياء والرسل، فقد كتب الله تعالى عليهم الموت، الذي هو نهاية كل حي، وقد اختلف العلماء في الطريقة التي قُبض بها

---

[1] ابن عساكر، **تاريخ دمشق** ج19 ص141 - 145. بتصرف

[2] المصدر السابق، ص145.

[3] الأنبياء، 71

إبراهيم ﷺ ولا يوجد مرجِّح لرواية على أخرى، وإنما هي اجتهادات للتوفيق بين الروايات. والطريقة التي قبض فيها ﷺ وليس فيها اختلاف هي ما روي عن سعيد بن جبير قال: "كان الله يبعث ملك الموت إلى الأنبياء عيانا فبعثه إلى إبراهيم ﷺ ليقبضه فدخل دار إبراهيم في صورة رجل شاب جميل وكان إبراهيم رجلا غيورا فلما دخل عليه حملته الغيرة على أن قال له: يا عبد الله من أدخلك داري قال: أدخلنيها ربها فعرف إبراهيم ﷺ أن هذا الأمر حدث قال: يا إبراهيم إني أمرت بقبض روحك قال: فأمهلني يا ملك الموت حتى يدخل إسحاق فأمهله فلما دخل إسحاق قام إليه فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فرق لهما ملك الموت فرجع إلى ربه فقال: يا رب رأيت خليلك جزع من الموت فقال: يا ملك الموت فأت خليلي في منامه فاقبضه قال فأتاه في منامه فقبضه"[1].

وقد اختُلف في عمره وقت وفاته ﷺ اختلافا واضحا بين العلماء، فقد جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد: عن أبي هريرة ﷺ قال: "**اختتن إبراهيم ﷺ وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة**"[2] لكن هذا الحديث يعارض ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**ثم اختتن إبراهيم النبي وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم**"[3]. وكلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ إلا أنّ الأول موقوف والثاني مرفوع، والأولى تقديم المرفوع، وعلى أيّ حال فإنه لا يضيرنا كثيرا عدم معرفة تاريخ وفاته في هذا البحث، إذ أنّ هذه الأمور مما استأثر الله تعالى بعلمها، وهي مما قال فيه العلماء: العلم بها لا ينفع، والجهل بها لا يضرّ.

---

[1] ابن عساكر، **تاريخ دمشق** ج6 ص256. والحديث حسن لأن فيه يعقوب بن عبد الله بن سعد الأشعري أبو الحسن القُمي بضم القاف وتشديد الميم صدوق يهم من الثامنة مات سنة 74هـ. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب** ص537.

[2] ابن سعد، **الطبقات الكبرى** ج1 ص20.

[3] النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسين (261هـ) **صحيح مسلم** بيروت: دار إحياء التراث العربي، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل، ح2370.

وقد ذُكر في التوراة أنه اختتن وعمره تسعٌ وتسعون سنة " **وَكَانَ إِبْرَاهِيم ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ"**[1] وأنه قد مات وعمره مائة وخمس وسبعون سنة وهي رواية مختلفة تماما عن الروايات الإسلامية " **وَهذِهِ أَيَّامُ سِنِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيم الَّتِي عَاشَهَا: مِئَةٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً"**[2] " **وَأَسْلَم إِبْرَاهِيمُ رُوحَهُ وَمَاتَ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ، شَيْخًا وَشَبْعَانَ أَيَّامًا، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ"**[3] وقال ابن حجر: مات وعمره مائة وعشرون سنة[4]. كما ذُكر أنه دفن في المكان الذي دُفنت في سارة **"هُنَاكَ دُفِنَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ امْرَأَتُهُ فِي الْحَقْلِ الَّذِي اشْتَرَاهُ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بَنِي حِثٍّ"**[5].

وربما يكون جلّ اهتمامنا بأبينا وسيدنا إبراهيم عليه السلام هو دعوته، وما يُستنبط منها من حكم جليلة تليق بقدره عليه السلام، ولا نغفل عن ذكر ما جاء في ثوابه عند الله عز وجل، حتى لا نحيد عن خطه ولا عن خط نبينا ﷺ قيد أنملة، رجاء أن يجمعنا الله بهما وبأنبيائه ورسله يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن في الجنة قصرا من درة لا صدع فيها ولا وهن أعده الله لخليله إبراهيم عليه السلام نزلا"**[6].

المبحث الثاني: معبودات قومه:

لقد تعددت المعبودات التي توجه إليها قوم إبراهيم عليه السلام ولم يُذكر عنه أنه وقع في عبادة أيٍّ منها، حاله كحال سائر الأنبياء والرسل عليهم السلام، فهم أكمل الناس خُلُقاً، وأفضل من يُتّخذُ أسوةً عبر تاريخ البشرية، وقد جاء هذا المبحث ليبيّن معبودات قوم إبراهيم عليه السلام في عدة مطالب هي:

---

[1] التوراة، سفر التكوين، 24: 17

[2] التوراة، سفر التكوين، 25: 17

[3] التوراة، سفر التكوين، 25: 8

[4] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ج6 ص391.

[5] التوراة، سفر التكوين، 25: 10

[6] الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم (360هـ) **المعجم الأوسط**، القاهرة: دار الحرمين، 1415هـ، ج8، ص107 ح8114.

المطلب الأول: الأصنام.

لقد كانت الأصنام معبودات لكثير من الأقوام، ولم يكن قوم إبراهيم عليه السلام ببعيد عن هذه المعبودات، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[1].

تبين الآية الكريمة الأسلوب الراقي الذي استخدمه إبراهيم عليه السلام في الحوار مع أبيه وقومه؛ فقد بدأ بسؤال الحائر عن هذا المعبود الذي يبدو للناظر إليه من الوهلة الأولى أنه لا يضر ولا ينفع، المندهش من خضوع العاقل لغير العاقل، وقد كانت أسئلته عليه السلام غاية في الذكاء والفطنة، من حيث الاستحضار والإلقاء ومناقشة الإجابات.

وقد جاء في الجامع لأحكام القرآن: في تفسير قوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده: قال الفرّاء[2]: أي أعطيناه هداه من قبل؛ أي من قبل النبوة، أي وفقاً للنظر والاستدلال لمّا جنّ عليه الليل فرأى النجم والشمس والقمر، وقيل من قبل أي من قبل موسى وهارون عليهما السلام ويكون الرشد على هذا التفسير هو النبوة، وعلى التفسير الأول أجمع أكثر أهل العلم كما قال الله تعالى ليحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[3] وقال القرظي[4]: رشده صلاحه، وكنا به عالمين أي: أنه أهلٌ لإيتاء الرشد وصالحٌ للنبوة.

وقوله تعالى إذ قال لأبيه قيل: المعنى أي اذكر حين قال لأبيه، فيكون الكلام قد تم، ثم قوله وكنا به عالمين وقيل: المعنى وكنا به عالمين إذ قال، فيكون الكلام متصلا، ولا يوقف على قوله عالمين لأبيه وهو آزر وقومه نمرود ومن

---

[1] الأنبياء، 51/ 52

[2] هو الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي: فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى بغا من قرى خراسان، له التهذيب في فقه الشافعية، وشرح السنة في الحديث، ولباب التأويل في معالم التنزيل في التفسير، ومصابيح السنة وغير ذلك. توفي بمرو الروذ سنة 510هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام** ج2 ص258.

[3] مريم، 12

[4] محمد بن كعب هو: محمد بن كعب بن سُليم القرَظيّ المدني وهو ثقة عالم، مات سنة 120هـ أصله من بني قريظة. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب** ص438.

اتبعه، ما هذه التماثيل أي: الأصنام، والتمثال: اسم موضوع للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى، يقال مثلت الشيء بالشيء أي شبهته به، واسم ذلك الممثَّ تمثال، التي أنتم لها عاكفون أي مقيمون على عبادتها، قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين، أي نعبدها تقليدا لأسلافنا، قال: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين، أي في خسران بعبادتها إذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تعلم[1].

وربما يكون هذا الأسلوب من أنجح الأساليب الدعوية المستفادة من سيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام فمن غير الصحّيّ أن يتبع الداعية أسلوبا واحدا ويستمر عليه؛ لأن ذلك يدخل الملل إلى قلوب المدعوين فينفضُّوا عن الداعية، وبالنظر نجده عليه السلام قد استخدم أسلوب الحوار، الذي يفتح مجالات متعددة بين المتحاورين، ومن هذه المجالات إظهار مهارة طرح السؤال، الذي يؤدي إلى أن يؤكد المجيب صحة معتقده أو دحضه، وهذا بالضبط ما حصل مع هؤلاء القوم الذين رجعوا إلى أنفسهم وتبين لهم أنهم يظلمونها بعبادة تلك الأصنام وذلك بعد أن حطمها لهم فتى يدعى إبراهيم **﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾**[2] إلا أن هذه الصحوة لم تدم فقد عادوا مباشرة إلى كِبرهم المهلك، وقرروا حرق نبي الله بلا رحمة ولا هوادة، فالأمر يتعلق بكرامة آلهتهم الصمّاء **﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾**[3].

ثم قرر إبراهيم عليه السلام بعد ذلك مصارحة أبيه برأيه في معبوده الذي يصنعه بيديه **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾**[4] وبعد المداولات وتأكد إبراهيم عليه السلام من إصرار أبيه وقومه على الكفر قرر إعلان البراء منهم **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾**[5].

وسيأتي ذكر حواره معهم بشيء من التفصيل في موضعه إن شاء الله تعالى.

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ج11 ص296.

[2] الأنبياء، 64/ 56

[3] الأنبياء، 68

[4] الأنعام، 74

[5] الزخرف، 26

المطلب الثاني: الكواكب.

انفلت تفكير البشر خلال حقبات زمنية من أي عقال حتى عبدوا النجوم والكواكب والشمس والقمر، وقد ذكر القرآن ما كان من قوم سبأ على لسان هدهد سليمان عليه السلام **﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾**[1] ولم يغفل القرآن أيضا أن يحرم السجود لهذه الأجرام منعا لعبادتها كما كان في السابق **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾**[2] وربما يجد الباحث في أسباب هذا الانفلات العجيب ما قد يُعذروا به؛ فهم كانوا يفتشون دائما عن إله يُدرك بالحواس؛ ليتوصلوا من خلاله إلى الله الذي خلق السماوات والأرض **﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾**[3]. هذا مع علمهم الباطن أن هذه الآلهة لا تضر ولا تنفع، فاتجهوا لعبادة الأجرام السماوية نظرا لبعدها وعلوّها وشدة إضاءتها. وانطلاقا من هذا الاعتقاد بنى إبراهيم عليه السلام حوارا ذكيا مع قومه فيه استدراج لهم حين قال **﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ۝ فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ۝ فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾**[4] .

يتبيّن لنا من النظر في الآيات السابقة أن الأسباب التي تدعو القوم للخضوع لهذه المعبودات هي:

1. ظهورها ليلا عند اشتداد الظلمة.
2. بزوغها وشدة إضاءتها.

---

[1] النمل، 24

[2] فصلت، 37

[3] الزمر، 3

[4] الأنعام، 76 - 78

3. حجمها الهائل.

وهذه الأسباب مجتمعة تجعل من لا علم لـــه يصـــدق أن لهـــا ســـيطرة معينـــة علـــى العالم بشكل عام، وعلى البشر بشكل خاص، ويعدّ هذا قمـــة فـــي الـــذكاء مـــن إبـــراهيم عليه السلام أن يتحدث إليهم بهذا الأسلوب، وبهذا النسق العجيب. وسيأتي كـــلام العلمـــاء وآراؤهـــم فـــي حواره هذا في موضعه إن شاء الله تعالى.

المطلب الثالث: الملوك.

وُلد إبراهيم عليه السلام في زمن ملك طاغية متألـــه؛ ذكـــر الطبـــري أن اســـمه الضـــحّاك، وقال أيضا: أنه نمرود بن كوش بـــن كنعـــان بـــن حـــام بـــن نـــوح عليه السلام ويـــرجح الإمـــام الطبري أن الثاني الذي هو ملك بابل صـــاحب إبـــراهيم عليه السلام[1] وهـــو الـــذي أخبـــر عنـــه الله عز وجل في كتابه **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِـــي رَبِّـــهِ أَنْ آتَـــاهُ اللَّـــهُ الْمُلْـــكَ إِذْ قَـــالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَـــالَ أَنَـــا أُحْيِـــي وَأُمِيـــتُ قَـــالَ إِبْـــرَاهِيمُ فَـــإِنَّ اللَّـــهَ يَـــأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِـــنَ الْمَغْـــرِبِ فَبُهِـــتَ الَّـــذِي كَفَـــرَ وَاللَّـــهُ لا يَهْـــدِي الْقَـــوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[2] قال مجاهد[3]: " لم يملك الأرض كلهـــا إلا أربعـــة مؤمنـــان وكـــافران فالمؤمنـــان سليمان بن داود وذو القرنين والكافران فبخت نصر والـــذي حـــاجّ إبـــراهيم فـــي ربـــه"[4] والله أعلم، ومعنى قوله ألم تر أي بقلبك يا محمد (إلى الذي حـــاجّ إبـــراهيم فـــي ربـــه) أي وجـــود ربه؛ وذلك أنه أنكر أن يكون ثَمَّ إلهٌ غيره، كما قال بعـــده فرعـــون لمـــلأه: **﴿وَقَـــالَ فِرْعَـــوْنُ**

---

[1] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك** ج1 ص126 - 128.

[2] البقرة، 258

[3] هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ أما كتابه في التفسير فيتقيه المفسرون، لأنهم كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب، يقال: إنه مات وهو ساجد سنة 104هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج5 ص278.

[4] ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي أبو بكر (235هـ) **المصنف في الأحاديث والآثار** ط1 الرياض: مكتبة الرشد، 1409هـ، كتاب الفضائل باب ما ذُكر في ذي القرنين، ح31916. وانظر طرق الحديث: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ج6 ص358.

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[1] وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبّره وطول مدّته في الملك، وذلك أنه يقال انه مكث أربع مائة سنة في ملكه، ولهذا قال: أن آتاه الله الملك، وكان طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم: (ربيَ الذي يحيي ويميت) أي إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها، فلا بدّ لها من موجد أوجدها، وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له، فعند ذلك قال المحاجّ وهو النمرود: (أنا أحيي وأميت) قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي وغير واحد: وذلك أني أُوتَى بالرجلين قد استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل، وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة والظاهر والله أعلم أنه ما أراد هذا؛ لأنه ليس جوابا لما قال إبراهيم، ولا في معناه مانع لوجود الصانع، وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة، ويوهم أنه الفاعل لذلك، وأنه هو الذي يحيي ويميت، كما اقتدى به فرعون في قوله (ما علمت لكم من إله غيري) ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة: (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته، وتسخير كواكبه، وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلها كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب، فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت، أي أُخرس، فلم يتكلم، وقامت عليه الحجة، قال الله تعالى ﴿**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[2]أي لا يلهمهم حجة ولا برهانا بل ﴿**حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**[3] ﴾[4].

وربما يكون كلام ابن كثير رحمه الله تعالى مقنعا إلى حدّ ما، إلا أن فيه نظراً فكيف يجوّز إنسانٌ لنفسه أن يدّعي الإحياء والإماتة، إلا إذا كان قاصدا تأليه نفسه؟ ثم

[1] القصص، 38

[2] البقرة، 258

[3] الشورى، 16

[4] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ج1 ص 314.

إن ابن كثير ناقض رأيه في كلام النمرود عندما عطف فعل فرعون على فعل النمرود في ادعاء الألوهية، ومن المعلوم تأكيدا عندنا أن فرعون ادعى الربوبية لا الألوهية فقط **﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾**[1] هذان الملكان جاوزا الحد في الطغيان، ومن المرجح عندي أن النمرود دعا الناس إلى عبادته من دون الله، ووجد من ضعفاء الناس آذاناً صاغية، وقلوباً خاضعةً وأجساداً متذللةً لإله لا يستحق، إلا أنه استخف بهم فأطاعوه.

المبحث الثالث: بعثته وصحفه.

بالنسبة للعمر الذي بُعث فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام فقد قال تعالى **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾**[2] وربما تكون هذه الآية الوحيدة بالإضافة إلى قوله تعالى **﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾**[3] هي التي تشير إلى عمره عندما بُعث، وهو أنه كان فتى صغيرا حديث السن، فما المقصود بكلمة "الفتى" وما المقصود بكلمة "من قبل" وهل لذلك علاقة بتحديد عمره عليه السلام وقت البعثة؟

قال صاحب الكشاف:الرشد: الاهتداء لوجوه الصلاح، والرُّشد والرَّشَد كالعُدْم والعَدَم، ومعنى إضافته إليه أنه رشد مثله وأنه رشد له شأن. أما قوله تعالى: **﴿مِن قَبْلُ﴾** فهو يرجح أن ذلك عائد ومرتبط بالآية قبلها التي تتحدث عن موسى وهارون عليهما السلام، ويقصد أن إبراهيم عليه السلام أوتي النبوة والهداية قبلهما، وأن الله تعالى علم منه أحوالا وأسرارا عجيبة، وصفات استحق فيها أن يكون خليلا خالصا[4].

جاء في زاد المسير لابن الجوزي: قوله تعالى: **﴿ ولقد آتينا إبراهيم رُشْدَهُ﴾** أي: هُداه **﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾** وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: من قبل بلوغه، قاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

---

[1] النازعات، 24

[2] الأنبياء،51

[3] الأنبياء، 60

[4] الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي أبو القاسم (538هـ) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ط1 بيروت: دار الفكر، 1403هـ - 1983م، ج2 ص575. بتصرف

والثاني: آتيناه ذلك في العِلْم السابق، قاله الضحاك عن ابن عباس ﵄.

والثالث: مِنْ قَبْل موسى وهارون، قاله الضحاك. أما قوله تعالى: ﴿**وكُنَّا به عالِمين**﴾ أي: علمنا أنه موضع لإيتاء الرُّشد[1].

وقد جاء في مفاتيح الغيب للفخر الرازي: اعلم أن للرشد في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ**﴾ ثلاثة أقوال:

الأول: أنه النبوة واحتجوا عليه بقوله: ﴿ **وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ** ﴾ قالوا: لأنه تعالى إنما يخصّ بالنبوة من يعلم من حاله أنه في المستقبل يقوم بحقها، ويجتنب ما لا يليق بها، ويحترز عما ينفر قومه من القبول.

والثاني: أنه الاهتداء لوجوه الصلاح في الدين والدنيا، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**﴾[2] .

والثالث: وهو أن تدخل النبوة والاهتداء تحت الرشد؛ إذ لا يجوز أن يبعث نبي إلا وقد دله الله تعالى على ذاته وصفاته، ودله أيضاً على مصالح نفسه، ومصالح قومه، وكل ذلك من الرشد.

أما قوله تعالى: ﴿ **مِن قَبْلُ** ﴾ ففيه وجوه:

أحدها: آتينا إبراهيم نبوته واهتداءه من قبل موسى ﵇ عن ابن عباس ﵄.

وثانيها: في صغره قبل بلوغه، حين كان في السرب وظهرت له الكواكب فاستدل بها. وهذا على قول من حمل الرشد على الاهتداء؛ وإلا لزمه أن يحكم بنبوته﵇ قبل البلوغ عن مقاتل[3].

---

[1] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ) **زاد المسير في علم التفسير**، ط3 بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ، ج5 ص357.

[2] النساء، 6

[3] مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي أبو الحسن: من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة وتوفى فيها، كان متروك الحديث، من كتبه التفسير الكبير. توفي سنة 150هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام** ج7 ص281.

وثالثها: يعني حين كان في صلب آدم عليه السلام حين أخذ الله ميثاق النبيين عن ابن عباس رضي الله عنهما[1].

ومن الملاحظ هنا أن الفخر الرازي رحمه الله تعالى لم يرجح قولا على آخر، مع أن المتتبع لكلامه في المسألة يستشفّ ميله نحو المعنى الذي يفيد الاهتداء دون النبوة، ولم يرجح كذلك رأياً على الآخر في تفسير قوله تعالى **"من قبل"** إلا أنه يظهر في كلامه استبعاده أن يكون المعنى قبل البلوغ.

وقال الإمام ابوحيّان الأندلسي رحمه الله تعالى: لقد أبعد من ذهب إلى أن التقدير: "مِن قَبْلُ" أي من قبل بلوغه أو **"مِن قَبْلُ"** نبوته يعني حين كان في صلب آدم، حين أخذ الله تعالى ميثاق الأنبياء[2].

وعند النظر في أقوال المفسرين لا نجد اختلافا كبيرا في معنى الرشد بينهم، وأكثر أهل العلم على أن الرشد هو الهدى قبل النبوة، أي أنه عليه السلام وُفّق إلى النظر بالاستدلال، والراجح أن الكلمة جامعة مانعة؛ فهي تشمل كل أنواع الهداية بما في ذلك النبوة، أما السن التي نُبّئ بها عليه السلام فإن من قال بأن المقصود نبوته قبل موسى وهارون عليهما السلام فإنه لم يأت بجديد فهذا من المعروف نقلا وعقلا، ومن قال بأن المقصود في العلم السابق، وأظنه يعني اللوح المحفوظ، فقد أصاب لكنه لم يفسر، أما بالنسبة للرأي القائل بأنه أوتي النبوة قبل البلوغ فإن معنى كلمة فتى كما جاء في بعض معاجم اللغة: الفَتى: الشابُّ. والفتاةُ: الشابَّة. وقد فَتِيَ بالكسر يَفْتى فتًى، فهو فتِيٌّ السنّ بيِّن الفتاءِ. وقد ولد له في فتاءِ سنِّه أولاد. والأفْتاءُ من الدوابّ: خِلاف المسانّ، واحدها فَتِيٌّ. ويقال: لفلان بنتٌ تَفَتَّتْ، أي تشبَّهت بالفتياتِ، وهي أصغرهنّ[3].

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج11 ص29.

[2] أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أبو عبد الله (745هـ)، **البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم**، بيروت: دار الفكر، ج2، ص 219.

[3] الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (721هـ) **مختار الصحاح** طبعة جديدة، بيروت: مكتبة لبنان، 1415هـ - 1995م، مادة فتي ج1 ص206.

والراجح أنه عليه السلام بُعث وهو صغير السن قبل الأربعين، وهو ما تدل عليه كلمة فتى، وليست هذه المرة الوحيدة التي يبعث الله فيها نبيا حديث السن؛ إذ أنه جل وعلا بعث يحيى عليه السلام صبيا صغيرا فقال ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[1] والصَّبِيُّ: من لَدُنْ يُولَد إِلى أَنْ يُفْطَم[2] قال ابن حجر: ولا اختصاص لذلك بيحيي فقد قال عيسى وهو في المهد ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً[3]﴾[4].

قال ابن كثير: يا يحيى خذ الكتاب بقوة: أي تعلم الكتاب بقوة، أي بجد وحرص واجتهاد، "**وآتيناه الحكم صبيا**": أي الفهم والعلم والجد والعزم والإقبال على الخير والانكباب عليه والاجتهاد فيه، وهو صغير حدث[5].

قال ابن الجوزي: ولد يحيى عليه السلام قبل عيسى عليه السلام بستة أشهر، وقيل قبل أن يرفع عيسى عليه السلام وكان يحيى عليه السلام قد رزق الفطنة والفهم في زمن الصبا من الصغر، قال قتادة في قوله "**وآتيناه الحكم صبيا**" قال: ابن ثلاث سنين، وقال علماء السير: نُبّيء يحيى صغيرا فساح ثم دخل الشام يدعو الناس، وكان طعامه الجراد وقلوب الشجر، وكان يحيى كثير العبادة، غزير الدمعة[6].

وقال الإمام الفخر الرازي: الحكم في الآية هو فهم التوراة والفقه في الدين، أو هو العقل، وقد روي عن معمر بن راشد[7] أنه قال: بلغنا أن يحيى عليه السلام كان يقو

---

[1] مريم، 12

[2] ابن منظور، **لسان العرب** مادة صبا ج 14 ص 449.

[3] مريم، 30

[4] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ج8 ص362.

[5] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ج3 ص114.

[6] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (597هـ) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ط1 بيروت: دار صادر، 1358هـ. ج2 ص7.

[7] معمر بن راشد الأزدي مولاهم أبو عروة البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئا وكذا فيما حدث به بالبصرة من كبار السابعة مات سنة 54هـ. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب** ص 473.

للصبيان: **"ما للعب خلقنا"**[1]**.** أو هو النبوة؛ فإن الله تعالى أحكم عقله في صباه؛ لأن الله تعالى ذكر في هذه الآية صفات شرفه ومنقبته، ومعلوم أن النبوة أشرف صفات الإنسان فذِكْرُها في معرض المدح أولى من ذكر غيرها، ولأن الحُكم هو ما يصلح لأن يَحكم به على غيره ولغيره على الإطلاق، وذلك لا يكون إلا بالنبوة، وليس استبعاد صيرورة الصبي عاقلاً أشد من استبعاد انشقاق القمر وانفلاق البحر[2].

وقال ابن قيم الجوزية في معرض كلامه عن الحكمة وعلاقتها بالفلسفة: أصح الطوائف حكمة من كانت حكمتهم أقرب إلى حكمة الرسل التي جاءوا بها عن الله تعالى، قال تعالى عن نبيه داود ﷺ **﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ[3]﴾** وقال عن المسيح ﷺ **﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ[4]﴾** وقال عن يحيى ﷺ **﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً[5]﴾** والحكم هو الحكمة كما يقول الإمام ابن القيم - وقد قال لرسوله محمد ﷺ **﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً[6]﴾**وقال **﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الْأَلْبَابِ[7]﴾** وقال لأهل بيت رسوله ﷺ **﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً[8]﴾** فالحكمة التي جاءت بها الرسل هي الحكمة الحقيقية المتضمنة للعلم النافع والعمل الصالح للهدى ودين الحق لإصابة الحق اعتقادا وقولا وعملا وهذه الحكمة قسمها الله سبحانه بين أنبيائه ورسله وجمعها لمحمد ﷺ كما جمع له من المحاسن ما فرقه في الأنبياء قبله وجمع في كتابه من العلوم والأعمال ما فرقه في الكتب قبله فلو

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج64 ص183. والحديث ضعيف لأن معمر لم يسمّ من روى عنه.

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج10 ص276.

[3] ص، 20

[4] آل عمران، 48

[5] مريم، 12

[6] النساء، 113

[7] البقرة، 269

[8] الأحزاب، 34

جمعتَ كل حكمة صحيحة في العالم من كل طائفة لكانت من الحكمة التي أوتيها ﷺ جزءا يسيرا جدا لا يدرك البشر نسبته[1].

وليس لهذا العطاء الحكمة - عمراً معيناً لا تتجاوزه الحكمة الإلهية، بل إن الله تعالى يعطي من يشاء بالكيفية التي يشاء في أي وقت يشاء، وهذا ما يشير إليه ظاهر الآية الكريمة **﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الْأَلْبَابِ[2]﴾** وإلى هذا المعنى أشار عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عندما فسّر مجموعة من الآيات التي تبيّن عطاء الحكمة متمثلاً بتصرفات فتيةٍ آتاهم الله تعالى من الحكمة ما لم يؤت رجالا آخرين.

قال ابن عباس رضي الله عنه: ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا أوتي عالمٌ علماً إلا شابا ثم تلا هذه الآية **﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ[3]﴾** وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا عليه السلام الحكمة **﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً[4]﴾** وقال تعالى **﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً[5]﴾** وقال تعالى **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً[6]﴾** وقال تعالى **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً[7]﴾**[8].

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ) **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** ط2 بيروت: دار المعرفة، 1395هـ - 1975م. ج2 ص256-257.

[2] البقرة، 269

[3] الأنبياء، 60

[4] مريم، 12

[5] الكهف، 10

[6] الكهف، 13

[7] الكهف، 60

[8] الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (852هـ) **المستطرف في كل فن مستظرف** ط2 بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ 1986م، ج2 ص67.

فإذا صَدُق هذا الأمر في حق يحيى عليه السلام -وهو النبوة قبل البلوغ- فهو في جانب إبراهيم عليه السلام وتبليغه قبل الأربعين أثبت وأقرب للمنطق من باب أولى، وهو أبوه وأبو من بعدَه من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

أما صحفه عليه السلام فقد ذُكرت في القرآن الكريم، والواجب على المؤمن الإيمان الجازم بأن الله أنزل صحفاً على إبراهيم وموسى عليه السلام وسماها الصحف الأولى، وذكر بعضاً ممّا في هذه الصحف، فمن ذلك قوله تعالى **﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۞ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۞ أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۞ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۞ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى ۞ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۞ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ۞ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ۞ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى ۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ۞ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى۞ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى۞ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ۞وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ۞ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى۞ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾**[1] وقال تعالى: **﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۞ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۞ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾**[2] وما في هذه الآيات قد جاء في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام قال القرطبي: إن هذا القرآن لفي الصحف الأولى أي الكتب الأولى صحف إبراهيم وموسى يعني الكتب المنزلة عليهما ولم يرد أن هذه الألفاظ بعينها في تلك الصحف وإنما هو على المعنى أي إن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف[3]. وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **ثم لما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال رسول الله ﷺ: "كلها في صحف إبراهيم " فلما نزلت والنجم إذا هوى فبلغ وإبراهيم الذي وفّى "ألا تزر وازرة وزر أخرى" إلى قوله "هذا نذير من النذر الأولى"**[4].

---

[1] النجم، 36 - 58

[2] الأعلى، 14 - 19

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 20 ص 24.

[4] الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله (405هـ) **المستدرك على الصحيحين** ط 1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ - 1990م، كتاب التفسير، ح2930. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

أما ما ذُكر عنها في السنة النبوية فقليل جدا، ومنه مـا ورد عـن أبـي ذر الغفـاري ﷺ أنه اغتنم يوما وجود الرسول ﷺ وحده في المسجد، فجلـس إلـى جانبـه وسـأله أسـئلة عدة منها: قوله: يا رسول الله ما كانت صحيفة إبراهيم؟ فقـال: **"كانـت أمثـالا كلهـا: أيهـا الملك المسلط المبتلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الـدنيا بعضـها علـى بعـض، ولكنـي بعثتك لترد عني دعوة المظلوم؛ فإني لا أردها ولو كانت من كـافر، وعلـى العاقـل مـا لـم يكن مغلوبا على عقله أن تكون له ساعات: سـاعة ينـاجي فيهـا ربـه، وسـاعة يحاسـب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وسـاعة يخلـو فيهـا لحاجتـه مـن المطعـم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا لـثلاث: تَـزَوُّدٌ لمعـاد، أو مَرَمَّـةٌ[1] لمعـاش، أو لذة محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقـبلا علـى شـأنه، حافظـا للسـانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيمـا يعنيـه،** قلـت: يـا رسـول الله فمـا كانـت صحف موسى؟ **قال كانت عبرا كلها...** إلى آخر الحديث "[2]

المبحث الرابع: ابتلاءاته وأنواعها:

إن الابتلاء[3] سنةُ الله في خلقـه، وإنـه لمـا أراد أن يصـطفي خيـرتهم مـن بيـنهم لمهمة عظيمة، كان لا بد من اختبارهم؛ ليرى مدى صبره.

والابتلاء كما جاء في التسهيل لعلوم التنزيـل: هـو الاختبـار واختبـار الله لعبـده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه وقد كان الله عالما بذلك قبـل كونـه والإنسـان يُبتلـى بالخير والشر علـى حـد سـواء، قـال تعـالى **﴿وَنَبْلُـوكُمْ بِالشَّـرِّ وَالْخَيْـرِ فِتْنَـةً وَإِلَيْنَـا تُرْجَعُونَ[4]﴾**[1].

---

[1]مَرَمَّةً. ورَمُّ الأَمر: إِصلاحه بعد انتشاره؛ أنظر: ابن منظور **لسان العرب** مادة رمم ج 12 ص 251.

[2] ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم (354هـ) **صحيح ابن حبّان** ط2 بيروت: مؤسسة الرسالة 1414هـ - 1993م، كتاب البر والإحسان، ذكر استحباب أن يكون للمرء من الخير حظ، ح361. وقال المنذري: "رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم واللفظ له وقال: صحيح الإسناد": أنظر: المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد (656هـ) **الترغيب والترهيب** ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ، ج3 ص132.

[3] الابتلاء الاختبار بـيمين كان أَو غيرها. و أَبْلَـيْتَ فلاناً يميناً إِبْلاءً إِذا حلفتَ له فَطَيَّبتَ بها نفسه: انظر ابن منظور **لسان العرب** مادة بلي ج14 ص86.

[4] الأنبياء، 35

كما أن كل مسلم أنعم الله عليه بهذه النعمة العظيمة يعلم أن متطلبات الإسلام كبيرة، وطريق المسلم شاقة؛ خاصة إذا ثبت على المضيّ قدما نحو طاعة ربه، ونشر دينه، وهو ما يقتضيه التكليف الإلهي، التزاماً بهذا الدين، وإحقاقاً للحق، وإعلاءً لكلمة الله، وإن كان هذا حال المسلم فكيف بحال النبيّ ...قال تعالى **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾**[2]. وقد شاءت حكمة المولى سبحانه أن يبتلي عباده الصالحين بصروف متنوعة من الابتلاءات، فعن محمود بن لبيد[3] قال: إن رسول الله ﷺ قال: **"ثم ان الله عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع"**[4]. وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: ثم سألت رسول الله ﷺ أي الناس أشد بلاء؟ فقال: **"الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان رقيق الدين ابتلى على حسب ذاك وان كان صلب الدين ابتلى على حسب ذاك قال فما تزال البلايا بالرجل حتى يمشي في الأرض وما عليه خطيئة"**[5].

يتبين من النصوص السابقة أن الابتلاء مِنحةٌ في مِحنةٍ؛ فهو شوك طريق الداعية، وسنة الله في عباده المؤمنين فكيف بالأنبياء والمرسلين منهم .

وعلى هذا الأساس ابتلى الله تعالى رسوله وخليله إبراهيم عليه السلام والمقصد الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين[6]. وقد اشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب هي: -

---

[1] ابن جزي الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل** ج4 ص197.

[2] سورة محمد ﷺ 31

[3] هو محمود بن لبيد بن رافع بن امريء القيس، اختلف العلماء في صحبته، فذهب البخاري إلى أن له صحبة، وقد أخرج له أحمد حديثا في مسنده، وذكره ابن حبان في التابعين وقال إنه يروي المراسيل، وذكره ابن حجر في الصحابة لأن له رؤية، وأكثر روايته عن الصحابة. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة** ج5 ص 95.

[4] الشيباني، **مسند أحمد بن حنبل** ج5 ص427 ح23672.

[5] المصدر السابق، ج1 ص173 ح1494.

[6] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد أبو عبد الله (542هـ) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** بيروت: دار الفكر، ج5 ص259.

المطلب الأول: الابتلاء بالكلمات.

قال عز وجل **﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**[1].

نقل الإمام ابن كثير آراء بعض الصحابة والتابعين في تفسير لفظ الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام وسأذكر رأي ابن عباس رضي الله عنه حيث قال:" **ابتلاه الله بالمناسك"**[2] وعنه أيضاً قال:**"الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم فاتمهن: فراق قومه في الله حين أُمر بفراقهم ومحاجّته نمرود في الله حتى وقفه على ما وقفه عليه من خطر الأمر الذي فيه خلافهم وصبره على قذفه إياه في النار ليحرقوه في الله على هول ذلك من أمرهم والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده في الله حين أمره بالخروج عنهم وما أمره به من الضيافة والصبر عليها بنفسه وماله وما ابتلي به من ذبح ولده حين أمره بذبحه فلما مضى على ذلك من أمر الله كله وأخلص له قال الله له: أسلم قال: أسلمت لرب العالمين على ماكان من خلاف الناس وفراقهم "**[3]. وقال ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد في الرأس قص الشارب والمضمضة والإستنشاق والسواك وفرق الرأس وفي الجسد تقليم الأظفار وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء[4].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط"**[5] لكن هذا ليس بملزم لتكون هذه الأوامر هي الكلمات المذكورة في الآية.

---

[1] البقرة، 124

[2] الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين** كتاب التاريخ، ذكر اسحاق بن إبراهيم عليه السلام -من قال أن الذبيح هو إسحاق، ح4050. وقال صحيح الإسناد وشواهدها كثيرة وقد خرجتها في كتاب المناسك.

[3] ابن أبي حاتم الرازي، **تفسير القرآن** ج1 ص220.

[4] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ج1 ص166.

[5] متفق عليه، واللفظ لمسلم، **صحيح مسلم** كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ح257.

وقد ذكرت كتب التفسير هذه الأقوال وغيرها على أنها هي المراد بالكلمات؛ بشيء من التفصيل أحيانا، وبشيء من التحليل أحيانا أخرى، وقد رجح بعضهم قولا على الآخر، وبعضهم لم يرجح، بل إن الإمام القرطبي رحمه الله تعالى قال: قال أبو إسحاق الزجّاج: هذه الأقوال ليست بمتناقضة لأن هذا كله مما ابتُليَ به إبراهيم عليه السلام[1].

وهذه حقيقة في أن كل هذه الأمور مما يُبتلى فيه الإنسان، فيما عدا أمور الفطرة، فإنها من الأمور السهلة على النفس بل هي من مستلزمات الحياة، ومستكمِلات الإنسانية، وهي ما جُبل عليه الإنسان بوجه عام من حبه للنظافة، وما جُبل عليه الأنبياء بصفة خاصة استكمالاً للطهارة الداخلية.

أما الإمام الطبري رحمه الله تعالى فقال: قد تكون تلك الكلمات هي جميع ما ذُكر في تأويل الكلمات وجائز أن تكون بعضه لأن إبراهيم عليه السلام كان قد امتحن بكل ذلك فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه وإذ كان ذلك كذلك فغير جائز لأحد أن يقول: إن الله تعالى عنى بالكلمات التي ابتلى بها إبراهيم شيئا من ذلك بعينه دون شيء ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرسول ﷺ أو إجماع ولم يصح فيه شيء من ذلك غير أنه روي عن النبي ﷺ في نظير معنى ذلك خبران لو ثبتا أو ثبت أحدهما لكان القول به أرجح في تأويل الكلمات[2] ثم ذكر الإمام الطبري الخبرين:

* أما الحديث الأول فهو عن التابعي سهل بن معاذ بن أنس الجهني[3] عن أبيه قال كان النبي ﷺ يقول: **ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفّى لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: "فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى يختم الآية"[1].**

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ج2 ص98.

[2] الطبري، **جامع البيان** ج1 ص528.

[3] سهل بن معاذ بن أنس الجهني كان يحيى بن معين يقول: سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه ضعيف. أنظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي (327هـ) **الجرح والتعديل** ط1 بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1271هـ - 1952م، ج4 ص203.

* والحديث الآخر عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"وإبراهيم الذي وفّى قال أتدرون ما وفّى؟"** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **"وفّى عمل يومه أربع ركعات في النهار"** ثم قال: غير أنهما خبران فيهما نظر[2].

أما الرواية الكاملة للحديث الأول فهي: عن عبد اللَّهِ بن عَبَّاسٍ ﷺ عن رسول اللَّهِ ﷺ قال: **"من قال حين يُصْبِحُ فسُبْحَانَ اللَّهِ حين تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ في السماوات وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ الآيَةَ كُلَّهَا أَدْرَكَ ما فَاتَهُ في يَوْمِهِ وَمَنْ قَالَهَا حين يُمْسِي أَدْرَكَ ما فَاتَهُ لَيْلَتَهُ"**[3].

ولم يظهر فيها أي ذكر لسيدنا إبراهيم عليه السلام أما الخبر الثاني فروايته الصحيحة هي: عن سعيد بن جبير قال: "وإبراهيم الذي وفّى" قال: **"بلّغ ما أُمر به"**"[4].

وقد استبعد الشيخ محمد عبده[5] أن تكون الكلمات هي: الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقال: لو كُلّف بها صبيٌّ مميز لأتقنها،

---

[1] الطبري، **جامع البيان** ج27 ص73. والحديث ضعيف لأن في سنده زبان بن فائد من أهل مصر يروي عن سهل بن معاذ بن أنس وهو منكر الحديث. أنظر: البستي، محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي أبو حاتم (354هـ) **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، ط1 حلب: دار الوعي، 1396هـ،ج1 ص3134.

[2] الطبري، **جامع البيان**، ج1 ص528 والحديث ضعيف جدا لأن فيه جعفر بن الزبير الحنفي أو الباهلي الدمشقي نزيل البصرة، قال ابن حجر: متروك الحديث وكان صالحا في نفسه مات بعد الأربعين. أنظر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي(852هـ) **تقريب التهذيب** ط1 بيروت: مؤسسة الرسالة، 1416هـ-1996م. ص79.

[3] الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (360هـ) **المعجم الكبير**، ط2 الموصل: مكتبة الزهراء، 1404هـ - 1983م، ج12 ص239 ح12991. والحديث ضعيف لأن فيه سعيد بن بشير الأنصاري وهو مجهول من السابعة. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب** ص173.

[4] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار** كتاب الفضائل، ذكر ما أعطى الله إبراهيم وفضله به، ح31814.

[5] هومحمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وتصوف وتفلسف. وعمل في مجالات عدة كان آخرها التعليم إلى أن توفي بالاسكندرية، ودفن في القاهرة سنة 1323هـ. له تفسير القرآن الكريم لم يتمه، وكتبه تلميذه محمد رشيد رضا، وله رسالة التوحيد وغير ذلك. أنظر: الزركلي، **الأعلام** ج6 ص252.

وأتمّها، ولا يُعدّ هذا أمرا عظيما، وأن فائــدة هــذا الابــتلاء هــو تعريــف إبــراهيم عليه السلام بنفسه، وأنه جدير بما اختصه الله تعالى به[1].

وقد رجح القاسمي أن معنى الكلمات هــو ابــتلاؤه بالإســلام، فأســلم لــرب العالمين، وابتلاؤه بالهجرة، فخرج من بلاده مهــاجرا إلــى الله، وابــتلاؤه بالنــار فصــبر عليها، وابتلاؤه بالختان فصبر، وابتلاؤه بذبح الولد فصبر واحتسب[2].

والراجح عندي هو ما رجحه القاسمي، والذي يبــدو مــن حيــاة إبــراهيم عليه السلام أنهــا كانت نسقاً متكاملاً من الابتلاءات اللائقة بخليل الله تعــالى، والتــي اســتحق بالصــبر عليهــا مقام الخلّة، وأبوّة الأنبياء، وخاصية العزم، وخصالا أخرى كثيــرة، يضــيق المقــام بــذكرها في بحثي المتواضع هذا.

المطلب الثاني: الابتلاء بمحاولة الاعتداء على الزوجة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لــم يكــذب إبــراهيم عليــه الســلام إلا ثلاث كذبات: ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قولــه إنــي ســقيم، وقولــه بــل فعلــه كبيرهم هذا، وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى علــى جبــار مــن الجبــابرة، فقيــل لــه: إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن النــاس، فأرســل إليــه فســأله عنهــا، فقــال: مــن هذه؟ قال أختي، فأتى سارة، فقال: يــا ســارة لــيس علــى وجــه الأرض مــؤمن غيــري وغيرك، وإنّ هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فــلا تكــذبيني، فأرســل إليهــا، فلمــا دخلــت عليه ذهب يتناولها بيده، فأُخــذ، فقــال: ادعــي الله ولا أضــرك، فــدعت الله فــأُطلق، ثــم تناولها الثانية فأُخذ مثلها أو أشــد، فقــال: ادعــي الله لــي ولا أضــرك، فــدعت فــأُطلق، فدعا بعض حجبته فقال: إنكــم لــم تــأتوني بإنســان إنمــا أتيتمــوني بشــيطان، فأَخــدَمَها**

---

[1] رضا، **تفسير المنار** ج1 ص374.

[2] القاسمي، محمد جمال الدين (1332هـ) **محاسن التأويل** ط1 القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1376هـ - 1957م، ج2 ص245.

هاجر، فأتته وهو يصلي، فأومأ بيده مهـيم[1] قالـت: ردّ الله كيـد الكـافر أو الفـاجر فـي نحره، وأخدم هاجر، قال أبو هريرة: "تلك أمكم يا بني ماء السماء[2]" "[3].

ربما تكون هذه من أعظم الابتلاءات التي قـد يتعـرض لهـا مسـلم عفيـف الـنفس على وجه الأرض، فمن ذا الذي يصبر على احتمال الاعتـداء علـى زوجتـه، فضـلا عـن التأكد من وقوع ذلك؟ وربما تطرح بعض الأسـئلة نفسـها بفضـول شـديد فـي مثـل هـذا الموقف، ومن هذه الأسئلة التي أقحمت نفسها في بحثي:

ما الذي جعل إبراهيم ﷺ يذهب إلى مصر؟

ما الذي جعله متأكدا من أن الملك سيعتدي على زوجته؟

ما الذي منعه من حمايتها أوقتل الملك دفاعاً عنها، أو حتى الدعاء عليه؟

لماذا سماها أخته، وطلب منها أن تؤكد المعلومة؟

قال الإمام ابن حجر العسقلاني: واختلف فـي السـبب الـذي حمـل إبـراهيم علـى هذه الوصية، مع أن ذلك الظالم يريـد اغتصـابها علـى نفسـها، أختـا كانـت أو زوجـة، فقيل: كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لـذوات الأزواج، كـذا قيـل ويحتـاج إلـى تتمة: وهو أن إبراهيم أراد دفع أعظـم الضـررين بارتكـاب أخفهمـا؛ وذلـك أن اغتصـاب الملك إياها واقع لا محالة، لكن إن علم أن لها زوجا في الحيـاة حملتـه الغيـرة علـى قتلـه وإعدامه، أو حبسه وإضراره، بخلاف ما إذا علم أن لهـا أخـا؛ فـإن الغيـرة حينئـذ تكـون من قبل الأخ خاصة، لا من قبل الملك فلا يبـالي بـه، وقيـل: أراد إن علـم أنـك امرأتـي ألزمني بالطلاق، وقيل: كان من دين الملك أن الأخ أحـق بـأن تكـون أختـه زوجتـه مـن

---

[1] مهيم: ما أمركم، ما شأنكم: ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد (606هـ) **النهاية في غريب الحديث والأثر** بيروت: دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج4 ص 378.

[2] قا أبو هريرة: "تلك أمكم يا بني ماء السماء" كأنه خاطب بذلك العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر لأجل رعى دوابهم، ففيه تمسك لمن زعم أن العرب كلهم من ولد إسماعيل، وقيل: أراد بماء السماء زمزم لأن الله أنبعها لهاجر فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ج6 ص394.

[3] متفق عليه واللفظ للبخاري، البخاري، **صحيح البخاري** كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى "واتخذ الله إبراهيم خليلا" ح3179.

غيره، فلذلك قال هي أختي اعتمادا على ما يعتقده الجبار، فلا ينازعه فيها، فلذلك قال إبراهيم: هي أختي؛ لأنه إن كان عادلا خطبها منه، ثم يرجو مدافعته عنها، وإن كان ظالما خلص من القتل، وقوله: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، يشكل عليه كون لوط كان معه، كما قال تعالى **"فآمن له لوط"**[1] ويمكن أن يجاب بأن مراده الأرض التي وقع له فيها ما وقع، ولم يكن معه لوط إذ ذاك، وقوله فأخدمها هاجر أي وهبها لها لتخدمها؛ لأنه أَعْظَمَها أن تخدم نفسها، وفي رواية مسلم **"فأخرِجها من أرضي وأعطِها آجراً"** ذكرها بهمزة بدل الهاء، وهي كذلك في رواية الأعرج والجيم مفتوحة على كل حال، وهي اسم سرياني، ويقال إن أباها كان من ملوك القبط، وإنها من حَفَنْ، بفتح المهملة وسكون الفاء، قرية بمصر، وقوله: قال أبو هريرة: **"تلك أمكم يا بني ماء السماء"** كأنه خاطب بذلك العرب؛ لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر؛ لأجل رعى دوابهم، ففيه تمسك لمن زعم أن العرب كلهم من ولد إسماعيل، وقيل أراد بماء السماء زمزم؛ لأن الله أنبعها لهاجر فعاش ولدها بها، وقيل سموا بذلك لخلوص نسبهم وصفائه فأشبه ماء السماء، وفي الحديث مشروعية أخوة الإسلام، وإباحة المعاريض، والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب، وقبول صلة الملك الظالم، وقبول هدية المشرك، وإجابة الدعاء بإخلاص النية وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله الصالح، وفيه أن من نابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفزع إلى الصلاة[2].

لم يكن إبراهيم عليه السلام ليجلس قرير العين، هادئ البال لو لم يكن عنده علم من الله تعالى بأنه سينجيه وزوجته من هذا الطاغية، وما كان الله تعالى ليسمح بأن يُدنّس البيت الطاهر، إلا أن الابتلاء يأتي على قدر الإيمان، والمحبة، لتزداد به الحسنات، وترتفع به الدرجات، فما حدث مع سارة رضي الله عنها من محاولة الاعتداء، هو ما حدث مع مريم عليها السلام من الرمي بالتهم، وهو ما حاول اليهود والمنافقون رمي عائشة رضي الله عنها به، لكن

[1] العنكبوت، 26

[2] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ج6 ص363.

بطرق وأساليب مختلفة، فما زادهنّ هــذا الابــتلاء، ومــا زاد أزواجهــنّ وأهلهــنّ إلا إيمانــاً بالله، وتسليماً لأمره.

يقول الشيخ أحمــد البــراء الأميــري[1]: الأولــى عنــدي أن يقــال: إن إبــراهيم عليه السلام رسول مؤيد بوحي من الله، وهو لا يمكــن أن يقــدم زوجتــه بهــذه الســهولة لملــك جبــار فاجر، ليعاشرها معاشرة الأزواج، ما لم يكن قد علم من ربــه شــيئا، ووعــده بحفــظ عفــاف زوجته وطهرها، وإن الرجل العاديّ ليغلي الدم في عروقه مــن مثــل هــذا، ويبــذل روحــه من دون تردد للمحافظة على شرفه وعرضــه، فكيــف بــأبي الأنبيــاء، وخليــل الــرحمن؟! هل يؤثر الحياة، ويخاف من الجبار، ويدفعه خوفــه إلــى الاســتكانة والتخــاذل؟ مــا أظــن ذلك يكون[2]. وهذا ما أؤيده وأراه منطقيا.

المطلب الثالث: الابتلاء بالإلقاء في النار.

لا يمكن لعقل سليم أن يتخيّل ملكا يأمر بإضرام نــار عظيمــة ليلقــي بهــا فتــى دون ذنب يُذكر إلا أنه دعا إلى توحيد الله، إلا وخــرج ذلــك العقــل عــن ســلامته إلــى دهشــة أعظم من النار الموقدة، فكيف بالدهشة إذا علم العاقــل أن معظــم أهــل البلــد ســاعدوا فــي إضرام النار وأن والد الفتى هو من الشاهدين على ذلك دون أي اعتراض

ذكر الله تعالى موقف إلقاء إبــراهيم عليه السلام فــي النــار بشــيء مــن الإجمــال، تاركــا ذكر عمره حينئذ، ومكان تنفيذ الحكم الجــائر، وزمانــه، ومــا ذلــك إلا لأن القــرآن الكــريم يهتم بأخذ العبرة والعظة من القصة، كما أن العلم بهذه التفاصــيل لا يفيــد، والجهــل بهــا لا يضرّ. قال تعالى **﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِــنْ دُونِ اللَّــهِ مَــا لا يَــنْفَعُكُمْ شَــيْئاً وَلا يَضُــرُّكُمْ ۝ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ۝ قَــالُوا حَرِّقُــوهُ وَانْصُــرُوا آلِهَــتَكُمْ إِنْ كُنْــتُمْ**

---

[1] أحمد البراء بن عمر بهاء الدين الأميري ولد عام 1944 في قرنايل في سورية، عضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، نشر العديد من مقالاته وقصصه المترجمة وقصائده في المجلات والصحف العربية مثل: الفيصل، المسلمون، أهلا وسهلا، من مؤلفاته: إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم. أنظر: www.wa3i.org.sa/news.php

[2] الأميري، أحمد البراء، **إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم**، ط1. جده: دار المنارة. 1406هـ - 1986م. ص 116.

فَاعِلِينَ ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾[1] ومما لا يخفى على أحد أن السبب المباشر في صدور هذا الحكم هو تحطيم إبراهيم عليه السلام للأصنام عندما كان قومه خارج المدينة يحتفلون بعيد من أعيادهم.

قال القرطبي: روى كعب الأحبار رضي الله عنه عن النبي ﷺ: إن إبراهيم حين قيدوه ليلقوه في النار قال: **"لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك"** قال ثم رموا به في المنجنيق من مضرِب شاسع، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: **"أما إليك فلا"** فقال جبريل فاسأل ربك، فقال: **"حسبي من سؤالي، علمه بحالي"** فقال الله تعالى وهو أصدق القائلين **"يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم"**[2]. قال بعض العلماء: جعل الله فيها بردا يرفع حرّها، وحرًّا يرفع بردها، فصارت سلاما عليه، قال أبو العالية: ولو لم يقل بردا وسلاما لكان بردها أشد عليه من حرها، ولو لم يقل على إبراهيم لكان بردها باقيا إلى الأبد.

إن الملاحظ هنا أن الله تعالى لم يتخلّ عن خليله في وقت الشدة؛ وذلك لتواصله معه في وقت الرخاء، وكيف لشابٍّ يبلغ عمره في الرواية التي أعطته العمر الأكبر ستاً وعشرين سنة أن يستسلم للنار هكذا دون مقاومة تُذكر إلا أنه كان يعلم من الله ما لم يعلمه أرباب الفجور، مما يدل في رأيي أنه كان قد نُبّئ قبل ذلك الوقت، ثم إن كلامه مع جبريل يدل على ذلك أيضا. والله تعالى أعلم.

وقد جاء في زاد المسير: ذكر أهل التفسير أنهم حبسوا إبراهيم عليه السلام في بيت، ثم بنوا له حيرا[3] طول جداره ستون ذراعا إلى سفح جبل منيف[4] ونادى منادي الملك أيها الناس احتطبوا لإبراهيم ولا يتخلفن عن ذلك صغير ولا كبير فمن تخلف ألقي في

---

[1] الأنبياء، 66 -70

[2] العجلوني، **كشف الخفا** ج1 ص472.

[3] حار يحار حيرة و حيرا بسكون الياء فيهما تحير في أمره فهو حيران وقوم حيارى و حيره فتحير ورجل حائر بائر إذا لم يتجه لشيء والحيرة بالكسر مدينة بقرب الكوفة، والحيْر شبه الحظيرة أو الحمى. أنظر: الرازي، **مختار الصحاح** مادة حيرج1 ص69. ويظهر من المعاني أن الحير مكان مسوّر بسور دائري، يشعر المحبوس فيه أنه تائه وحائر.

[4] أناف الجبل وأناف البناء فهو جبل منيف وبناء منيف أي طويل. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب** مادة نوف ج9 ص342.

تلك النار، ففعلوا ذلك أربعين ليلة، حتى إن كانت المرأة لتقول إن ظفرت بكذا لأحتطبنّ لنار إبراهيم، حتى إذا كان الحطب يساوي رأس الجدار سدوا أبواب الحير وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها، حتى إن كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة حرها، ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا إبراهيم على رأس البنيان، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء فقال: **"اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل"** فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا إبراهيم يحرق فيك فائذن لنا في نصرته. فقال: **"أنا أعلم به وإن دعاكم فأغيثوه"** فقذفوه في النار وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل ست وعشرين فقال: **"حسبي الله ونعم الوكيل"** فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: **"أما إليك فلا"** قال جبريل: فسل ربك فقال: **"حسبي من سؤالي علمه بحالي"** فقال الله عز و جل: **"يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم"**[1]

والأهم من ذلك كله أنه لم يتّجه لغير الله تعالى، وهذا يؤكد بلا شك أن هذه هي طريق كل صاحب رسالة على اختلاف الرسالات واختلاف أهدافها، فسواء كان الهدف عقائديا أو علميا أو اجتماعيا إصلاحيا، فإن الشواهد المنقولة تؤكد على محاربة المجتمع لحامل الرسالة ومبلّغها.

وعندما يرى الله تعالى صبر المبتلى، ويقين قلبه، يؤيّده بنصره، ويثبت قلبه المطمئن، فتسكن جوارحه بالرضا بقدر الله وقضائه، وهو بحد ذاته نصر مؤزّر، وقد يرفع الله تعالى البلاء بمعجزة تؤيّد نبيّه أو رسوله، وتُسكت أعداءه، كما فعل مع خليله عليه السلام وقد يرفع البلاء عن الولي الصالح بكرامة يزيد بها إيمانُه، وتقوى عزيمتُه وتقواه، فتكون له العاقبة مصداقا لقوله تعالى **﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾**[2].

---

[1] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (597هـ) **زاد المسير في علم التفسير** ط3 بيروت: المكتب الإسلامي، ج5 ص367.

[2] طه، 132

المطلب الرابع: الابتلاء بذبح الولد.

عندما نتتبع أقوال المفسرين في قصة الذبح والفداء نجد الاختلاف بينهم واضحا في تحديد من هو الذبيح؟ ومما لا يخفى على طلاب العلم ومعلميه أن سبب الاختلاف هو التأثر بما ورد من روايات بني إسرائيل، ولأن المقصود هنا بيان الابتلاء والصبر عليه، فإنني سأسرد هذه الاختلافات بشيء من الإيجاز.

قال جلّ شأنه **﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾**[1].

يرجح الإمام الطبري أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام [2]. وكذلك يرجح الإمام القرطبي أنه إسحاق عليه السلام قال ابن عباس: بشر بنبوته وذهب إلى أن البشارة كانت مرتين فعلى هذا الذبيح هو إسحاق بشر بنبوته جزاء على صبره ورضاه بأمر ربه واستسلامه له ثم نقل وقد قيل إن الكناية في عليه تعود على إسماعيل وذلك لأن الله تعالى يذكر قبل آيات الذبح تبشيره بغلام حليم **﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾**[3] ثم يذكر بعد الانتهاء من قصة الذبح والفداء اسم الغلام الثاني الذي بشره به صراحة وهو إسحاق **﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**[4][5].

قال ابن حجر: وأخرج بن إسحاق في المبتدأ عن ابن عباس فوالذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة. وأخرجه أحمد أيضا عن عثمان بن أبي طلحة قال: أمرني رسول الله ﷺ فواريت قرني الكبش حين دخل البيت. وهذه الآثار من أقوى الحجج لمن قال إن الذبيح إسماعيل[6].

---

[1] الصافات، 102 - 107

[2] الطبري: **جامع البيان** ج23 ص 85.

[3] الصافات، 101

[4] الصافات، 112

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ج15 ص 113. بتصرف.

[6] ابن حجر العسقلاني **فتح الباري**، ج12 ص378.

وقد جاء في المستدرك: عن عبد الله بن سعيد الصنابحي قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق بن إبراهيم فقال بعضهم: الذبيح إسماعيل وقال بعضهم: بل إسحاق الذبيح فقال معاوية: سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه الأعرابي فقال: يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا هلك المال وضاع العيال فعد علي بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه، فقلنا: يا أمير المؤمنين وما الذبيحان قال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم وقالوا: أرض ربك وافد ابنك قال: ففداه بمائة ناقة قال: فهو الذبيح وإسماعيل الثاني[1].

أما الشيخ محمد رشيد رضا فيرجح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام [2].

وما يهمنا هنا بشكل خاص هو صبر إبراهيم وولده عليه السلام على أمر الله الذي يشق على النفس الإنسانية بغض النظر عن قوّتها؛ فإنها لو كانت نفسا رحيمة، أو جبارة، أو خبيثة، أو نفسا أصابتها القسوة، وباتت تلفّها أعتى معاني الغلظة، فإنها لا تحتمل ذبح ولدها بيدها، وإن تعودت على مثل تلك المشاهد للغير، فكيف استطاعت قدما أبي الأنبياء عليه السلام مطاوعته والمضي لتنفيذ الحكم؟ وكيف لم ترتجف يداه الطاهرتان وهو يمسك بالسكين ويمرره على عنق فلذة كبده؟ ليس لذلك إجابةٌ إلا الرضا المطلق بقضاء الله تعالى، والقنوت الحقيقي في جنبه، وهو الإيمان ذاته الذي ظهر في قلب أبينا عليه السلام يوم ألقي في النار، ويوم تعرضت زوجته للابتلاء هذا الإيمان الحقيقي الذي لو وُزّع في زماننا الخاليَ هذا على أهل الأرض لوسعهم.

المبحث الخامس: منزلته عند الله تعالى.

لم يكن إبراهيم عليه السلام رجلا عادياً، بل كان رجلا متميزاً في كل ما يقول ويفعل، حتى استحق من الله تعالى معجزات وكرامات لم يستحقها أحد من عامة البشر. إلا

[1] الحاكم النيسابوري **المستدرك على الصحيحين** كتاب ذكر إبراهيم النبي خليل الله عز وجل، باب ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهمت، ح4036.

[2] رضا، **تفسير المنار** ج12 ص 212.

رسول الله ﷺ ولأجل هذه الصفات التي صقلت شخصيته، ذكره الله تعالى في مواضع عديدة من كتابه العزيز، في آيات تتلى حتى قيام الساعة، جعلت من شخصيته مثالا يتمنى كل إنسان أن يسير على خطاه، بل ويحشر معه، ويجاوره في الجنة، وهذه الصفات هي ما سأتناوله في المطالب الآتية.

المطلب الأول: صفاته في القرآن الكريم.

وصف الله تعالى عبده ونبيّه إبراهيم عليه السلام بأوصاف عدة في كتاب يُتلى حتى قيام الساعة، وأهم هذه الصفات التي اكتسبها من دينه هي حنيفيته السمحة[1] قال تعالى **﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[2] ثم إن الله تعالى سمى الراغب عن ملة إبراهيم عليه السلام سفيها[3] فقال **﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾**[4].

وقد أوتي عليه السلام الرشد منذ كان صغيرا **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ﴾**[5] ومن الرشد الظاهر في شخصيته أنه كثير الندم على معاصيه وإن صغرت، شديد الحلم على من يخطئ معه مع عظم الخطأ **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾**[6] وليس هذا فحسب بل إنه أيضا دائم التوبة والرجوع إلى الله **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾**[7] جاء في مفاتيح الغيب: وهذا مدح عظيم من الله تعالى لإبراهيم، أما الحليم فهو الذي لا يتعجل بمكافأة غيره، بل يتأنى فيه فيؤخر ويعفو، ثم ضم إلى ذلك ماله تعلق

---

[1] قد حَنَفَ وتَحَنَّفَ. والدينُ الحنيف: الإسلام، و الحَنِيفِيَّة: مِلة الإسلام. والحنفاء: جَمْع حَنِيفٍ، وهو المائل إلى الإسلام الثابتُ عليه. وفي الحديث: بُعِثْتُ بالحنيفية السَّمْحة السَّهْلةِ: ابن منظور، **لسان العرب** مادة حنف ج9 ص58.

[2] البقرة، 135

[3] يقال: إنما البغي فعل مَن سَفِه الحق، والسفه في الأصل الخفّة والطيشُ وسَفِه فُلان رأيَه إذا كان مُضْطربا لا استِقامَ له: ابن الأثير الجزري، **النهاية في غريب الحديث** ج2 ص 376.

[4] البقرة، 130

[5] الأنبياء، 51

[6] التوبة، 114

[7] هود، 75

بالحلم وهو قوله: **"أوّاه منيب"** لأن من يستعمل الحلم في غيره فإنه يتأوه إذا شاهد وصول الشدائد إلى الغير فلما رأى مجيء الملائكة لأجل إهلاك قوم لوط عظم حزنه بسبب ذلك وأخذ يتأوه عليه فلذلك وصفه الله تعالى بهذه الصفة، ووصفه أيضا بأنه منيب، لأن من ظهرت فيه هذه الشفقة العظيمة على الغير فإنه ينيب ويتوب ويرجع إلى الله في إزالة ذلك العذاب ومن باب أولى صون النفس عن الوقوع في عذاب الله بالتوبة والإنابة[1].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: وهو أنَّه كان حليمًا لا يُحِبُّ الْمُعَاجَلَةَ بِالعقَاب، كَثِيرَ التَّأَوُّهِ مِمَّا يَسوء ويؤلم مُنِيبٌ يَرْجِعُ إِلَى اللهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ[2].

ولم تكن هذه الصفات لتوجد إلا في قلب سليم كما أخبر عنه المولى عز وجل **﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**[3] قال السيوطي: القلب السليم هو القلب الخالي من الشك في الله، والشرك به، ويشهد بأنه لا إله إلا هو[4].

وقلب إبراهيم عليه السلام أسلم القلوب في زمانه؛ إذ لم يكن على وجه الأرض مؤمن غيره وزوجته سارّة وابن أخيه لوط عليه السلام كما ثبت في الحديث الذي ذكرته في مطلب الابتلاء بالاعتداء على الزوجة[5].

ولم يُعطَ إنسان فوق النبوة عطاءً فهي أشرف العطايا، وأعظمها، **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾**[6] وقد فسر معظم العلماء الحكمة في الآية على أنها النبوة، قال ابن المنذر[7]: الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، ومُحَمَّد ﷺ من آل إبراهيم[1]. والمقصود

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج2 ص 18.

[2] رضا، **تفسير المنار** ج 12 ص 109.

[3] الصافات، 84

[4] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (911هـ) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، ج2 ص252.

[5] أنظر صفحة 59.

[6] النساء، 54

[7] هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، أبو بكر: فقيه مجتهد، من الحفاظ. كان شيخ الحرم بمكة. قال الذهبي: ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها منها المبسوط في الفقه، والأوسط في السنن، وتفسير القرآن، توفي سنة319هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام** ج5 ص294.

من كلام ابن المنذر أن الله تعالى أعطى آل إبراهيم عطاءً جزيلاً، بل هو أفضل العطاء وأجلّه على الإطلاق، وهو النبوة، ومحمد ﷺ من آل إبراهيم عليه السلام وهو أفضلهم على الإطلاق.

أما الرازي فقد ذكر أن للحكمة معان ثلاثة: المواعظ، العلم والفهم، والنبوة، وهي أعظم مراتب الملك[2]. أما السيوطي فقد رجح أن تكون الحكمة هي السنة[3].

وكذلك فقد وصفه الله تعالى بأنه صديق فقال **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾**[4] قال الفخر الرازي: الصدّيق هو الذي يكون كثير التصديق بالحق حتى يصير مشهوراً به، وذلك لأن المصدق بالشيء لا يوصف بكونه صديقاً إلا إذا كان صادقاً في ذلك التصديق، فيعود الأمر إلى الأول، فالمؤمنون بالله ورسله صادقون في ذلك التصديق، والنبي يجب أن يكون صادقاً في كل ما أخبر عنه؛ لأن الله تعالى صدّقه ومصدَّق اللهِ صادق، فلما ثبت أن كل نبي يجب أن يكون صديقاً ولا يجب في كل صديق أن يكون نبياً، ظهر بهذا قرب مرتبة الصديق من مرتبة النبي، فلهذا انتقل من ذكر كونه صديقاً إلى ذكر كونه نبياً. وأما النبي فمعناه كونه رفيع القدر عند الله وعند الناس وأي رفعة أعلى من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده. وقوله: **"كَانَ صِدّيقاً"** قيل: إنه صار وقيل إن معناه وجد صديقاً نبياً أي كان من أول وجوده إلى انتهائه موصوفاً بالصدق والصيانة[5].

وفوق كل هذه الصفات فهو كريم **﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾**[6] في هذه الآية يسأل الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ إذا كان قد سمع عن ضيوف أبيه إبراهيم عليه السلام المكرَمين وقد جاء الردّ في آية أخرى **﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى**

---

[1] ابن المنذر النيسابوري، محمد بن إبراهيم أبو بكر (319هـ) **تفسير القرآن**، ط1 المدينة المنورة: دار المآثر، 1423هـ 2002 م، ج2 ص 775.

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج 4 ص 7 و ص161.

[3] السيوطي، **الدر المنثور** ج3 ص 408.

[4] مريم، 41

[5] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج10 ص 311.

[6] الذاريات، 24

﴿قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[1] قال القرطبي: في الآية أربع عشرة مسألة منها:

الأولى قوله تعالى **"فما لبث أن جاء"** أن بمعنى حتى جاء، قاله كبراء النحويين، حكاه ابن العربي[2] والتقدير فما لبث حتى جاء، أي ما أبطأ عن مجيئه بعجل حنيذ، وحنيذ مشوي، وقيل هو المشوي بحر الحجارة دون أن تمسه النار، يقال: حنذتُ الشاة أحنِذُها حنذا أي شويتها، وجعلت فوقها حجارة محماة لتنضجها، فهي حنيذ، وإنما جاء بعجل لأن البقر كانت أكثر أمواله.

الثانية في هذه الآية من أدب الضيف أن يعجل قراه فيقدم الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جدة ولا يتكلف ما يضر به، والضيافة من مكارم الأخلاق، ومن آداب الإسلام، ومن خلق النبيين والصالحين، وإبراهيم عليه السلام أول من أضاف[3].

وليست القوة في اليد والبصيرة ببعيدة عن خليل الرحمن وأولاده عليهم السلام ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾[4].

جاء في زاد المسير: (أولي الأيدي) يعني القوة في الطاعة، والأبصار البصائر في الدين والعلم[5].

وقال الرازي: واعلم أن اليد آلة لأكثر الأعمال، والبصر آلة لأقوى الإدراكات، فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر. إذا عرفت هذا فنقول: النفس الناطقة الإنسانية لها قوتان عاملة وعالمة، أما القوة العاملة فأشرف ما يصدر عنها

---

[1] هود، 69

[2] محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، أبوبكر ابن العربي. إمام من أئمة المالكية. وهو فقيه محدِّث مفسر أصولي أديب متكلِّم. كان أقرب إلى الاجتهاد منه إلى التقليد. له كتاب الخلافيات والإنصاف والمحصول في أصول الفقه وكتب كثيرة. توفي بمراكش ودفن بفاس سنة543هـ. نقلا عن الموسوعة العربية العالمية: http://www.mawsoah.net

[3] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن** ج9 ص 63.

[4] سورة (ص) 45

[5] ابن الجوزي، **زاد المسير** ج2 ص3.

طاعة الله، وأما القوة العالمة فأشـــرف مـــا يصـــدر عنهـــا معرفـــة الله، ومـــا ســـوى هـــذين القسمين من الأعمال والمعـــارف فكالعبـــث والباطـــل، فقولـــه: **"أولـــى الأيـــدي والأبصـــار"** إشارة إلى هاتين الحالتين، فاليد تـــذكر فـــي اللغـــة علـــى وجـــوه: أحـــدها: الجارحـــة وهـــو معلوم، وثانيها: النعمة، تقول: لفلان عندي يد أشـــكره عليهـــا، وثالثهـــا: القـــوة [1]. والـــراجح أن اليد في جانب هؤلاء الأنبياء ﷺ تنطبق عليها المعاني الثلاثة.

المطلب الثاني: مكانته بين أولي العزم من الرسـ .

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: إن أكمل النـــاس توحيـــدا الأنبيـــاء علـــيهم الســـلام، والمرسلون منهم أكمل في ذلـــك، وأولـــو العـــزم مـــن الرســـل أكملهـــم توحيـــدا، وأكملهـــم الخليلان: محمد ﷺ وإبراهيم ﷺ فإنهما قاما من التوحيد بما لـــم يقـــم بـــه غيرهمـــا علمـــا، ومعرفة، وحالا، ودعوة للخلق وجهادا، فلا توحيـــد أكمـــل مـــن الـــذي قامـــت بـــه الرســـل، ودعوا إليه، وجاهدوا الأمم عليه ولهذا أمر سبحانه نبيـــه أن يقتـــدي بهـــم فيـــه كمـــا قـــال تعالى، بعد ذكر مناظرة إبراهيم ﷺ قومه فـــي بطـــلان الشـــرك وصـــحة التوحيـــد، وذكـــر الأنبياء من ذريته: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾**[2]. فـــلا أكمـــل مِـــن توحيـــد مَـــن أُمر رســـولُ الله ﷺ أن يقتـــدي بهـــم وكـــان ﷺ يعلّـــم أصـــحابه إذا أصـــبحوا أن يقولـــوا: **"أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخـــلاص وديـــن نبينـــا محمـــد وملـــة أبينـــا إبـــراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين"**[3].[4]

وربما يقول قائل أنه لا يوجد تفاوت بـــين الأنبيـــاء فـــي التوحيـــد، فعلـــى أي أســـاس بنى ابن أبي العز الحنفي كلامه السابق؟ والإجابة حســـب مـــا أرى هـــي أن التفـــاوت بيـــنهم في التوحيد حاصل كما هو حاصل بين البشـــر، وإلا لمـــا أمـــر الله تعـــالى نبيـــه محمـــداً ﷺ بالصبر تأسياً بمجموعة منهم سماهم الله تعـــالى أولـــوا العـــزم مـــن الرســـل، وقـــد تحـــدثتُ عنهم في الفصل الأول، ومع أنني أرجح أن الأنبياء كلهم أولوا عـــزم إلا أننـــي أؤكـــد علـــى

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج 13 ص 202

[2] الأنعام، 90

[3] ابن حنبل، **مسند أحمد** ج3 ص 305 ح 15397.

[4] ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية** ج 1 ص 96.

تفاوت هذا العزم بناء على كمال التوحيد، ولست أقصد -لا قدّر الله تعالى- الانتقاص من قدر الأنبياء ولكنها محاولة في فهم قوله تعالى **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾**[1]. وكل مسلم يعلم سنة الله تعالى في التفضيل بين البشر فقد قال جل وعلا **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[2]. فالتقوى إذن هي معيار التفاضل بين الناس جميعا، وبما أن الآية خاليةٌ من أي تخصيص لطبيعة هؤلاء الناس فيدخل في التفضيل بالتقوى الأنبياء وغيرهم.

ذكرت هذه الصفة الخاصة مرة واحدة في القرآن الكريم قال الله عز وجل لحبيبه المصطفىﷺ **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾**[3]. وقد اختلف المفسرون في تحديد من هم أولو العزم من الرسل، فذهب معظمهم وسأذكر أقوال بعضهم لاحقا - إلى أنهم الذين ذكرهم الله تعالى في آية واحدة، في سورة الشورى **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾**[4]. وفيما يأتي أقوال بعضهم:

فقد ذهب الطبري إلى القول بأن أولي العزم هم الذين امتحنوا في ذات الله في الدنيا بالمحن، فلم تزدهم المحن إلا جدا في أمر الله، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ومحمد ﷺ وقد نَقل عن ابن زيد[5] قوله: "كل الرسل كانوا أولي عزم لم يتخذ الله رسولا إلا كان ذا عزم"[1].

---

[1] البقرة، 253

[2] الحجرات، 13

[3] الأحقاف، 35

[4] الشورى، 13

[5] هوجابر بن زيد الأزدي البصري، أبو الشعثاء: تابعي فقيه، من أهل البصرة. أصله من عمان. صحب ابن عباس وكان من بحور العلم، وصفه الشماخي (وهو من علماء الأباضية) بأنه أصل المذهب وأسه الذي قامت عليه آطامه. قال الإمام

لذلك نرى الفخر الرازي يرجح أن الحرف "مـــن" فـــي قولـــه تعـــالى "**مـــن الرســـل**" للبيان وليس للتبعيض، كما يقال كسيته من الخز وكأنـــه قيـــل: اصـــبر كمـــا صـــبر الرســـل من قبلك على أذى قومهم ووصفهم بالعزم لصبرهم وثباتهم[2].

وقد ذهب الإمام ابن القيم إلى القول بأن الله تعـــالى خـــصّ أهـــل الـــذكر بـــالله وهـــم أعلمهم بصفاته عز وجل بهذه الصفة، ولذلك كـــان أولـــو العـــزم مـــن الرســـل وهـــم نـــوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصـــلاة والســـلام هـــم خيـــر خلـــق الله للمعـــارف التي حصلت لهم بصفاته سبحانه بحيث لم يؤتها غيرهم[3].

أما الإمام القرطبي فقد نقـــل عـــن مجاهـــد قولـــه: "هـــم خمســـة: نـــوح وإبـــراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام" وهـــم أصـــحاب الشـــرائع، وقـــول الســـدي: "هم ستة إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيســـى ومحمـــد صـــلوات الله علـــيهم أجمعـــين" وقيل: نوح وهود وصالح وشعيب ولـــوط وموســـى[4] وهـــم المـــذكورون علـــى النســـق فـــي سورة الأعراف والشعراء، وقول ابن عباس أيضـــا كـــل الرســـل كـــانوا أولـــي عـــزم قـــال وإنما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض، وقد استثنى بعـــض العلمـــاء آدم لقولـــه تعـــالى ﴿**وَلَقَـــدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾[5] ويـــونس لخفـــة فـــي صـــبره وخروجـــه

أحمد: لما مات جابر بن زيد سنة 93هـ قال قتادة: اليوم مات أعلم أهل العراق. أنظر: الزركلي **الأعلام** ج2 ص140.

[1] الطبري، **جامع البيان** ج 27 ص36. بتصرف.

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج28 ص31. بتصرف.

[3] ابن عيسى، أحمد بن إبراهيم (1329هـ) **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية** ط3 بيروت، المكتب الإسلامي، 1406هـ - 1386م، ج2 ص341.

[4] إشارة إلى سورة الأعراف الآيات: 59 - 171 ومعظم آيات سورة الشعراء، إلا أن ترتيبهم في سورة الأعراف على النحو الآتي: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام. أما في سورة الشعراء فعددهم سبعة وترتيبهم هو: موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

[5] طه، 115

مغاضبا **﴿وذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ[1]﴾**[2].

وقد ذكر ابن كثير ما ذكره غيره من العلماء ورجح ما رجحه الطبري فقال: يقول تعالى لهذه الأمة **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾**[3] فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد ﷺ ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عليهم السلام، وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾**[4] والدين الذي جاءت به الرسل كلها هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل[5]. وإلى مثل ذلك ذهب الإمام ابن أبي العز الحنفي[6].

وقد رجح الشيخ محمد رشيد رضا أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلَوات الله وسلامه عليهم كان يدفعهم إلى من بعده حتى إذا انتهوا إلى الخاتم كان هو الشَّافع المشفَّع[7].

أما الإمام السيوطي الذي آثرتُ أن أذكر كلامه آخر الأقوال؛ لأن فيه شيئاً من التفصيل، فقد قال: أولوا العزم من الرسل هم نوح وهود وإبراهيم فأُمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبروا وكانوا ثلاثة ورسول الله ﷺ رابعهم قال الله تعالى عن نوح

---

[1] الأنبياء، 87

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ج 16 ص 220 -222. بتصرف.

[3] الشورى، 13

[4] الأحزاب، 7

[5] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4 ص110.

[6] ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الأذرعي الصالحي الدمشقي (792هـ) **شرح العقيدة الطحاوية** ط1 مصر: دار السلام للطباعة والنشر، 1426هـ - 2005م، ج1 ص349.

[7] رضا، **تفسير المنار** ج 7 ص 502.

عليه السلام ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾[1]. فأظهر لهم المفارقة وقال هود عليه السلام حين قالوا ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[2] فأظهر لهم المفارقة وقال عن إبراهيم عليه السلام ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[3] فأظهر لهم المفارقة وقال يا محمد ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[4] فقام رسول الله ﷺ عند الكعبة فقرأها على المشركين فأظهر لهم المفارقة[5].

والراجح عندي في مسألة تحديد أولي العزم من الرسل هو ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ظل رسول الله ﷺ صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما قال: **"يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال: فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله"**[6]. ومع أن هذا الحديث ضعيف إلا أن معناه صحيح، فقد أجمع العلماء على أن سيدنا محمدا ﷺ هو إمام أولي العزم من الرسل، ولم يُبتلَ إنسان بمثل ما ابتُليَ به ﷺ وهو من هؤلاء

---

[1] يونس، 71

[2] هود، 54

[3] الممتحنة، 4

[4] الأنعام، 56

[5] السيوطي، **الدر المنثور** ج4 ص91.

[6] ابن أبي حاتم الرازي، **تفسير القرآن** ج10 ص3279 والحديث ضعيف؛ في سنده مجالد بن سعيد الهمداني. أنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء** ج6 ص284.

الرجال الذين هم أفضل البشرية على الإطلاق، وقد قال هو عن نفسه: **"أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع"**[1].

فإذا اعتبرنا الابتلاء والصبر عليه أساسا لهذا الشرف في التسمية كان الأنبياء كلهم أولي عزم، ودخل معهم في الصفة الصابرون على الابتلاء، وإذا اعتبرنا تكذيب أقوامهم لهم أساسا، دخل الأنبياء كلهم في التسمية، وإذا اعتبرنا البعد عن النقائص والصغائر والكبائر، دخل جميعهم كذلك، أما بالنسبة للمفارقة التي ذكرها السيوطي رحمه الله فإنه من المعلوم لدى المسلمين أن جميع الأنبياء فارقوا أقوامهم مفارقة جسدية أي بالهجرة، أو معنوية أي بالهَجر، مصداقا لقوله تعالى **﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾**[2].

فالراجح عندي إذن أن الأنبياء كلهم أولو عزم وبأس وقوة ليس لها في البشرية مثيل، ولم يكن أحد من البشر مثلهم، ولن يكون، مع الإقرار بأن هذا العزم يتفاوت حتى يقول الله تعالى **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾**[3]. وإبراهيم عليه السلام واحد من أولي العزم هؤلاء تميز عليهم بأنه أبٌ لمجموعة كبيرة منهم، ومن ذريته انبثقت الديانات الثلاث التي ختمت بمحمد ﷺ.

المطلب الثالث: تكريمه بالإمامة ووصفه بالأمة.

ومما ورد في تكريمه عليه السلام أن الله تعالى كلّفه بالإمامة، وهي من التكاليف الشّاقّة، التي يعجز عنها كثير من الأقوياء عقلاً وجسداً، إلا أن إبراهيم عليه السلام الذي أوتي رشده منذ أن كان صغيرا، تلقى هذا الابتلاء بالخير بصدر رحب كما عهده ربُّه جلّ وعلا، فكان عند حسن ظنه، قال تعالى **﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَا وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**[4]. قال ابن

---

[1] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار** كتاب الأوائل، باب أول من فعل وما فعله، ح35849.

[2] آل عمران، 184

[3] البقرة، 253

[4] البقرة، 124

كثير: لما جعل الله إبراهيم إماما، سأل اللهَ أن تكون الأئمة من بعده من ذريته، فأجيب إلى ذلك، وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد الله، ولا يكونون أئمة، فلا يقتدى بهم، والدليل على أنه أجيب إلى طلبه قوله تعالى﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[1]. فكل نبي أرسله الله وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم كان في ذريته عليه السلام وأما قوله تعالى **"قال لا ينال عهدي الظالمين"** فقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد: إنه سيكون في ذريتك ظالمون[2].

وقد جاء في مفاتيح الغيب: اعلم أنه سبحانه وتعالى لما استقصى في شرح وجوه نعمه على بني إسرائيل، ثم في شرح قبائحهم في أديانهم وأعمالهم، شرع سبحانه ههنا في نوع آخر من البيان وهو ذكر قصة إبراهيم عليه السلام والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل، فالمشركون كانوا معترفين بفضله، متشرفين بأنهم من أولاده، ومن ساكني حرمه وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضا مقرين بفضله، متشرفين بأنهم من أولاده، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أمورا توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد ﷺ والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه، وبيانه من وجوه:

أحدها: أنه تعالى لما أمره ببعض التكاليف فلما وفّى بها، وخرج عن عهدتها لا جرم نال النبوة والإمامة.

وثانيها: أنه تعالى حكى عنه أنه طلب الإمامة لأولاده فقال الله تعالى: **"لا ينال عهدي الظالمين"** فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب للباطل.

---

[1] العنكبوت، 27

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ج 1 ص 168.

وثالثها: أن الحج من خصائص دين محمد ﷺ فحكى الله تعالى ذلك عن إبراهيم ليكون ذلك كالحجة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك[1].

أما قوله تعالى: **"إني جاعلك للناس إماما"** فالإمام اسمٌ لمن يؤتم به كالإزار لما يؤتزر به، أي يأتمون بك في دينك. والذي يكون كذلك لا بد وأن يكون رسولا من عند الله مستقلا بالشرع لأنه لو كان تبعا لرسول آخر لكان مأموما لذلك الرسول لا إماما له، فحينئذ يبطل العموم. وهذا يدل على أنه عليه السلام كان معصوما عن جميع الذنوب لأن الإمام هو الذي يؤتم به ويُقتدى[2] قال تعالى **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾**[3].

وقد قال ابن أبي العز الحنفي: ولما كان بيت إبراهيم عليه السلام أشرف بيوت العالم على الإطلاق، خصهم الله بخصائص منها: أنه جعل فيه النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم نبي إلا من أهل بيته. ومنها: أنه سبحانه جعلهم أئمة يهدون بأمره إلى يوم القيامة، فكل من دخل الجنة من أولياء الله بعدهم فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم ومنها: أنه سبحانه اتخذ منهم الخليلين، ومنها: أنه جعل صاحب هذا البيت إماما للناس. ومنها: أنه أجرى على يديه بناء بيته الذي جعله قياما للناس ومثابة للناس وأمنا، وجعله قبلة لهم وحجا، فكان ظهور هذا البيت في الأكرمين ومنها: أنه أمر عباده أن يصلوا على أهل البيت إلى غير ذلك من الخصائص[4].

ومن خصائصه عليه السلام ما ذكره الله تعالى عنه من أنَّه عليه السلام أتمَّ الكلمات التي ابتلاه الله بهنّ وأنَّه تعالَى قال لَه **"إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا"** وقد فُصلت الجملة عمّا قبلها لأنّها جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّرٍ تدل عليه القرينة، ولم يقل: فقال إنِّي جاعلك؛

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج2 ص 76 -77.

[2] المصدر السابق،ج2 ص68.

[3] الأنبياء، 73

[4] ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية** ج1 ص296.

للإشعار بأنَّ هذه الإمامةَ بمحض فضل الله تَعَــالَى واصــطفَائه لا بســبب إتمــام الكلمــات، فإنَّ الإمامةَ هنا عبارةٌ عن الرسالة وهي لا تنال بكسب الكاسب[1].

ثم وصفه الله تعالى بالأمة فقال **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّــةً قَانِتــاً لِلّــهِ حَنِيفــاً وَلَــمْ يَــكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[2] قال ابن الجوزي: هذا مثل قــول العــرب فــلان رحمــة وفــلان علاّمــة ونسّابه، ويقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنــى الــذي يصــفونه، وللمفســرين فــي المراد بالأمة هاهنا ثلاثة أقوال:

أولها أن الأمّة الذي يعلّم الخير.

والثاني أنه المؤمن وحده في زمانه.

والثالث أنه الإمام الذي يُقتدى به[3].

وقد جاء في إعانة المستفيد للشيخ صالح الفــوزان[4] أن الأمــة معناهــا: القــدوة فــي الخير، فهو إمامٌ للناس، ومرشد لهم، ومعــين علــى الخيــر، ونوائــب الــدهر، كمــا قــال تعالى: **﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّــي جَاعِلُــكَ لِلنَّــاسِ إِمَامــاً﴾**[5] يعنــي: قدوة لأهل الخير إلى أن تقوم الساعة[6].

والراجح أنه الإمام الذي يقتــدى بــه لمناســبة ذلــك لأبــي الأنبيــاء؛ فهــو عليه السلام لــم يستحق تلك الصفة الخاصة إلا لأنه قدوة لهم علــيهم صــلوات الله أجمعــين، وهــو المــؤمن وحده وزوجته وابن أخيه في زمانه، وهو معلم البشرية الخيــر وفضــله علــى جميــع أهــل الملل بعده.

---

[1] رضا، **تفسير المنار** ج1 ص 374.

[2] النحل، 120

[3] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير** ج3 ص412.

[4] هو فضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان بن عبد الله، ولد عام 1354هـ، عضو في اللجنة الدائمة للإفتاء والبحوث العلمي في المملكة العربية السعودية، من **مشايخه:** الشيخ عبد العزيز بن باز، والشنقيطي، له: شرح العقيدة الواسطية، مجموع فتاوى في العقيدة والفقه، شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب. أنظر: /www.alfawzan.ws

[5] البقرة، 124

[6] الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد** ط3 القاهرة: مؤسسة الرسالة، 1423هـ 2002م، ج1 ص 75.

فهو ﷺ إمام الناس، وأبو الأنبياء، ووالد الذبيح، وخليل الله، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، لقد كان أمةً وحده؛ لكمال صفاته الخُلُقية المؤهلة لهذه المرتبة الرفيعة.

المطلب الرابع: تكريمه بالصلاة الإبراهيمية.

يسمى الدعاء الذي نتلوه مرة واحدة في الجلوس الأخير من كل صلاة قبل التسليم: الصلاة الإبراهيمية؛ نسبة إلى سيدنا إبراهيم ﷺ لأننا نثني فيها عليه، وندعو له ولآله فيها برحمة الله وتسليمه، فعن أبي حميد الساعدي[1] أن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: **"قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"**[2]. جاء في شرح الطحاوية: وهنا سؤال مشهور، وهو: أن النبي ﷺ أفضل من إبراهيم ﷺ فكيف طلب له من الصلاة مثل ما لإبراهيم، مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه؟ وقد أجاب عنه العلماء بأجوبة عديدة، وأحسنها: أن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طلب للنبي ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء، حصل لآل محمد ما يليق بهم لأنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم ومحمد ﷺ فيحصل له من المزية ما لم يحصل لغيره. وأحسن من هذا: أن النبي ﷺ من آل إبراهيم، بل هو أفضل آل إبراهيم، فيكون قولنا: كما صليت على آل إبراهيم متناولا الصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم وهو متناول لإبراهيم أيضا. كما في قوله تعالى:**﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**[3]. فإبراهيم وعمران دخلا في آل إبراهيم وآل عمران[4].

---

[1] هو المُنْذِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ الْمُنْذِرِ أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ مُخْتَلَفٌ فِي اسْمِهِ، فَقِيلَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَقِيلَ: الْمُنْذِرُ، من فقهاء الصحابة. روى عنه: جابر بن عبد الله، وعروة بن الزبير. شهد أحدا وما بعدها. توفي سنة60هـ، وقيل توفي قبلها بقليل. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج6 ص64.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ ح5999.

[3] آل عمران، 33

[4] ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية** ج1 ص 296.

وخالف الشيخ العثيمين[1] رحمه الله فقال: اختلف العلماء في نوع الكاف في "كما صلَّيت على آل إبراهيم" هل هي للتشبيه أو للتعليل؟ فذهب أكثرهم إلى أنها للتشبيه، وهؤلاء فتحوا على أنفسهم إيراداً يحتاجون إلى الجواب عنه، وذلك بأن القاعدة أن الأصل في المشبَّه أن يكون دون المُشبَّه به، ومعلومٌ أنَّ محمداً ﷺ وآله أفضل من إبراهيم عليه السلام وآله، فلذلك حصل الإشكال؛ لأن هذا يعارض القاعدة المتفق عليها من أن المشبه به فوق المشبه - وأجابوا عن ذلك بأجوبة وذكر مثل ما قاله ابن أبي العز الحنفي، ثم أكد أن الكاف للتعليل؛ واستشهد لصحة ذلك بقول ابن مالك[2]:

شَبِّه بكافٍ وبها التَّعليل قد يُعنى وزائداً لتوكيد وَرَدْ[3]

فأفاد بقوله: "وبها التعليل قد يُعنى" أنه قد يُقصد بها التعليل. وأثبت ذلك بأمثلة كقوله تعالى: **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ﴾**[4] فإن الكاف هنا للتعليل لما سبق. فهذا القول بأنَّ الكاف في قوله: **"كما صَلَّيت"** للتعليل من باب التوسل بالفعل السابق إلى تحقيق اللاحق، هو القول الأصحُّ الذي لا يَرِدُ عليه إشكال[5].

والراجح قول الشيخ عثيمين؛ لأنه كما قال - لا يرد عليه إشكال، ولإخبار الله تعالى أنه صلى على آل إبراهيم عليه السلام على لسان نبيه ﷺ ولأن الأصل في الدعاء أن يسأل المؤمن الله تعالى من خير ما سأله منه عباده الصالحون فقد أخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **إذا فرغ أحدكم من التشهد في الصلاة فليقل: اللهم إني**

---

[1] هو الشيخ محمد بن صالح آل عثيمين من بني تميم. اهتم بالتأليف وتحرير الفتاوى والأجوبة التي تميَّزت بالتأصيل العلمي الرصين، وصدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى والخطب واللقاءات والمقالات، تُوفي في جدّة عام 1421هـ. أنظر: *www.ibnothaimeen.com*

[2] محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين: أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في جيان بالأندلس وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها. أشهر كتبه الألفية في النحو، وله تسهيل الفوائد الكافية الشافية أرجوزة في نحو ثلاثة آلاف بيت، توفي سنة 672هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج6 ص233.

[3] ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (769هـ) **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ط1 بيروت: دار الفكر، 1414هـ - 1994م، ج2 ص558.

[4] البقرة، 151

[5] العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (1421هـ) **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، ط1 دار ابن الجوزي، 1428 هـ، ج2 ص166.

أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبادك الصالحون وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبادك الصالحون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار[1]. وكلام ابن مسعود رضي الله عنه هذا تلقاه عن رسول الله ﷺ حين سأل الله تعالى في نهاية صلاته ما سأله إياه إبراهيم عليه السلام وهو ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثناء على إبراهيم عليه السلام وآله فقال﴿**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾[2] وهو أيضا ما أثنى به على محمد ﷺ وآله حين قال ﴿**وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[3].

المطلب الخامس: تكريمه ببناء البيت ونداء الناس.

يعتقد المسلمون جميعا اعتقادا جازما بأن إبراهيم عليه السلام هو الذي رفع القواعد من الكعبة وقد كان مكانها معروفا سابقا، قال تعالى ﴿**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾[4] قال ابن عباس رضي الله عنه بوأنا أي: جعلناه، وقال مقاتل دللناه عليه[5].

ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[6] قال الفخر الرازي: فهذا صريح في أن تلك القواعد كانت موجودة متهدمة إلا أن إبراهيم عليه السلام رفعها وعمّرها[7].

ثم أمره الله تعالى بتطهير البيت لحجاجه فقال عز وجل ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ**

---

[1] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار** كتاب الأوائل، باب ما يقال بعد التشهد، ح3025.

[2] هود، 73

[3] الأحزاب، 33

[4] الحج، 26

[5] ابن الجوزي **زاد المسير** ج1 ص75.

[6] البقرة، 127

[7] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج2 ص106.

وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1]. قال قتادة يريد طهراه من عبادة الأوثان والشرك وقول الزور فإن قيل لم يكن هناك بيت فما معنى أمرهما بتطهيره فقد نقل فيه جوابان:

أحدهما: أنه كانت هناك أصنام فأمرا بإخراجها قاله عكرمة رضي الله عنه.

والثاني: أن معناه ابنياه مطهرا[2].

وذكر الرازي في هذا أقوالاً للمفسرين:

أولها: ابنياه وطهراه من الشرك وأسساه على التقوى.

وثانيها: عرفا الناس أن بيتي طهرة لهم متى حجوه وزاروه وأقاموا به.

وثالثها: ابنياه ولا تدعا أحداً من أهل الريب والشرك يزاحم الطائفين فيه، بل أَقِرَّاه على طهارته من أهل الكفر والريب.

ورابعها: معناه نظفا بيتي من الأوثان والشرك والمعاصي، ليقتدي الناس بكما في ذلك.

وخامسها: قال بعضهم: إن موضع البيت قبل البناء كان يلقى فيه الجيف والأقذار فأمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بإزالة تلك القاذورات وبناء البيت هناك، وهذا ضعيف؛ لأنه قبل البناء لم يكن البيت موجوداً فتطهير ذلك المكان لا يكون تطهيراً للبيت ويمكن أن يجاب عنه بأنه سماه بيتاً لأنه علم أن مآله إلى أن يصير بيتاً ولكنه مجاز[3] وهو يرجح أن يكون الأمر بالتطهير من النجاسة المعنوية والمادية[4].

وهذا هو الأهم إذ بعد ذلك التطهير هناك أمر من الله تعالى يُدهش العقول فقد أمر نبيه عليه السلام أن ينادي بالناس إلى الحج **﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾**[5] فسأل ربه عن الوسيلة فأوحى إليه أن عليك النداء وعليّ التبليغ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **"لما فرغ إبراهيم عليه السلام**

---

[1] البقرة، 125

[2] ابن الجوزي، **زاد المسير** ج1 ص 111.

[3] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج2 ص 341.

[4] المصدر السابق، ج2 ص341.

[5] الحج، 27

من بناء البيت العتيق قيل له أذن في النـــاس بـــالحج، قـــال: رب ومـــا يبلـــغ صـــوتي؟ قال: أذن وعليّ البلاغ، قال: فقال إبراهيم ﷺ: يـــا أيهـــا النـــاس كتـــب علـــيكم الحـــج إلى البيت العتيق، قال: فسـمعه مـــا بـــين الســماء إلـــى الأرض، ألا تـــرى أن النـــاس يجيئون من أقاصي الأرض يلبون"[1].

وقد روي مثله عن أبي هريرة ﷺ مرفوعـــا: قَـــالَ: قَـــالَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ: **"لَمَّـــا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ أَمَـــرَهُ اللهُ عَـــزَّ وَجَـــلَّ أَنْ يُنَـــادِيَ فِـــي الْحَـــجِّ، فَقَامَ عَلَى الْمَنَارِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ قَـــدْ بَنَـــى لَكُـــمْ بَيْتًـــا فَحُجُّـــوهُ، وَأَجِيبُـــوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَأَجَابُوهُ فِي أَصْـــلابِ الرِّجَـــالِ وَأَرْحَـــامِ النِّسَـــاءِ: أَجَبْنَـــاكَ أَجَبْنَـــاكَ، لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، قَالَ: "فَكُلُّ مَنْ حَجَّ الْيَوْمَ فَهُـــوَ مِمَّـــنْ أَجَـــابَ إِبْـــرَاهِيمَ عَلَـــى قَـــدْرِ مَـــا لَبَّى"**[2]. ثم دعا إبراهيم ﷺ ربه جل وعـــلا أن يريـــه المناســـك **﴿وَأَرِنَـــا مَنَاسِـــكَنَا وَتُـــبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**[3].

قال ابن رشد القرطبي: لما فرغ إبراهيم من بناء البيـــت قـــال :"قـــد فعلـــت، أي ربي فأرنا مناسكنا: أبرزها لنا، علمنا إياها" فبعث الله عـــز وجـــل جبريـــل ﷺ فحـــج به. وقيل: أي علمنا كيف نذبح نسائكنا[4].

وقد التزم إبراهيم ﷺ بأمر ربه، فأقـــام البيـــت، وطهـــره، ونـــادى فـــي النـــاس، فبلغ نداؤه قلوب البشر وأسماعهم إلى يوم القيامة، ولا زالـــت آثـــار رفعـــه للبيـــت ماثلـــة حتى اليوم **﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـــنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَـــانَ آمِنـــاً وَلِلّـــهِ عَلَـــى النَّـــاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَـــبِيلاً وَمَـــن كَفَـــرَ فَـــإِنَّ الله غَنِـــيٌّ عَـــنِ الْعَـــالَمِينَ﴾**[5]. ولا زال أيضا صدى ذاك النداء يهزّ قلوبنا، ويشنّف أسماعنا.

---

[1] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار** كتاب الفضائل، باب ما ذكر مما أعطى الله إبراهيم ﷺ ح31818.

[2] الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس أبو عبد الله (272هـ) **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه** ط2 بيروت: دار خضر، 1414هـ، ج1 ص445.

[3] البقرة، 128

[4] ابن رشد القرطبي، محمد بن أحمد أبو الوليد (450هـ) **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1408هـ - 1988م، ج17 ص 308.

[5] آل عمران، 97

وهناك حديث في الصحيح يدلّ على أن إبـراهيم عليه السلام هـو بـاني المسـجد الأقصـى أيضا فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قـال: **"سـألت رسـول الله ﷺ عـن أول مسـجد وضـع فـي الأرض، فقال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسـجد الأقصـى، قلـت: كـم بينهمـا؟ قال: أربعون عاما"**[1]. قال ابن القيم رحمـه الله: وقـد أشـكل هـذا الحـديث علـى مـن لـم يعرف المراد به فقال: معلوم أن سليمان بن داود عليه السلام هـو الـذي بنـى المسـجد الأقصـى وبينه وبين إبراهيم عليه السلام أكثر من ألف عام وهذا من جهل هـذا القائـل فـإن سـليمان عليه السلام إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه والذي أسسـه هـو يعقـوب بـن إسـحاق صلى الله عليهما وآلهما وسلم بعد بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة بهذا المقدار[2].

وقد قال الإمام ابن حجر: وجواب ذلك: إن الإشـارة إلـى أول البنـاء تعنـي وضـع أساس المسجد، وليس إبراهيم عليه السلام أول من بنـى الكعبـة، ولا سـليمان عليه السلام أول مـن بنـى بيت المقدس، فقد روينا أن أول من بنـى الكعبـة آدم عليه السلام ثـم انتشـر ولـده فـي الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع أساس بيت المقدس، ثـم بنـى إبـراهيم عليه السلام الكعبـة بـنص القرآن. ونَقَل عن الخطابي قوله: يمكن أن يكـون أول مـن وضـع بنـاء المسـجد الأقصـى بعض أولياء الله قبل داود وسـليمان عليهما السلام ثـم داود وسـليمان عليهما السلام فـزادا فيـه ووسّـعاه، فأضيف إليهما بناؤه، وقـد قيـل: إن أول مـن أسـس المسـجد الأقصـى آدم عليه السلام وقيـل: الملائكة، وقيل: سام بن نوح عليه السلام وقيـل: إبـراهيم ويعقـوب عليهما السلام وقيـل: داود وسـليمان عليهما السلام. فعلى الأولين تأسيس آدم عليه السلام أو الملائكة للمسجد الأقصـى - يكـون مـا وقـع ممـن بعدهما تجديدا، كما وقع في الكعبة، وعلى الأخيرين يكون الواقـع مـن إبـراهيم أو يعقـوب عليهما السلام أصلا وتأسيسا، ومن داود عليه السلام تجديدا لذلك، وابتداء بناء، فلـم يكمـل علـى يـده حتـى أكمله سليمان عليه السلام والاحتمال الذي يرجحه ابن حجر هو الـذي ذكـره ابـن الجـوزي، وقـد وجد ما يشهد له ويؤيده وهـو قـول مـن قـال: إن آدم عليه السلام هـو الـذي أسـس كـلاً مـن

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري** كتاب الأنبياء باب يزفون وهو النسلان في المشي، ح3186.

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ) **زاد المعاد في هدي خير العباد** ط14 بيروت، الكويت، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية،1407هـ - 1986م، ج1 ص49.

المسجدين، وذكر أن ابن هشام قال في كتاب التيجان: أن آدم عليه السلام لما بني الكعبة، أمره الله بالسير إلى بيت المقدس، وأن يبنيه فبناه ونسك فيه، وبناء آدم للبيت مشهور[1].

والراجح لديّ أن إبراهيم عليه السلام هو الذي رفع قواعد المسجد الأقصى بعد رفع قواعد البيت الحرام بأربعين عاما، كما ورد في الحديث الصحيح[2] أو ربما أنه أوكل هذا الرفع إلى سيدنا إسحاق وولده عليه السلام أو أنهم تعاونوا في ذلك كما تعاون معه سيدنا إسماعيل عليه السلام في رفع قواعد الكعبة قبل ذلك بأربعين عاما؛ وذلك لقرب المدة الزمنية بينهما كما نص على ذلك الحديث الصحيح، كما أنني أرجح اشتراك إسحاق عليه السلام مع والده في الرفع. والله تعالى أعلم

المطلب السادس: مقام الخُلَّة.

قال الإمام ابن الأثير الجزري في تفسير قول الرسول ﷺ: **"إني أبرأ إلى كل خليل من خلته"**: الخُلَّة بالضَّم الصَّدَاقة، والمَحَبَّة التي تَخَلَّلَت القَلْب فصارت خَلاَلَه، أي في باطنه والخَلِيل الصَّدِيق، وقد لقّب بها إبراهيم عليه السلام وإنَّما قال ذلك لأن خُلَّتَه كانت مَقْصُورَة على حُبّ الله تعالى، فليس فيها لِغَيرِه مُتَّسَع ولا شَرِكَة من مَحابِّ الدنيا والآخرة، وهذه حَالٌ شَرِيفَةٌ لا يَنَالها أحدٌ بِكَسب ولا اجتهاد[3].

وقال ابن أبي العز الحنفي: الخلة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب، كما قيل:

قيل تخللتَ مسلك الروح مني   ولذا سمي الخليل خليلا[4]

ولكن محبته وخلته كما يليق به تعالى، كسائر صفاته وليست بالطبع كخُلّة البشر، وهي أجلّ وأعظم منها، بل إنه لا يوجد بينهما وجهٌ للمقارنة، ويشهد لما دلت

---

[1] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ج6 ص408.

[2] أنظر في الصفحة 89.

[3] ابن الأثير الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر** ج2 ص72.

[4] العقيلي، بشار بن برد أبو معاذ (167هـ) **ديوان بشار بن برد** ط1 الرياض: الريّس للكتب، 2008م، ج1 ص329.

عليه الآية الكريمة ما ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الله"**[1].

جاء في شرح العقيد الطحاوية في معنى بصاحبكم نفسَه: وفي رواية **"إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا"** وفي رواية **"إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا"** فبين ﷺ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلا وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس به ابو بكر الصديق مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصا كقوله لمعاذ: **"والله إني لأحبك"** وكذلك قوله للأنصار وكان زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ وابنه أسامة حبه وأمثال ذلك وقال له عمرو بن العاص: **"أي الناس أحب اليك قال: عائشة قال: فمن الرجال قال: أبوها"** فعلم ان الخلة أخص من مطلق المحبة، والمحبوب بها لكمالها يكون محبوبا لذاته، لا لشيء آخر، إذ المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير، ومن كمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة، لتخللها المحبة، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب ولذلك لما اتخذ الله إبراهيم خليلا، وكان إبراهيم قد سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا، فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فامتحنه به بذبحه، ليظهر سر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلما لأمر ربهما، وعزم على فعله، فظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد إيثارا لمحبة خليله على محبته، نسخ الله ذلك عنه، وفداه بالذبح العظيم؛ لأن المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين النفس على ما أمر، فلما حصلت هذه المصلحة عاد الذبح نفسه مفسدة، فنسخ في حقه، وصارت الذبائح والقرابين من الهدايا والضحايا سنة في أتباعه إلى يوم القيامة. وكما أن منزلة الخلة ثابتة لإبراهيم ﷺ فقد شاركه فيها نبينا ﷺ[2].

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ح2383.

[2] ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية** ج1 ص 294.

ومن أروع ما قيل في هذا المقام كلام قرأته للشيخ عبد العزيز قاري في خطبة جمعة قال فيها: "ولم يكن المراد ذبح ولده على الحقيقة ولكن كان المراد ذبح المشاركة في هذه الدرجة العليا من المحبة في قلب إبراهيم ولذلك فإنهما لما اسلما وجهيهما لأمر الله وقدم إبراهيم محبة الله على محبة ولده خَلُصَ مقامُ الخلة فَفُدِيَ الولدُ بكبش عظيم"[1].

وليس هناك أمر أشد على النفس البشرية من أن يُبتلى المرء بولده، فكيف بهعليه السلام وقد أُمر بتنفيذ الحكم على فلذة كبده؟ إن أحدنا قد ينْفذ صبره عند أبسط ابتلاء بالمرض أو الموت الذي هو نهاية طبيعية لحياة البشر بغض النظر عن الأجناس والأعمار التي لا يقدرها إلا واهبها عز وجل، وإن كثيرا من الناس ليتزعزع الإيمان في قلبه إذا فقد ولده قتلاً؛ لأن طبيعة النفس البشرية تجعلنا نسلّم أن المرض من عند الله ولا دخل لأيٍّ من البشر فيه، أما القتل فإنه يوقد في القلب نارا لا يطفئها إلا القصاص، فيعتقد الفاقد أن القاتل هو المريد لإنهاء حياة المقتول، وينسى أحياناً أن المرض والقتل ما هما إلا سببان مخلوقان لا أكثر ولا أقل، والسبب الحقيقي في الموت هو انقضاء الأجل، فكيف استطاع إبراهيم عليه السلام أن ينزع من قلبه كل مشاعر الاعتراض المقصودة وغير المقصودة؟ وأن يسيّره على مراد الله تعالى دون نقاش؟ لولا أنه كان أمةً في الصبر، والاستسلام للباري، والانقياد لأوامره.

وربما تكون كلمات الدكتور أحمد بهجت التي آثرت أن أختم بها هذا الفصل من أجمل ما قرأت في هذا المقام: "كان إبراهيم هو هذا العبد الرباني الذي استحق أن يتخذه الله خليلا... فتلك درجة من درجات الأنبياء لا نعرف مقدارها ولا كيف نصفها، ونعتقد أن أيّ كلمات بشرية تقال عنها تكون سجنا يظلمها ويسيء إليها... فنحن أمام فيض إلهي من نور السماوات والأرض... نعرف أن المحار يصنع اللؤلؤ حين يقتحم جسم غريب عالم اللؤلؤ الداخلي، وكأن الجراح تلد اللآليء، ونحسب بيقين أن المحار

---

[1] قاري، عبد العزيز بن عبد الفتاح، *سيدنا محمد ﷺ خليل الرحمن*، **خطبة رقم 911 موقع المنبر** ww.alminbar.net/alkhutab/khutbaa.asp مسجد قباء في المدينة المنورة. 2004م.

قلد قلب إبراهيم عليه السلام فيما يفعل... فنحن أمام قلب ألقي فـــي هـــذا العـــالم كلمـــا أصـــابه منـــه جرح صنع لؤلؤة... ومن المدهش أن هذا القلـــب أدرك رشـــده منـــذ طفولتـــه"[1]. والحمـــد لله رب العالمين.

[1] بهجت، **أنبياء الله**، ص76.

الفصل الثاني

الحكمة التي ظهرت في دعوته ﷺ

المبحث الأول: مواجهته للتقليد.

المبحث الثاني: المواجهة الفردية والجماعية.

المبحث الثالث: الحجة بالتشكيك والاستدراج.

المبحث الرابع: المخالطة والاعتزال.

المبحث الخامس: الحوار في دعوته.

المبحث السادس: الحكمة في تحطيم الأصنام.

الفصل الثاني

الحكمة التي ظهرت في دعوته عليه السلام

لا بد من التقديم لهذا الفصل ببيان معنى الحكمة، فالحكمة هي عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم، والحكم والحكمة من العلم والحكيم العالم وصاحب الحكمة وقد حكم أي صار حكيما[1]. والحكيم أيضا المتقن للأمور[2]. والحكمة ما يمنع من الجهل وأريد بها الزبور في قوله تعالى **﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾**[3] وقيل كل كلام وافق الحق[4]. وقد اشتمل هذا الفصل على عدد من المباحث والمطالب:

المبحث الأول: مواجهته للتقليد.

لا بد أولا من التقديم ببيان معنى التقليد: القاف واللام والدال أصلان صحيحان يدل أحدهما على تعليق شيء على شيء، والآخر على حظ ونصيب، فالأول التقليد تقليد البدنة وذلك أن يعلق في عنقها شيء ليعلم أنها هدي، وأصل القَلد الفَتل يقال قلدت الحبل أقلده قلدا إذا فتلته، وحبل قليد ومقلود، وتقلدت السيف، ومَقْلِدُ الرجل موضع نجاد السيف على منكبه، ويقال قلد فلان قلادة سوء إذا هجاه، فإذا أكدوه قالوا قلده طوق الحمامة أي لا يفارقه كما لا يفارق الحمامة طوقها، والأصل الآخر القلد الحظ من الماء؛ يقال سقينا أرضنا قلدها أي حظها، فأما المقاليد فيقال هي الخزائن قال

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب** مادة حكم ج12 ص140.

[2] الرازي، **مختار الصحاح** مادة حكم ج1 ص62.

[3] سورة (ص) 20.

[4] المطرزي، ناصر الدين أبو الفتح، **المغرب في ترتيب المعرب**، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1990م، مادة حكم ج1 ص218.

الله تعالى ﴿**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[1] ولعلها سميت بذلك لأنها تحصن الأشياء أي تحفظها وتحوزها[2].

لم يبعث الله تعالى نبيا ولا رسولا برسالة إلى قومه إلا احتجوا بأن الضلال الذي هم فيه سببه آباؤهم وأجدادهم، ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ۞ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾[3] ولم تخلُ أمة من مثل هذه الحجج الواهية، وكأن عقولهم سُلبت لدرجة عدم التفريق بين ما ينفع وما لا ينفع بغض النظر عن الضرر الذي هو أبعد من أن يُعتقد بقدرتهم عليه، وكذلك كان حال قوم إبراهيم عليه السلام حين سألهم عن التماثيل التي يعبدونها ويقدمون إليها ما ألزموا به أنفسهم من الطاعة والولاء، فقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ**﴾[4] ثم ناقشهم في هذه العقيدة الفاسدة مرات عدّة ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾[5].

قال الإمام سيد قطب: "والحلقة التي تُعرض هنا من قصة إبراهيم عليه السلام هي حلقة الرسالة إلى قومه، وحواره معهم حول العقيدة، وإنكار الآلهة المدّعاة، والاتجاه بالعبادة إلى الله، والتذكير باليوم الآخر"[6].

---

[1] الزمر، 63

[2] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين (395هـ) **معجم مقاييس اللغة،** ط2 بيروت: دار الجيل، 1420هـ - 1999م، مادة قلد ج1 ص19- 20.

[3] الزخرف، 22/ 23

[4] الأنبياء، 53/52

[5] الشعراء، 69- 77

[6] قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (1385هـ) **في ظلال القرآن** بيروت: دار الشروق، 1979م، ج5، ص350.

فلم تكن مهمته عليه السلام بناءً على ما ورد في هذه الآية وغيرها مهمة سهلة؛ إذ كان عليه تغيير فكرٍ بُني منذ مئات السنين، حول آلهة هي ذاتها تعبد إلهاً واحداً كَرْهاً، والبشر ينكرون وجوده طوعاً، ويتوجهون للحجارة التي تعبده تقليداً عارياً عن كل تفكير.

يقول الإمام الزمخشري: "ما أقبح التقليد والقول المتقبّل بغير برهان، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفّروا لها جباههم معتقدين أنهم على شيء"[1].

المبحث الثاني: المواجهة الفردية والجماعية.

لم يتوان إبراهيم عليه السلام من أن يواجه قومه أفرادا وجماعات؛ لأن التغيير في الأسلوب مطلوب، ولأن لكل مقام مقال؛ فمن الناس من يسهل توجيهه أمام جمع كبير من الناس؛ إما لرجاحة عقله إذ يميز ميل الناس إلى الحق فيميل معهم، أو لضعف شخصيته فهو كالإمّعة مقلّدٌ دون تفكير، وفي الحالتين فإن الداعي إلى الحق ينال مراده ويحقق الهدف المنشود، ومن الناس من لا يمكن أن يستجيب لتوجيه إيجابيّ إلا إذا وُجّه بشكل فردي، إما لعنادٍ يتملكه، أو لقوة في الشخصية وكبرياء يمنعه من الانصياع إلى الآخر، وقد كان معظم قوم إبراهيم عليه السلام من أسوأ الأنواع؛ يتملكهم الكبر والعناد وقوة الشخصية والتمادي في الباطل، فقد حاول معهم بكل الوسائل والأساليب إلا أنّ عددا قليلاً منهم استجاب للحق فكانوا لنا قدوة في تَبَرُّئهم من قومهم قال عزّ من قائل **﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾**[2].

---

[1] الزمخشري، **الكشاف** ج2 ص575.

[2] الممتحنة، 4

يرى الإمام الطبري بأن المراد بهم الأنبياء الذين كانوا قريباً من عصره عليه وعليهم الصلاة والسلام[1].

والظاهر -كما قال الآلوسي- أن المراد بالذين معه هم أتباعه المؤمنون لأنه ﷺ لم يكن معه وقت مكافحته قومه وبراءته منهم أتباع مؤمنون ظاهروه على المكافحة والبراءة فقد روي أنه قال لسارة حين رحل إلى الشام مهاجراً من بلد نمرود: **"ما على الأرض من يعبد الله تعالى غيري وغيرك"** ومن المعلوم أنه لا يلزم وجود الأتباع المؤمنين في أول وقت المواجهة بل اللازم وجودهم ولو بعد ذلك ولا شك في أنهم وجدوا فيما بعد فيُحمل من معه عليهم، ويكون التبرّي المحكي في قوله تعالى: **"إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤاْ مِنْكُمْ"...** الى وقت وجودهم[2]. والله أعلم

ومن الواضح في الآيات أنه ﷺ يتحدث إليهم بشكل جماعي في بدايتها، ثم تتحول بنا الآيات إلى حوار دار بينه وبين أبيه على حدة أخبره فيه بالمصير الذي ينتظره ووعده بالاستغفار له، ودليل هذا التحول قوله تعالى **"إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ"** فالاستثناء الوارد في الآية يدل على أن الكلام خاصّ جدا بين ولد ووالده. والحكمة هنا من هذا التحول هي إظهارُ المحبة للمنصوح، وإبداءُ الإشفاق عليه، وتركُ بابِ الحوارِ مفتوحاً بينهما، فهو وإن كان مهتما بهداية قومه، إلا أنه في جانب هداية أبيه أشد اهتماما، وبذلك فإنه يعلمنا أن الأقربين أولى بالمعروف والعناية، وأن خير أعمال الأب أن يترك ولدا صالحا يذكره بالخير، ويأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر. ولكن هل لوالد مثل آزر أن يفكر بمثل هذا التفكير؟!...

المبحث الثالث: الحجة بالتشكيك والاستدراج.

ظهرت حكمة إبراهيم ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى باستخدام أسلوب آخر من أساليبها، فقد بدأ مع قومه بكلام يحتوي كثيرا من الأسئلة الموهمة لهم وفي ذلك

---

[1] الطبري، **جامع البيان** ج28 ص62.

[2] الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني أبو الثناء (1270هـ) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت: دار الفكر، 1978م، ج20 ص 455.

استثارة لعقولهم؛ ليحثّها على التفكير السليم، وذلك عندما قرر أن يدّعي استدراجا لهم - الإلهَ كوكباً أو قمراً أو شمساً، ولم يكن أبدا يعني أن الحق فيما يدّعي، وإنما كان يقصد استدراجهم وإبطال حجتهم بالبرهان القوي، **﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۞فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]** .

قال الشيخ الشعراوي[2] رحمه الله في معنى كلمة الملكوت: مادة الـ (م. . ك) يأتي منها "مالك" ، و"مَلك"، و"ملْك"، ومنها "مُلْك"، ومنها "ملكوت"، و"الملْك" هو ما تملكه أنت في حيزك، فإن كان هناك أحد يملكك أنت ومن معك ويملك غيرك، فهذا هو المَلِك، أما ما اتسع فيه مقدور الإنسان، أي الذي يدخل في سياسته وتدبيره، فاسمه مُلك، فشيخ القبيلة له ملك، وعمدة القرية له ملك، وحاكم الأمة له ملك، ويكون في الأمور الظاهرة. واما الملكوت فهو ما لله في كونه من أسرار خفية. مثل قوله تعالى **﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**. أي كما اهتدى إبراهيم عليه السلام إلى أن عبادة الأصنام ضلال مبين، فسيريه الله ملكوت السموات والأرض، ما دام قد اهتدى إلى أن هناك إلهاً حقًّا، فالإله الحق يبين له أسرار الكون، والملكوت صيغة المبالغة في الملك، وهي تفيد فهم الحقائق غير المشهودة، فالذي يمشي وراء الأسباب المشهودة له

---

[1] الأنعام، 75 - 79

[2] هو الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله، أشهر من فسر القرآن في عصرنا ولد عام 1911 م بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وحفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره . عرف بأسلوبه العذب البسيط في تفسير القرآن، استطاع أن يثبت تفوقه في تدريس مادة العقيدة الإسلامية لدرجة كبيرة لاقت استحسان وتقدير الجميع، رغم تخصصه أصلاً في اللغة، له عدد من المؤلفات منها: الإسراء والمعراج، الطريق إلى الله، الفتاوى، معجزة القرآن، من فيض القرآن، نظرات في القرآن، توفي رحمه الله سنة 1998م . أنظر: منتديات صوت القرآن الحكيم quran.maktoob.com/vb/quran/

يأخذ المُلك؛ لأن ما يشهده ويحسَّه هو أمامه، والملكوت هو ما يغيب عنه، المُلك هو ما تشاهده أمامك، والملكوت هو ما وراء هذا الملك[1].

قال الفخر الرازي: **"وَكَذَلِكَ نُرِى إبراهيم مَلَكُوتَ السموات"** معناه: وبعد زوال الاشتغال بغير الله حصل له نور تجلي جلال الله تعالى، والمعنى أنه تعالى لما حكى عنه أنه شافَه أباه الكلام الخشن تعصباً للدين الحق. فكأنه قيل: وكيف بلغ إبراهيم هذا المبلغ العظيم في قوة الدين؟ فأجيب بأنا كنا نريه ملكوت السموات والأرض من وقت طفولته لأجل أن يصير من الموقنين زمان بلوغه. والمقصود من إراءة[2] الله إبراهيم ملكوت السموات والأرض هو أن يتوصل بها إلى معرفة جلال الله تعالى وقدسه وعلوه وعظمته. وقد ورد في تفسير هذه الإراءة قولين:

الأول: أن الله أراه الملكوت بالعين، قالوا إن الله تعالى شق له السموات حتى رأى العرش والكرسي وإلى حيث ينتهي إليه فوقية العالم الجسماني، وشق له الأرض إلى حيث ينتهي إلى السطح الآخر من العالم الجسماني، ورأى ما في السموات من العجائب والبدائع، ورأى ما في باطن الأرض من العجائب والبدائع.

والقول الثاني: أن هذه الإراءة كانت بعين البصيرة والعقل، لا بالبصر الظاهر والحس الظاهر.

وقد احتج القائلون بهذا القول بوجوه:

1. إن ملكوت السموات عبارة عن ملك السماء، والملك عبارة عن القدرة، وقدرة الله لا ترى، وإنما تعرف بالعقل، وأنه تعالى ذكر هذه الإراءة في أول الآية على سبيل الإجمال ثم فسرها فجرى ذكر هذا الاستدلال كالشرح والتفسير لتلك الإراءة، فوجب أن يقال إن تلك الإراءة كانت عبارة عن هذا الاستدلال.

---

[1] الشعراوي: محمد متولي (1418هـ/1998م) **المختار من تفسير القرآن الكريم**، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. مكتبة الكتاب الالكتروني الإسلامي ومنتدى الكتاب الالكتروني الإسلامي http://adel-ebooks.mam9.com

[2] أَرَيْتُه إيَّاهُ **إراءَةً** وإراءً: المصدران عن سيبويه، قال: الهاء للتعويض وتَرْكُها على أن لا يعوَّض وهْم. أنظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (1205هـ) **تاج العروس من جواهر القاموس** دار الهداية، ج38 ص105.

2. وأنه تعالى قال في آخر الآيات **"وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءاتيناها إبراهيم على قَوْمِهِ"** والرؤية بالعين لا تصير حجة على قومه لأنهم كانوا غائبين عنها، فلا بد من كونها ظاهرة لهم عقلا كما هي له، وكذلك فإن إراءة جميع العالم تفيد العلم الضروري بأن للعالم إلهاً قادراً على كل الممكنات، وهذه الإراءة لا تكون إلا عقلا، وقد قال تعالى في حق هذه الأمة **"سَنُرِيهِمْ ءاياتنا فِى الأفاق وَفِى أَنفُسِهِمْ"**[1] فكما كانت هذه الإراءة بالبصيرة الباطنة لا بالبصر الظاهر فكذلك في حق إبراهيم لا يبعد أن يكون الأمر كذلك.

3. إنه ﷺ لما أتم الاستدلا بالنجم والقمر والشمس قال بعده: **"إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السموات والأرض"** فحكم على السموات والأرض بكونها مخلوقة، فوجب أن يكون المراد من إراءة الملكوت تعريف كيفية دلالتها بحسب تغيرها وإمكانها وحدوثها على وجود الإله العالم القادر الحكيم، فتكون هذه الإراءة بالقلب لا بالعين.

4. وقوله تعالى **"وَلِيَكُونَ مِنَ الموقنين"** فلما كان اليقين هو العلم المستفاد من الدليل، وجب أن تكون تلك الإراءة عبارة عن الاستدلال. ورؤية العين لا تفيد العلم الكامل على وجه الكمال بل تعطي صورة ناقصة، وبالتالي فإن الرؤية هنا رؤية عقل لا رؤية عين[2].

والراجح على ما يبدو أنها كانت إراءةً بالعين والعقل والقلب، مع عدم الإنكار بأن قلبه ﷺ وذكاءه يقودانه إلى مثل هذه المعرفة اليقينية، إلا أن القوم يحتاجون إلى إيمان يستقر في قلوبهم بعد استقباله عن طريق الحواس ليكون اليقين أكبر، والحجة أعظم، ثم إن استدلال الفخر الرازي رحمه الله تعالى بآية سورة فصلت على أن المقصود بإراءة أمة محمد ﷺ لآيات الله في الآفاق، هي إراءة عقلية فقط، لم تعد كما فسرها في أيامنا هذه؛ إذ أن آيات الله تعالى وقدرته تظهر لنا في كل يوم، ونحن نحصل عليها بكل وسائل المعرفة لدينا، بما يقطع كلّ شك بيقين يبهر الألباب، وفي هذا

---

[1] فصلت، 53

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج 6 ص 340 - 343. بتصرف.

تظهر حكمة إبراهيم عليه السلام إذ يطرح الفكرة الفاسدة على قومه، ثم ينقضها من أساسها كأن لم تكن، ثم يستدرجهم ليطرح الحل الصادق بيقين ساطع، فتقبله قلوبهم، بما بقي فيها مما أودعه الله تعالى من الفطرة السليمة، ثم ما تلبث أن ترفضه قلوبهم التي غشّاها المرض ولفّها الضلال **﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾**[1].

يقول الشهرستاني: "لقد أطلعه الله على ملكوت الكونين والعالمين تشريفا له على الروحانيات وهياكلها، وترجيحا لمذهب الحنفاء على مذهب الصابئة، وتقريرا أن الكمال في الرجال، ولقد استدل على ذلك بالأفول: الزوال والتغير والانتقال، على أنه لا يصلح أن يكون ربا إلها؛ فإن الإله القديم لا يتغير، وإذا تغير احتاج إلى مغير، هذا لو اعتقدتموه ربا قديما وإلها أزليا، ولو اعتقدتموه واسطة وقبلة وشفيعا ووسيلة، فإن الأفول - الزوال - يخرجه أيضا عن حد الكمال، وعلى هذا لم يستدل عليهم بالطلوع وإن كان الطلوع أقرب إلى الحدوث من الأفول، فأتاهم الخليل عليه السلام من حيث تحيُّرهم فاستدل عليهم بما اعترفوا بصحته وذلك أبلغ في الاحتجاج وقد بدأ بالسهل ثم تدرج، فمن الكوكب إلى القمر والنتيجة واحدة، دع هذا كله خلف قافٍ وارجع بنا إلى ما هو شافٍ كافٍ فإن الموافقة في العبارة على طريق الإلزام على الخصم من أبلغ الحجج وأوضح المناهج وعن هذا قال: **"فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر"** لاعتقاد القوم أن الشمس ملك الفلك، هو رب الأرباب الذي يقتبسون منه الأنوار، **"فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين"**[2].

المبحث الرابع: المخالطة والاعتزال.

كان إبراهيم عليه السلام أول من أعلن عقيدة الولاء والبراء؛ و الولاء يعني محبة الإيمان وأهله وإثبات ذلك عمليا، والبراء هو كراهية الشرك والمشركين وإثبات ذلك عمليا، وقد بدأ بذلك أولا مع أبيه، ثم أعلنها في وجه قومه مدوّية صارخة يقول جلّ

---

[1] الحج، 46

[2] الشهرستاني، **الملل والنحل** ج2 ص52 - 53.

وعلا ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**﴾[1] وبذلك استحق أن يكون القدوة الأولى لأمة محمد ﷺ بعد رسولهم في هذه العقيدة ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[2].

قال ابن قيم الجوزية: "وهذه براءة منهم ومن معبودهم، وسماها براءة من الشرك، وهي حقيقة المحو والإثبات؛ فيمحو محبة ما سوى الله عز وجل من قلبه علما وقصدا وعبادة، كما هي ممحوة من الوجود، ويثبت فيه إلهيته سبحانه وحده وهي حقيقة الجمع والفرق؛ فيفرق بين الإله الحق وبين من ادُّعيت له الإلهية بالباطل، ويجمع تأليهه وعبادته وحبه وخوفه ورجاءه وتوكله واستعانته على إلهه الحق الذي لا إله سواه، وهي حقيقة التجريد والتفريد؛ فيتجرد عن عبادة ما سواه ويفرده وحده بالعبادة، فالتجريد نفي، والتفريد إثبات، ومجموعهما هو التوحيد فهذا الفناء والبقاء، والولاء والبراء، والمحو والإثبات، والجمع والتجريد"[3].

وقد أثبت عليه السلام في إعلانه هذا مبدأ المخالطة والاعتزال؛ فتمثل الاعتزال بالمذكور سابقا؛ من إعلان البراءة من الشرك والمشركين، ورفض معبوداتهم، وقد كانت هذه البراءة براءةً في العقيدة، واعتزالا لأجلها، أما المخالطة فظاهرةٌ في آية الممتحنة في قوله تعالى ﴿**إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[4] فقد استمر بدعاء أبيه والدعاء له حتى تبيّن له أنه عدوٌّ لله، عندها تبرّأ منه تبرؤ النسب واعتزله اعتزال العدوّ الغريب قال تعالى ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ**

---

[1] الزخرف، 26

[2] الممتحنة، 4

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1393هـ - 1973م، ج1، ص 168.

[4] الممتحنة، 4

﴿أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[1]. ففي بادئ الأمر اعتزلهم عليه السلام في العقيدة وخالطهم أهلاً وقرابةً ودعوةً، فلما لم يستجب له إلا اثنان منهما زوجته وابن أخيه، اعتزل البقية اعتزال نسب وتبرّأ هو ومن معه من أقرب أناسهم؛ إذ أصبح الاختيار الآن بين الله تعالى، وبين هؤلاء وهم عدوٌّ له، فجاءت مكافأة هذه البراءة على مستواها ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۞ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[2].

والاعتزال كما يقول الإمام سيد قطب رحمه الله: "هو منهج رفيع طليق الأرض فيه صغيرة، والحياة الدنيا قصيرة، ومتاع الحياة الدنيا زهيد، والانطلاق من هذه الحواجز والشوائب غاية وأمنية وليس معناه في الإسلام الإهمال، ولا الكراهية ولا الهروب إنما معناه المحاولة المستمرة، والكفاح الدائم لترقية البشرية كلها، وإطلاق الحياة البشرية جميعها ومن ثم فهي الخلافة والقيادة بكل أعبائهما، مع التحرر والانطلاق بكل مقوماتهما"[3].

المبحث الخامس: الحوار في دعوته:

أبدأ هذا المبحث بالتمهيد لمعنى الحوار والمحاورة في اللغة: وهو مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة ويقال: قد حاوره والمَحُورةُ من المحاوَرة مصدر كالمشورة من المشاورة[4]. والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب[5].

ونظراً لأهمية الحوار في حياة الدّعاة، وفي مقدمتهم سيدنا إبراهيم عليه السلام فقد فصلت في هذا المبحث، وأبرزت أهميته من خلال المطالب الآتية:

---

[1] التوبة، 114

[2] مريم، 49/ 50

[3] قطب، **في ظلال القرآن** ج8 ص128.

[4] ابن منظور، **لسان العرب** مادة حور ج4 ص218.

[5] الرازي، **مختار الصحاح** مادة حور ج1 ص67.

المطلب الأول: حواره مع أبيه.

نشأ إبراهيم عليه السلام في بيت اشتهر أهله بعبادة الأصنام، بل وصُنْعِها أيضا، فاستقرت كراهيتها في قلبه السليم مذ كان صغيرا، بما أودع الله تعالى في قلبه هذا من الرشد، فسأل إبراهيم عليه السلام الأبَ آزرَ الخادمَ المطيعَ للملك الطاغية وآلهته الصّمّاء سؤال المستغرب لهذه العبادة غير المفهومة ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[1] فكان واضح المبدأ منذ طفولته، ولم يتغير أو يتلوّن ليرضي أحدا بما لم يقتنع به من عبادة تلك الآلهة.

قال الإمام الشهرستاني: "كانت الحجة في دعوة الخليل وما جرى بينه وبين قومه من عبدة الأوثان والكواكب من أظهر ما يُتصور:"[2]. حيث قال لهم ﴿**قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[3] وقا لأبيه آزر ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً**﴾[4] ثم أثبت الرسالة فقال ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً**﴾[5]..

ثم أخذ يكلمه باللين كلام المستميل لقلبه، الخائف عليه ﴿**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾[6] فما لبث أبوه إلا أن فهم مراد إبراهيم عليه السلام ورغبته عن آلهته، فبادر بتهديده بالرجم والهجران الطويل ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً**﴾[7].

ذكر الفخر الرازي عدة معان للرجم: فقال في الرجم ههنا قولان:

---

[1] الأنعام، 74

[2] الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم أبو الفتح (548هـ)، **نهاية الإقدام في علم الكلام** بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م، ج1 ص150.

[3] الصافات، 95/ 96

[4] مريم، 42

[5] مريم، 43

[6] مريم، 44/ 45

[7] مريم، 46

الأول: أنه الرجم باللسان، وهو الشتم والذمّ، ومنه قوله: "**والذين يرمون المحصنات**"[1] أي بالشتم، ومنه الرجم، أي المرمي باللعن.

والثاني: أنه الرجم باليد، وعلى هذا التقدير ذكروا وجوها:

أحدها: لأرجمنك بإظهار أمرك للناس ليرجموك ويقتلوك.

وثانيها: لأرجمنك بالحجارة لتتباعد عني.

وثالثها: لأرجمنك لأقتلنك بلغة قريش.

ورابعها: قال أبو مسلم الأصفهاني: لأرجمنك المراد منه الرجم بالحجارة إلا أنه قد يقال ذلك في معنى الطرد والإبعاد اتساعا.

أما الهجر ففيه قولان:

أحدهما: المراد واهجرني بالقول.

والثاني: بالمفارقة في الدار والبلد، وهي كهجرة الرسول ﷺ والمؤمنين أي تباعد عني لكي لا أراك، وهذا الثاني أقرب إلى الظاهر.

وفي قوله: "مليا" قولان:

الأول: مليا أي مدة بعيدة.

والثاني: مليا بالذهاب عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح يقال فلان مُلِيَ بكذا إذا كان مطيقا له مضطلعا به[2].

ومع ذلك كله أبدى عليه السلام اللين كله لأبيه فقال له ﴿**قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**﴾[3].

جاء في اللباب لابن عادل:"**فلما سمع إبراهيمُ عليه السلام كلام أبيه، أجاب بأمرين:**

أحدهما: أنه وعدُه بالتَّباعُد منه؛ موافقة وانقياداً لأمْرِ أبيه.

---

[1] النور، 4

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج1 ص 406 وما بعدها.

[3] مريم، 48/47

والثاني: قوله: "**سَلامٌ عَلَيْكَ**" توديعٌ، ومتاركةٌ، أي: سلمتَ منِّي لا أصيبُك بمكروهٍ، وذلك لأنَّه لم يؤمر بقتاله على كفره؛ كقوله تعالى ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الجاهلين**﴾[1].

وهذا يدلُّ على جواز متاركة المنصُوح، إذا ظهر منه اللَّجاج، وعلى أنَّه تحسُن مقابلةُ الإساءةِ بالإحسان، ويجوزُ أن يكون دعا لهُ بالسَّلامة؛ استمالة له. ثم وعدُه بالاستغفار؛ فكان سلامَ برٍّ ولطفٍ، وهو جوابُ الحليمِ للسَّفيه"[2].

قال تعالى ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾[3]. وهكذا انقطعت كل صلة بين إبراهيم عليه السلام وأبيه، والحكمة الظاهرة هنا هي وجوب التقرب من أهل الله تعالى ولو كانوا غريبي النسب والقربى، وكذلك الابتعاد عن أهل الشرك ولو كانوا أولي قربى ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾[4].

وشاءت إرادة الله تعالى أن تكون هذه الآية سابقةً لآية تبرؤ إبراهيم عليه السلام من أبيه لتقرر عقيدة الولاء والبراء لهذه الأمة أيضا بضرب المثل بإبراهيم عليه السلام ليكون القدوة الأولى للرسل وأتباعهم حتى قيام االساعة، كيف لا وإبراهيم عليه السلام أبونا وأبوهم رسالةً ونسباً.

المطلب الثاني: حواره مع قومه.

لقد أظهر سيدنا إبراهيم عليه السلام عقيدة التوحيد التي يدين بها لله تعالى في كل مواقفه مع قومه، خاصة في حواره معهم الذي بدأه منذ أن كان فتى صغيرا، الأمر الذي لم يعهده قومه من قبل بدليل أنهم حينما رأوا الأصنام محطمة عرفوا مباشرة بأنه الفاعل، لأنه كان قد تحدث معهم في هذا الأمر المحظور سابقا قال سبحانه وتعالى

---

[1] القصص، 55

[2] ابن عادل، عمر بن علي بن عادل الحنبلي أبو حفص (775هـ) **تفسير اللباب** ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م، ج11 ص86.

[3] التوبة، 114

[4] التوبة، 113

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾[1] فحاول إقناعهم أنهم على غير هدى هم وآباؤهم ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[2]. ثم أظهر لهم أنه مبعوث من الله تعالى بمثل ما بُعث به الأنبياء السابقون وهم أقرب الأقوام إلى نوح عليه السلام وقد خوّفه قومه من آلهتهم وأرادوا إيهامه بأنها قادرة على أن تصيبه بمكروه، لكنه يعلم أنها غير قادرة على أن تحمي نفسها أو أن تضرها ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۞ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

قال الشيخ الفوزان في تفسير هذه الآية: "كيف تهدّدونني بآلهتكم وأنتم لا تخافون الله الذي خلق السموات والأرض وجعلتم معه شريكاً؟، إن كان هناك تهديد أو وعيد فهو عليكم أنتم، فلا تهمني أصنامكم ولا وعيدكم، لأنني متوكل على الله سبحانه وتعالى، وأنا أخوّفكم بالله عزّ وجلّ، وأبيّن لكم أنكم إن لم تتوبوا إليه فسيعذبكم، **"فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ"** أنا أم أنتم؟، **"إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ"** ففصَل الله الحكم بينهم وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[4]. هذا هو الحكم الإلهي، **"الَّذِينَ آمَنُوا"** وهذا عامّ في قوم إبراهيم عليه السلام وغيرهم من الخلق، يعني: الذين وحّدوا الله، وأخلصوا له العبادة، والمراد بالظلم هنا: الشرك"[5].

ومع ذلك كله استمر عليه السلام في حواره ومحاربة أصنامهم على كل صعيد فرفض الخروج معهم إلى عيد كانوا يقيمونه خارج مدينتهم ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۞ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۞ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۞ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ۞ فَرَاغَ إِلَى

---

[1] الأنبياء، 53/52

[2] الشعراء، 75-77

[3] الأنعام، 80/ 81

[4] الأنعام، 82

[5] الفوزان، **إعانة المستفيد** ج1 ص56.

آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَـرْباً بِـالْيَمِينِ ﴿ فَـأَقْبَلُوا إِلَيْـهِ يَزِفُّـونَ ﴿ قَـالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَـا تَعْمَلُـونَ ﴾[1]. ثـم مـا لبثـوا أن غـادروا المدينـة حتى حطم آلهتهم ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّـوا مُـدْبِرِينَ ﴿ فَجَعَلَهُـمْ جُـذَاذًا إِلَّـا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿ قَالُوا مَـنْ فَعَـلَ هَـذَا بِآلِهَتِنَـا إِنَّـهُ لَمِـنَ الظَّـالِمِينَ ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿ قَالُوا فَـأْتُوا بِـهِ عَلَـى أَعْـيُنِ النَّـاسِ لَعَلَّهُـمْ يَشْهَدُونَ ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَـا يَـا إِبْـرَاهِيمُ ﴿ قَـالَ بَـلْ فَعَلَـهُ كَبِيـرُهُمْ هَـذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِـهِمْ فَقَـالُوا إِنَّكُـمْ أَنْـتُمُ الظَّـالِمُونَ ﴿ ثُـمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿ قَـالَ أَفَتَعْبُـدُونَ مِـنْ دُونِ اللَّـهِ مَـا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿ أُفٍّ لَكُـمْ وَلِمَـا تَعْبُـدُونَ مِـنْ دُونِ اللَّـهِ أَفَلَـا تَعْقِلُـونَ ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿ قُلْنَا يَا نَـارُ كُـونِي بَـرْدًا وَسَـلَامًا عَلَـى إِبْرَاهِيمَ ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾[2].

قال ابن الجوزي: وكان لهـم عيـد فـي كـل سـنة يخرجـون إليـه، ولا يخلفـون بالمدينة أحدا، فقالوا لإبراهيم: لو خرجت معنا إلـى عيـدنا أعجبـك ديننـا، فخـرج معهـم، فلما كان ببعض الطريق قال: إني سقيم، وألقى نفسـه، وقـال سـرًّا مـنهم: وتـالله لأكيـدن أصنامكم، فسمعه رجل منهم فأفشاه عليه، فرجع إلـى بيـت الأصـنام، وكانـت فيمـا ذكـره مقاتل بن سليمان اثنين وسبعين صنما من ذهب وفضة ونحـاس وحديـد وخشـب، فكسـرها ثم وضع الفأس في عنق الصنم الكبير، فلما عادوا ورأوهـا قـالوا: مـن فعـل هـذا بآلهتنـا إنه لمن الظالمين، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال لـه إبـراهيم، فـأُمروا أن يـأتوا بـه علـى أعين الناس، أي على مرأى منهم، حتى يشهدوا عقابه ومـا يصـنع بـه، فـانطلقوا بـه إلـى نمرود فقال له: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال بـل فعلـه كبيـرهم هـذا، غضـب أن تعبد معه الصغار فكسرها، فاسألوهم إن كانوا ينطقون عمّن فعـل ذلـك بهـم، وهـذا إلـزام للحجة عليهم بأنها جماد لا تقدر على النطق.

وقد اختلف العلماء في وجه كلام إبراهيم عليه السلام على قولين:

---

[1] الصافات، 88-96

[2] الأنبياء، 57 - 70

أحدهما أنه صدِق وإن كان في صورة الكذب.

والثاني أنه من معاريض الكلام، وهو الراجح.

ثم تمّ النطق بالحكم النهائي على الفتى الذي تطاول على الآلهة، وهو الإحراق بالنار، وظهرت المعجزة الكبرى بأن سلب الله من النار صفة الإحراق فتحولت إلى برد وسلام عليه[1].

قال تعالى **﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۞ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**[2].

هذه الآيات بيّنت طريقته عليه السلام في الحوار المؤيّد بالحجة والبرهان العقلي، والأدلة الحسية على وحدانية الله، وقدرته على الخلق والرزق، والبعث والإماتة والإحياء، وسنة الله في الأمم التي تكذب الأنبياء والمرسلين، ونعيم الله وعذابه في الآخرة، وقدرته على الانتقام العاجل، ولما لم يتمكن من إقناعهم أعلن عليه السلام البراءة منهم استكمالا لأسس العقيدة التي يؤمن بها، وطبقها مبتدئاً بوالده **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾**[3].

---

[1] ابن الجوزي، **زاد المسير** ج1 ص32 - 33. بتصرف.

[2] العنكبوت، 16 - 24

[3] الزخرف، 26

المطلب الثالث: حواره مع الملك.

لم تقف معاناة إبراهيم عليه السلام عند محاجّة أبيه وقومه وإنما تعدّتهم إلى الملك الطاغية الذي يدّعي الألوهية واستحقاق العبادة، وذلك بعد أن نسب لنفسه الإحياء والإماتة ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[1]. إن الظاهر من الآية أنه ادعى لنفسه تصرفات الربّ.

يقول أبو الفرج ابن الحنبلي[2]: "فالصادرُ مِن خَصْمه معارضة إلا أنها فاسدة، لانَّ حقيقةَ الإحياء والإماتة التي فسرها خصمه غير الذي قَصده إبراهيم عليه السلام فلا يخلو حال نمرود إما أن يكونَ ما فهم حقيقة الإحياء والإماتة، أو فهم أنه قصد المصادمة والمباهتة، وكلاهما يوجب العدولَ إلى دليلٍ يفضحُ معارضته ويقطعُ حجاجه، ومتى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الانتقال إلى دليلٍ آخر أقرب إلى الفهم وأفلج للحجة"[3].

يقول ابن قيم الجوزية : لم يقل أحد من المفسرين قط أن معنى الآية: أن هذا الإحياء والإماتة حاصل مني ومن كل أحد، بل نقطع بأن هذا لم يخطر بقلب المشرك المناظر البتة. وقد ظن جماعة من الأصوليين وأرباب الجدل أن إبراهيم انتقل مع المشرك من حجة إلى حجة، ودليل ذلك أنه لم يجبه عن قوله أنا أحيي وأميت، لأن إبراهيم عليه السلام فهم مراده من الإحياء وهو استبقاء الحي على حياته، وبالتالي فقد انتقل إلى حجة أوضح من الأولى، فقال: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من

---

[1] البقرة،، 258

[2] هو عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي، أبو الفرج، عالم بفقه الحنابلة، مؤرخ. أصله من شيراز، ومولده ووفاته بدمشق. رحل إلى العراق ومصر والحجاز وفلسطين. وقد حضر فتح القدس مع صلاح الدين. له عدة كتب، منها أسباب الحديث، والاستسعاد بمن لقيت من صالحي العباد في البلاد، وله خطب ومقامات. وكان حلو الكلام مهيبا شهما. توفي سنة634هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام** ج3 ص340.

[3] ابن الحنبلي، عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي أبو الفرج (634هـ) **استخراج الجدال من القرآن الكريم** ط1 دار الأعلام، 2002م، ج1 ص5.

المغرب، فانقطع المشرك المعطّل، وليس الأمر كما ذكروه، ولا هذا انتقال، بل هذا مطالبة له بموجب دعواه الإلهية، فلما ادعى الكافر أنه يفعل كما يفعل الله، فيكون إلها مع الله، طالبه إبراهيم بموجب دعواه مطالبة تتضمن بطلانها، وهي أن يأتي بها من المغرب، وهذا برهان لا يقبل المعارضة بوجه، فلما تأكد عدوّ الله من ذلك لم يطلب من إبراهيم عليه السلام أن يأتي بها الله من المغرب؛ خوفا من أن يأتي بها من مغربها، فيظهر بطلان دعواه، وعدم صلاحيته للربوبية، وبذلك يكون إبراهيم عليه السلام قد أبطل مذهب عبادة الكواكب والنجوم، وكذلك الأصنام الناطقة والجامدة، لأن الله وحده هو الذي يحيي ويميت، ولا يصلح الحي الذي يموت للإلهية، لا في حال حياته ولا بعد موته، فإن له ربا قادرا قاهرا متصرفا فيه إحياء وإماتة، ومن كان كذلك فكيف يكون إلها؟[1]

والراجح أن هذا الملك الطاغية ادعى الربوبية فعلا، وقد أقعده عقله السقيم عن الفهم السليم لمبدأ الإحياء والإماتة، فاعتقد أن استبقاء الحي على حياته إحياءً، والحكمَ بالموت على حيٍّ إماتةً، ولم يعلم بأن كل ذلك مقدّر في اللوح المحفوظ، لكن على أي حال فإن هذا الادعاء منه كفر بواح يشبه قول فرعون الصريح **﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾**[2].

المطلب الرابع: حواره مع الله في إحياء الموتى.

طلب إبراهيم عليه السلام من الله تعالى أمرا غاية في الغرابة، بل وربما لم يسبقه إليه أحد، وهو رؤية إحياء الموتى رؤيةً عينيةً، **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[3]. ولم يكن مقصوده عليه السلام التأكد من قدرة الله تعالى على ذلك، بل اطمئنان القلب الذي لا يحصل إلا بالمشاهدة المباشرة، ولم يشك عليه السلام بقدرة الله تعالى فعن أبي

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ) **مفتاح دار السعادة وولاية العلم والإرادة**، بيروت: دار الكتب العلمية، ج2، ص 204 - 207. بتصرف.

[2] النازعات، 24

[3] البقرة، 260

هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: **"نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال " رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي""**[1].

وقد جعل ابن القيم لهذا الاطمئنان درجات ثلاثة فقال: إن إبراهيم عليه السلام طلب الانتقال من الإيمان بالعلم بإحياء الله الموتى، إلى رؤية تحقيقه عيانا، فطلب بعد حصول العلم الذهني تحقيق الوجود الخارجي، فإن ذلك أبلغ في طمأنينة القلب، ولما كان بين العلم والعيان منزلة أخرى، قال النبي ﷺ: **"نحن أحق بالشك من إبراهيم ..."** وإبراهيم عليه السلام لم يشك ورسول الله ﷺ لم يشك ولكن أوقع اسم الشك على المرتبة العلمية باعتبار التفاوت الذي بينها وبين مرتبة العيان في الخارج، وباعتبار هذه المرتبة سمي العلم اليقيني قبل مشاهدة معلومه ظناً، قال تعالى ﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[2] وهذا الظن علم جازم، فكم بين الخبر والعيان فرق[3].

فالمسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك، لكن من قبل زيادة العلم بالعيان؛ فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال[4].

وقد كان إبراهيم عليه السلام علم ذلك علم خبر ونظر، ولكنه أراد المعاينة التي لا يدخلها ريب ولا شبهة، لأن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات، وعلم المعاينة لا يدخله شيء من ذلك[5].

وقد سأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى وقد علم ذلك بخبر الله له، ولكنه طلب أفضل المنازل وهي طمأنينة القلب، وقد قالوا أن لليقين ثلاث مراتب: أولها للسمع، وثانيها للعين وهي المسماة بعين اليقين، وهي أفضل من المرتبة الأولى وأكمل، والبصر يؤدى إلى القلب، ويؤدي عنه، فإن العين مرآة القلب، يظهر فيها ما يحبه من المحبة والبغض والموالاة والمعاداة والسرور والحزن، فالمدرك بالسمع أعم وأشمل،

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري** كتاب الأنبياء، بَاب قَوْلُهُ عز وجل ﴿وَنَبِّئْهُمْ عن ضَيْفِ إبراهيم﴾ ح3192.

[2] البقرة، 46

[3] ابن القيم، **مدارج السالكين** ج3 ص388.

[4] ابن عادل، **تفسير اللباب**، ج3 ص284.

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ج6 ص 365.

والمدرك بالبصر أتم وأكمل، فالسمع له العموم والشمول، والبصر له الظهور والتمام والمرتبة الثالثة فهي طمأنينة القلب وهي أفضلها[1].

ظهرت الحكمة من هذا الحوار الخاص، وهي تعليم كل من يأتي بعده عليه السلام أن يتحقق من المعلومات بشكل عام، فلا يبني إلا على اليقين، فقد قال تعالى ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾[2]. فلا تسمى الحقيقة العلمية بهذا الاسم حتى تثبت عيانا أو منطقاً، وتضطرد فلا يعود لها معارض، وإلا فهي نظرية علمية أو شكّ في أدنى مراتب الصحة. وهذه سابقة في المنهج العلمي الصحيح الذي تقرّه أعلى مراتب العلم في القرن الواحد والعشرين.

المطلب الخامس: حواره مع الملائكة.

عندما جاءت الملائكة لتبشر إبراهيم عليه السلام بالولد الذي ينتظره منذ زمن بعيد، وبعد أن ذهب خوفه من الضيوف الذين رفضوا أكل طعامه، وعلم أنهم جاؤوا في مهمة خاصة؛ وهي تدمير الأرض التي يسكنها ابن أخيه لوط عليه السلام أخذ يجادلهم في هذه المهمة، ويقول لهم: إن في هذه القرية عائلة مؤمنة، وهم بالطبع أعلم بمن فيها ﴿**فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۞ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ۞ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ**﴾[3].

جاء في زاد المسير: "قال إبراهيم عليه السلام للملائكة: "أتهلكون قرية فيها مائة مؤمن؟ قالوا: لا. قال: أتهلكون قرية فيها خمسون مؤمنا؟ قالوا: لا. قال: أربعون؟ قالوا: لا. فما زال ينقص حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا. فقال حينئذ ﴿**إن فيها لوطا**﴾ قالوا: "**نحن أعلم بمن فيها**"[4]" [5].

---

[1] ابن القيم، **مفتاح دار السعادة** ج1 ص 106.

[2] يونس، 36

[3] هود، 74 - 76

[4] العنكبوت، 32.

[5] ابن الجوزي، **زاد المسير** ج3 ص155.

يقول سيد قطب: فالذي لا يأكل الطعام يريب، ويشعر بأنه ينوي خيانة أو غدراً بحسب تقاليد أهل البدو، وأهل الريف عندنا يتحرجون من خيانة الطعام، وعند هذا كشفوا له عن حقيقتهم، وإبراهيم يدرك ما وراء إرسال الملائكة إلى قوم لوط! ولكن حدث في هذه اللحظة ما غير مجرى الحديث **"وامرأته قائمة فضحكت"** وربما كان ضحكها ابتهاجاً بهلاك القوم الملوثين **"فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب"** وكانت عقيماً لم تلد وقد أصبحت عجوزاً، ففاجأتها البشرى بإسحاق، وهي بشرى مضاعفة بأن سيكون لإسحاق عقب من بعده هو يعقوب، ولا عجب من أمر الله، فالعادة حين تجري بأمر لا يكون معنى هذا أنها سنة لا تتبدل، ولا نحكم على حكمة الله وسنته بما تجري به العادة في أمد هو على كل حال محدود، وإلى هنا كان إبراهيم عليه السلام قد اطمأن إلى رسل ربه وسكّن قلبه بالبشرى التي حملوها إليه. ولكن هذا لم ينسه لوطاً وقومه، وما ينتظرهم من وراء إرسال الملائكة من هلاك واستئصال، وطبيعة إبراهيم الرحيمة الودودة لا تجعله يطيق هلاك القوم واستئصالهم جميعاً والحليم الذي يحتمل أسباب الغضب فيصبر ويتأنى ولا يثور، والأوّاه الذي يتضرع في الدعاء من التقوى، والمنيب الذي يعود سريعاً إلى ربه، وهذه الصفات كلها قد دعت إبراهيم عليه السلام أن يجادل الملائكة في مصير قوم لوط، وإن كنا لا نعلم كيف كان هذا الجدال؛ لأن النص القرآني لم يفصّله، فجاءه الرد بأن أمر الله فيهم قد قضي وأنه لم يعد للجدال مجال[1].

وما جداله هذا إلا ليعلمنا السؤال عن الآخرين، والانشغال بأمرهم، وما سيحصل لهم، وتقدير العواقب لأي حادثة، ومحاولة إنقاذ المؤمنين من خطر محدق، وليس هذا اعتراضا على قدر الله وقضائه، ولكنه محاولة في إظهار شخصية إيجابية في المجتمع تفرح لفرحه وتحزن لحزنه، كعضو يدين لكامل الجسد بالسهر والحمّى إذا مرض.

[1] قطب، **في ظلال القرآن** ج4 ص253 - 254. بتصرف.

المطلب السادس: حواره مع ولده إسماعيل.

عندما يتكلم باحث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام لا بدّ له من أن يعرّج على قصة ذبح ولده إسماعيل عليه السلام الذي وهبه الله إيّاه على كبرٍ في العمر، وعقمٍ في الزوجة التي كان يأنس بها ويرجو منها الولد حيث قال تعالى ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾ [1] فشاءت إرادة الله أن يولد ابنه الأكبر إسماعيل عليه السلام من هاجر القبطية، لا من سارة ثم يأمره الله تعالى بأخذ المولود وأمه إلى واد غير ذي زرع، ثم يعود بعد أن شبّ عود ولده ليقيم معه قواعد البيت الحرام، ولا أريد هنا الإطالة أو التفصيل في أقوال العلماء؛ إذ أن هذه الأمور باتت تُعرف من سيرتهما العطرة بالضرورة، وليست هي موضوع بحثي، ولم يَطُل عمر إسماعيل عليه السلام كثيرا حتى أُمر أبوه بذبحه ﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۞ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۞ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[2].

أميل مع من يرجح من العلماء أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ومن أسباب ذلك أن الله تعالى ذكر في آيات سورة الصافات قصة الذبح، ثم بعد ذلك البشارة بإسحاق صراحة، فيظهر أن الله تعالى قد وهبه إسحاق بعد حادثة الذبح. وقد وردت صفة الصبر مقترنة بإسماعيل عليه السلام جاء في مفاتيح الغيب: "إن الله تعالى وصف إسماعيل بالصبر دون إسحق في قوله"**وإسماعيل وَإِدْرِيسَ وَذَا الكفل كُلٌّ مّنَ الصابرين**"[3]. وهو صبره على الذبح، ووصفه أيضاً بصدق الوعد في قوله"**إِنَّهُ كَانَ صادق الوعد**"[4]. لأنه

---

[1] إبراهيم، 39

[2] الصافات، 99 - 112

[3] الأنبياء، 85

[4] مريم، 54

وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفّى به"[1]. ولم يقف الحـدّ فـي القـرآن عنـد وصـفه بالصبر فقط، بل بالحلم أيضا وهي مـن الصـفات التـي لا يقـدر عليهـا إلا مـن آتـاه الله حظا من رحمته فأودع تلك الصفة في قلبه.

يقول الإمام الآلوسي: "إن في الآية عدة بشارات: إنه ظـاهر فـي أن مـا بُشِّـرَ بـه عينُ ما استوهبهُ لأن مثله إنما يقـال عرفـاً فـي حـق الأولاد، ولقـد جمـع بهـذا القـول بشارات أنه ذكر؛ لاختصاص الغلام به، وأنه يبلـغ، أو أن البلـوغ بالسـن المعـروف فإنـه لازم لوصفه بالحليم، لأنه لازم لذلك السـن بحسـب العـادة، إذ قلمـا يوجـد فـي الصـبيان سعة صدر وحسن صبر وإغضاء في كل أمر، وجوّز أن يكـون ذلـك مفهومـاً مـن قولـه تعالى "**غُلاَمٌ**" فإنه قد يختص بما بعد البلـوغ وإن كـان ورد عامـاً وعليـه العـرف كمـا ذكره الفقهاء، وأنه يكون حليما، وأي حلم مثل حلمـه عـرض عليـه أبـوه وهـو مراهـق الذبح فقال "**سَتَجِدُنِى إِن شَاء الله مِنَ الصابرين**" فما ظنك به بعد بلوغـه، وقيـل: مـا نعـت الله تعالى نبياً بالحلم لعزة وجوده غير إبراهيم وابنه عليهما السلام"[2] .

إن المؤمن الذي يقرر هجر الشرك وبلاده وأهلـه يسـتحق أن ينـال مـن الله أجـرا عظيما، كما كانت ولادة إسـماعيل عليه السلام وأخيـه وولـده ثوابـاً لهجـرة أبـيهم عليه السلام ﴿**فَلَمَّـا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُـوبَ وَكُلّـاً جَعَلْنَـا نَبِيّـاً**﴾[3]. لـيس هذا فحسب وإنما بشره بنبوتهم أيضا، لكن لا بـدّ مـن امتحـان حتـى ينـال مـا نـال مـن التكريم الإلهي.

يقول سيد قطب: في قول إسـماعيل "**سـتجدني إن شـاء الله مـن الصـابرين**": يـا لله! ويا لروعة الإيمان والطاعـة والتسـليم! هـذا إبـراهيم الشـيخ المقطـوع مـن الأهـل والقرابة، المهاجر من الأرض والوطن، يرزق بعـد هرمـه بغـلام، يشـهد لـه ربـه بأنـه حليم، ما يكاد يأنس به، ويبلغ معه السعي، حتى يرى في منامـه أنـه يذبحـه، ويـدرك أنهـا إشارة من ربه بالتضحية، لا يتـردد، ولا يخالجـه إلا شـعور الطاعـة، ولا يخطـر لـه إلا

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج 23 ص127.

[2] الألوسي، **روح المعاني** ج 17 ص 109.

[3] مريم، 49

خاطر التسليم. والأمر شاق ما في ذلك شك، ويعرض علــى ابنــه هــذا العــرض؛ ويطلــب إليه أن يتروى في أمره وأن يرى فيه رأيه! ولا يأخذ ابنه على غــرة لينفــذ إشــارة ربــه، وينتهي، إنما يعرض المسألة عليه كالــذي يعــرض المــألوف مــن الأمــر، فيتلقــى الغــلام الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب، ولكن في رضــا، كــذلك وفــي يقــين، ثــم هــو الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال حيــث قــال **"ســتجدني إن شــاء الله مــن الصابرين"** ولم يأخذها بطولة، ولم يأخــذها شــجاعة، ولــم يأخــذها انــدفاعاً إلــى الخطــر دون مبالاة، ولم يظهر لشخصه ظلاً ولا حجماً ولا وزنــاً، إنمــا أرجــع الفضــل كلــه لله إن هو أعانه وأصبره، ثم يخطو المشهد خطــوة أخــرى وراء الحــوار والكــلام، وهــي لحظــة التنفيذ والانصياع للأمــر، فهــذا هــو الإســلام؛ ثقــة وطاعــة وطمأنينــة ورضــا وتســليم وتنفيذ[1].

لو أردنا استقصاء الدروس واستنباط الحكــم والعبــر مــن هــذا المطلــب، لاحتجنــا ربما لرسالة أخرى، لكن وبمحاولة حثيثة في الاختصــار وعــدم الإطالــة، يبــدو أن ســيدنا إبراهيم ﷺ أراد تعليم الآبــاء كلهــم قواعــد التعامــل الراقــي مــع أولادهــم؛ فقــد كــان يستطيع ﷺ - كما أشار سيد قطب رحمه الله - أن يأخذ ابنه علــى حــين غــرّة وينفــذ أمــر الله تعالى وانتهى، لكنــه أراد أن يعلمنــا كيــف نحــاور أبناءنــا، وكيــف نعــرض علــيهم الأمور، ولا نملي علــيهم الواجبــات والآراء، فضــلا عــن إجبــارهم عليهــا، وأن نعلمهــم كيفية اتخاذ القرار، فضلا عن اتخاذه عنهم، ثم لننظر كيف أشــار الله تعــالى إلــى كــل مــا سبق بكلمات معدودة، والظاهر أن الســبب فــي قلــة الكلمــات بــين الأب وابنــه، التربيــة الرفيعة التي حظي بها الولد، وكلنا يعرف أنه قد تربى في حضــن أمــه، فــي وقــت كانــت المسافات التي تفصله عن أبيه فيه شاسعةً كلمةً ومعنــى، فكيــف أطــاع الولــد والــده وقــد نأى عنه كل هذه السنين؟ لولا أن الله تعالى حباه بأمٍّ هــي الأخــرى أمــةٌ فــي حــدّ ذاتهــا كيف لا وهي زوجة رسول وأم رسول تملك كل ذاك اليقــين الــذي أعانهــا علــى الصــبر في وادٍ قفر !.

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، ج6 ص185 - 189. بتصرف.

أما الحكمة فقد ظهرت عندما حاز إبـــراهيم عليه السلام علـــى مقـــام الخُلّـــة، التـــي لا تقبـــل مشاركةً للحبيب في القلب، فقد خلا قلبه الطـــاهر عليه السلام مـــن أي محبـــة إلا لله، ثـــم خـــلا مـــن شريك في هذه المحبة ولو بجزء يســـير، ولـــو كـــان المحبـــوب ولـــده. فهـــي تربيـــة لكـــل الحنفاء على الأرض على تخلية خلـــوة القلـــب لله تعـــالى وعـــدم ملئهـــا إلا بمحبتـــه، فهـــي خاصة له ولا يمكن لأحد أن يملأها إلا الله وذِكره فـــالأولى أن لا يشـــاركه فيهـــا أحـــد، هـــذا ما أراد إبراهيم عليه السلام أن يعلمنا إياه.

المبحث السادس: الحكمة في تحطيم الأصنام.

هذه حادثة مهمة في حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام فهـــذه الحادثـــة التـــي تضـــمّنت حكمـــا جائرا ومعجزة بالغة في الغرابة كانـــت نقلـــة فـــي حياتـــه عليه السلام ونبوتـــه ورســـالته، ومـــن المفروض أن نـــتعلم منهـــا الكثيـــر، فمـــن خـــلال مواقفـــه عليه السلام يمكننـــا أن نقـــيّم صـــدقنا، وشجاعتنا، ورغبتنا في قول الحـــق ونصـــرته والثبـــات عليـــه، رغـــم الظـــروف القـــاهرة، وعدم تقبّل المجتمع لأفكارنا التي قد تعدّ أحيانـــا هـــدما للحضـــارة، وتـــأخيرا للمجتمـــع عـــن سير ركب المدنيّة.

وسأورد هنا الآيات الخاصـــة بتحطـــيم الأصـــنام ثـــم أســـتنبط الحكمـــة منهـــا فـــي المطالب التالية لها. قال عز شأنه: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِـــنْ قَبْـــلُ وَكُنَّـــا بِـــهِ عَـــالِمِينَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْـــتُمْ لَهَـــا عَـــاكِفُونَ ۞ قَـــالُوا وَجَـــدْنَا آبَاءَنَـــا لَهَا عَابِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِـــي ضَـــلَالٍ مُبِـــينٍ ۞ قَـــالُوا أَجِئْتَنَـــا بِـــالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۞ قَالَ بَلْ رَبُّكُـــمْ رَبُّ السَّـــمَاوَاتِ وَالْـــأَرْضِ الَّـــذِي فَطَـــرَهُنَّ وَأَنَـــا عَلَـــى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْـــدَ أَنْ تُوَلُّـــوا مُـــدْبِرِينَ ۞ فَجَعَلَهُـــمْ جُـــذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُوا مَنْ فَعَـــلَ هَـــذَا بِآلِهَتِنَـــا إِنَّـــهُ لَمِـــنَ الظَّـــالِمِينَ ۞ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالُوا فَـــأْتُوا بِـــهِ عَلَـــى أَعْـــيُنِ النَّـــاسِ لَعَلَّهُـــمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَـــا يَـــا إِبْـــرَاهِيمُ ۞ قَـــالَ بَـــلْ فَعَلَـــهُ كَبِيـــرُهُمْ هَـــذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِـــهِمْ فَقَـــالُوا إِنَّكُـــمْ أَنْـــتُمُ الظَّـــالِمُونَ ۞ ثُـــمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۞ قَـــالَ أَفَتَعْبُـــدُونَ مِـــنْ دُونِ اللَّـــهِ مَـــا**

لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۞ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾[1].

وللنخجواني[2] كلام في تفسير الآيات آثرت أن أورده هنا[3]: لما رجع قوم إبراهيم ﷺ من عيدهم، ودخلوا إلى معبدهم وبدؤوا بالتقرب نحو آلهتهم المجذوذة فوجدوها متفرقة الأجزاء، قالُوا من فرط حزنهم وأسفهم مستبعدين متحسرين: مَنْ فَعَلَ هذا الفعل الفظيع والأمر الشنيع الفجيع بِآلِهَتِنا ومعبوداتنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ الخارجين عن شعائر ديننا الجاحدين لآلهتنا. فقال السامعون منهم للسائلين: قد سَمِعْنا فَتًى -نكروه تحقيرا له وإهانة عليه- قد كان يَذْكُرُهُمْ أي الآلهة بالسوء دائما "**يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ**" فلما حضر نمرود واجتمع معه أشراف مملكته، أحضروه لينتقموا منه، قالُوا له أولا على سبيل التعيير والتقريع: "**أَأَنْتَ فَعَلْتَ**" هذا الفعل الشنيع والأمر الفظيع الفجيع بِآلِهَتِنا ومعبوداتنا يا إِبْراهِيمُ قالَ في جوابهم بمقتضى اعتقادهم وزعمهم: أنا عبد مألوه مربوب، وهم آلهة معبودون، كيف أقدر أن أفعل بهم هذا "**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ**" هذا، وأشار إلى الصنم الكبير، وقد فعل هذا معهم هكذا لئلا يشاركوا معه في المعبودية والألوهية، فاسألوهم إن اعتقدتم نطقهم وتكليمهم، لأنهم آلهة، ومن لوازم الألوهية التكلم والنطق، بل أنتم تعتقدون أن هؤلاء خلقوا عموم أهل التكلم واللسان، ولما تفرسوا بخطئهم وتفطنوا بأحقيّة إبراهيم، وصدقه في مقاله، بعد ما علموا أعلى الأمر وأسفله وفرقوا بين الحق والباطل فرقا ظاهرا، أرادوا أن يقلبوا الأمر ويعكسوه؛ عنادا

---

[1] الأنبياء، 51 - 70

[2] نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان: متصوف، من أهل آقشهر بولاية قرمان نسبته إلى نخجوان من بلاد القفقاس. رحل إلى الأناضول، واشتهر وتوفي بآقشهر سنة920هـ. له الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية في التفسير، على لسان القوم. قال صاحب الشقائق النعمانية: كتبه بلا مراجعة للتفاسير، وأدرج فيه من الحقائق والدقائق ما يعجز عن إدراكه كثير من الناس، مع الفصاحة في عبارته وله شرح كتاب: كلشن راز بالفارسية، و هداية الإخوان في التصوف. أنظر: الزركلي، **الأعلام** ج8 ص39.

[3] آثرت ذكره على ذكر غيره لأن فيه وصف أدقّ من وصف غيره لنفسية سيدنا إبراهيم ﷺ مع كامل الاحترام والتقدير لجميع العلماء، وما لذكري لكلام النخجواني سبب إلا أنه نابع من تذوقي للنص لا غير.

ومكابرة، فقالوا: لَقَدْ عَلِمْتَ أيها المجادل ما هَؤُلاءِ الآلهة يَنْطِقُونَ إذ هم جمادات لاحس لهم ولا شعور، فقالَ إبراهيم موبخا عليهم ومقرعا: أَما تستحيون وما تخجلون أن تعبدوا مِنْ دُونِ اللَّهِ الواحد الأحد، المتوحد بالألوهية والربوبية، ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ؟! ثم قال على سبيل الضجرة، والتأسف على ضيعة عقلهم: أُفٍّ لَكُمْ أي قبحا لكم وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. ثم نطقوا بالحكم الجائر، حيث قالُوا بعد ما تشاوروا كثيرا في كيفية إهلاكه: حَرِّقُوهُ؛ إذ لا عذاب أهول وأفزع من الحرق، وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ بتحريق هذا الظالم[1].

يقول سيد قطب في هذه الرجعة: "وحقاً لقد كانت الأولى رجعة إلى النفوس، وكانت الثانية نكسة على الرؤوس؛ كما يقول التعبير القرآني المصور العجيب، كانت الأولى حركة في النفس للنظر والتدبر، أما الثانية فكانت انقلاباً على الرأس فلا عقل ولا تفكير، وإلا فإن قولهم هذا الأخير هو الحجة عليهم، وأية حجة لإبراهيم أقوى من أن هؤلاء لا ينطقون؟! ومن ثم يجبههم بعنف على غير عادته، وهو الصبور الحليم، **"قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون"** و**"أفّ"** هذه قولة يظهر فيها ضيق الصدر، وغيظ النفس، والعجب من السخف الذي يتجاوز كل مألوف"[2].

تظهر في هذه الآيات أنواع مختلفة من الأساليب، مليئة بكثير من الحكمة والحنكة، محفوظة في قلب نبي من أعظم الأنبياء، مرعيّة في كنف الله تعالى، أذكرها بإذن الله تعالى من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: إحراج قومه ببيان حقيقة آلهتهم.

هذه الآيات العظيمة تبيّن أن صاحب الرسالة يجب أن يكون مؤمناً بها، قوياً في توصيلها، متبعاً لسابقيه الذين أناروا مشاعلها، مستخدما الأساليب المناسبة لمتلقيها، والمستخلص من هذه الوسائل التي استخدمها عليه السلام لتبليغ الناس ما يأتي:

---

[1] النخجواني، نعمة الله بن محمود (920هـ) **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية** مصر: دار كابي للنشر، 1999م، ج1 ص 535 - 537. بتصرف.

[2] قطب، **في ظلال القرآن** ج5 ص 162.

أولا: السيرة الحسنة: أثبت عليه السلام منذ طفولته رشداً لم يظهر في أقرانه، لذلك لا نجد في القرآن الكريم آية واحدة عاب فيها قومه عليه عقله، بل إن الله تعالى لم يصف أحدا بالرشد غيره، وقد استفاد عليه السلام من هذه الميزة أيّما استفادة؛ إذ تحدث لأبيه وقومه عن تماثيلهم التي يعبدونها، مع علمه بحظر ذلك في المجتمع الغاشم الذي كان يعيش فيه، معتمدا على أن القوم لن يأخذوا كلامه إلا بشيء من الفهم والتفكّر، فهم يعلمون مدى رجاحة عقله، ومكانته وأبيه في المجتمع.

ثانيا: طرح السؤال الهادف: بدأ مع قومه بطرح أسئلة ربما تكون أسئلة عادية لغافل عنها، إلا أنها أسئلة الحاذق، الذي يخفي خلف سؤاله دائما هدفاً سامياً، لقد كان هدفه أن يبيّن لهم سوء معتقدهم، وفساد معبودهم، وقد سمع حجتهم بأنها معبودات آبائهم، فبادر بإلقاء عنوانِ حجّته، بأن قال لهم بأنهم وآباءهم غارقون في الضلال، ولعلمهم اليقيني برشده سألوه: إن كان جاداً أو أنه يمازحهم، ولم يكن هذا منهم قدحاً في شخصيته، وإنما استغراباً منهم لتوصّله لحقيقةٍ لم يتوصّل إليها أحد منهم ممّن سبقوه عليه السلام بالعمر والعلم، وتجرّئه على الإفصاح عمّا يجول بخاطره تجاه الآلهة، ثم بادر بإلقاء الأسئلة عليهم:

- **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾**[1]
- **﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾**[2]
- **﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾**[3]
- **﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾** [4]

وخلاصة هذه الأسئلة: استغراب من عبادة حجارة صمّاء، لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، بل إنها مخلوقة لله تعالى هي وصانعيها، وهي أسئلة تعصف بالأذهان فتقلب عاليَ أفكارها سافلَها وتعيد ترتيب الأوراق منطقيًّا، لأن العقل لا يقبل

---

[1] الأنعام، 74

[2] الأنبياء، 66

[3] الشعراء، 70 - 73

[4] الصافات، 95/ 96

إلا بما هو منطقي معقول، وإن خالف اللسان، وخالفت الجوارح، فإن المنطق يبقى سيد السّادة في العقل، وإن حاول التفكير فإنما يكون استنزافا للفكر في إقناع الغير، بما لم يقتنع به، كما قال الوليد بن المغيرة بعد التفكير والتقدير ﴿**فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ**﴾[1]. وكان عقله قد اقتنع سابقا بأن القرآن كلام إله فقال: "واللّه ما هو من جنس كلام الإنس والجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعاليه لمثمرة وإن أسافله لمغدقة وإنه يَعلو ولا يُعلى عليه"[2].

ثالثا: النفي والإثبات: لقد نفى عليه السلام عن نفسه اللعب والمزاح مباشرة؛ فالأمر لا يحتمل المزاح، وليس له من داعٍ هنا، كما أنه لم يخش منهم فيكذب، أو يواري، وكل ذلك ظهر في الحرف (بل) وهو حرف إضراب ينفي ما سبقه ويثبت ما بعده[3].

فنفى بذلك اللعب، وأثبت عليه السلام أن الله تعالى رب قومه ورب آبائهم، وشهد على ذلك، وشهادته هذه تدلّ على أنه كان عندهم مصَدَّق فيما يقول، مما يؤكد النقطة الأولى، وإلا لقالوا له لا نقبل بشهادتك.

رابعا: تغيير المنكر: لقد قرر عليه السلام أن يغير المنكر بيده تغيير الحاكم القادر عليه، فحطم الأصنام بيده، بعد أن عقد لذلك يمينا "**وتا الله لأكيدن أصنامكم**"، فإن كان هذا اليمين جهرياً فقد قصد منه التهديد، وإن كان سرياً، فقد خطط لاستدراجهم إلى نقاش يعرّي آلهتهم من كل احترام.

خامسا: إحقاق الحق وإبطال الباطل: وقد ظهر هذا الأسلوب عندما عاد القوم من عيدهم ووجدوا آلهتهم قد دُمرت، فلم يدخروا جهداً في توجيه أصابع الاتهام المباشر لإبراهيم عليه السلام، ولم يغفلوا عن أنه جادلهم في حقيقة ألوهيتها، وقد وجههم بشيء من التورية إلى الفاعل الحقيقي، وكان قد علق الفأس في عنق كبير الأصنام، ولم يقصد عليه السلام الكذب حين وجههم إليه، وإنما قصد بيان حقيقة هذا الإله المزيّف غير القادر حتى على حماية نفسه فضلا عن حمايتهم، فلما انقطعت حجتهم بأنه لا يستطيع الكلام، لا

---

[1] المدثر، 24

[2] الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله (320هـ) **نوادر الأصول في أحاديث الرسول** ﷺ بيروت: دار الجيل، 1992م، ج3 ص259.

[3] دعاس، قاسم حميدان، **إعراب القرآن الكريم** دمشق: دار المنير، دار الفارابى، 1425هـ، ج2 ص 289.

هو ولا من معه ممّن دُمّروا، أجابوا بهذه الحقيقة إبـــراهيمَ ﷺ مـــن أنهـــم بكـــم لا ينطقـــون، فظهرت هنا حكمة الفتى الذي آتاه الله رشده منـــذ أن كـــان طفـــلا صـــغيرا، لقـــد اســـتدرجهم إلى كلام مؤدّاه بيان فساد عقيدتهم، ولو لم يكن بهذا الـــذكاء، وتلـــك الحنكـــة، وهـــذه الحكمـــة والإعانة الربانية لما استطاع أن يصل معهم إلى هـــذه الاعترافـــات، بـــالرغم مـــن أنـــه لـــم يستطع إقناعهم بالإسلام، إلا قليلا منهم، إلا أنهـــم عرفـــوا فـــي أعمـــاق أنفســـهم أنـــه علـــى الحق، وهذا هو المطلوب؛ ليكون حجة عليهم يوم القيامة.

المطلب الثاني: إثبات قول الخصم والكرّ بالحجة.

هذا أسلوب آخر يتبعه أبـــو الأنبيـــاء ﷺ يفحـــم الضـــالين، ويُقعـــد عـــزائمهم عـــن الجدال، ويخرس ألسنتهم عن الردّ، وهو إثبات قولهم الباطـــل علـــيهم؛ ليتبـــيّن مـــدى ســـذاجة عقولهم، وسفاهة أحلامهم، وقد ظهر هذا الإثبـــات منـــه ﷺ عنـــدما **قَـــالَ: ﴿أَفَتَعْبُـــدُونَ مِـــنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُـــرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَكُـــمْ وَلِمَـــا تَعْبُـــدُونَ مِـــنْ دُونِ اللَّـــهِ أَفَـــلا تَعْقِلُونَ﴾**[1]. وذلك بعد اعترافهم بـــأن الآلهـــة لا تنطـــق، فقـــد أثبـــت لهـــم أنهـــا لا تنطـــق، وأدخلهم في حيرة وزعزعة، بسؤاله لهـــم كيـــف تعبـــدون أصـــناما جامـــدة بكمـــاء، وهكـــذا يكون قد كرّ عليهم بالحجة التي قـــدمها قبـــل أن يحطـــم الأصـــنام، حـــين ســـماها تماثيـــل[2] فالتمثال الذي لا ينطق، والذي حذّرهم من عبادتـــه مـــن دون الله فـــي بدايـــة النقـــاش، هـــو ذاته الذي تمّ اعترافهم عليه بأنه أبكم، وبالتالي فـــإن هـــذا الأســـلوب الملـــيء بالحكمـــة منـــه ﷺ يعدّ جديدا في مضمونه ومعناه، وقد كرّ عليهم مرة أخـــرى حـــين قـــال لهـــم أن يســـألوا الصنم الأكبر عن المحطم للأصنام، والنتيجة: إن لـــم تكـــن هـــذه الأصـــنام ناطقـــة، فكيـــف يمكنها أن تُنطق الناس فضلا عن خلقهم؟ وكيـــف يمكنهـــا أن تحاســـب الـــذي يـــتكلم عليهـــا بسوء كما هددوه سابقا؟ وكيف يمكنها أن تسيّر أمور الكون دون أن تهمس ببنت شفة؟

---

[1] الأنبياء، 66/ 67

[2] التمثال: هو أَصل الأَوْثانِ عند العرب كل تِمْثالٍ من خشب أَو حجارة أَو ذهب أَو فضَّة أَو نـــحاس أَو نـــحوها، وكانت العرب تنصبها وتعبدها، والصَّـــليب كالتِّمْثال تُعَظِّمُه النصارى وتعبده. أنظر: ابن منظور **لسان العرب** مادة مثل ج14 ص 443.

كل هذه الأسئلة العاصفة بالذهن المحيّرة ألقاها إبراهيم عليه السلام بمنتهى الذكاء والحكمة من خلال قوله **﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾**[1].

كيف لا وهو المبلّغ عن ربه، الحافظ لحدوده، أول من أطلق على نفسه وعلى أمة محمد ﷺ اسم المسلمين **﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾**[2].

المطلب الثالث: التورية.

التورية كما قال ابن سلاّم[3] هي السَّتر يقال منه: وَرَّيتُ الخبر أُوَرِّيه تورية إذا سترته وأظهرت غيره قال أبو عبيد القاسم بن سلام: ولا أراه مأخوذا إلا من وراء الإنسان لأنه إذا قال: وريته فكأنه إنما جعله وراءه حيث لا يظهر[4].

وقد سمى رسول الله ﷺ تورية سيدنا إبراهيم عليه السلام كذبا في الحديث الشريف الذي سمى فيه كذباته الثلاثة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات: ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله إني سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال أختي، فأتى سارة، فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإنّ هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني..."**[5].

والتورية مقبولة في بعض الأحيان أخرج البيهقي عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ[6] قَالَ: **"أَقْبَلْنَا**

---

[1] الأنبياء، 63

[2] الحج، 78

[3] محمد بن سلام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله: إمام في الأدب. من أهل البصرة، مات ببغداد سنة232هـ. له كتب، منها طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين وبيوتات العرب وغريب القرآن وكان يقول بالقدر، فقال أهل الحديث: يكتب عنه الشعر، أما الحديث فلا. أنظر: الزركلي، الأعلام، ج6 ص146.

[4] ابن سلاّم، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء أبو عبد الله (232هـ) **غريب القرآن** مادة وري ج1 ص 198.

[5] سبق تخريجه في الصفحة **59**.

[6] مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشى العامري، أبو عبد الله: زاهد من كبار التابعين. له كلمات في الحكمة مأثورة، وأخبار. ثقة في ما رواه من الحديث. ولد في حياة النبي ﷺ. ثم كانت إقامته ووفاته في البصرة سنة95هـ. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب** ص466.

مَعَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مِنَ الْبَصرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ، فَمَا مِنْ غَدَاةٍ إِلَّا يُنَاشِدُ فِيهَا الشِّعْرَ، وَيَذْكُرُ فِيهَا أَيَّامَ الْعَرَبِ وكَانَ يَقُولُ: "إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ مَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ""[1]. وقد جاء في إعلام الموقعين: وإن كان في المعاريض مندوحة عن الكذب ففي معاريض الفعل مندوحة عن المحرمات وتخلّصٌ من المضايق[2]. فعن أنس بن مالك ﷺ قال: **"كان رسول الله ﷺ في مسير له ونساؤه بين يديه وإذا حادٍ أو سائق وفي موضع آخر قال فحدا الحادي فقال رسول الله ﷺ أرفق يا أنجشة ويحك - بالقوارير"**[3] وإنما أراد بالقوارير النساء فشبه ضعف عزائمهن وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في سرعة الكسر[4]. وهذه المعاريض ونحوها من أصدق الكلام، والحكمة من التورية هنا إحقاق الحق وإظهاره وبيان سطوعه، والمحافظة على النفس من شرور الأعداء، وهذا مباح فقد قال ﷺ لعمّار ابن ياسر ﷺ وقت تعذيبه واعتذاره للرسول ﷺ على سبّه: **"فإن عادوا فعد"**[5]. فإن كان هذا جائز في حماية النفس لأي مسلم فكيف بنبي من أنبياء الله تعالى يُراد به السوء؟ فإن كان ذلك جائز في حق المسلم، فإنه في حق النبي جائز من باب أولى، لأن حمايته لنفسه هنا هي حماية للدين، وصيانة للرسالة.

---

[1] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ) **شعب الإيمان** ط1 الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الهند: الدار السلفية، 1423هـ - 2003م، ج6 ص446 ح 4458. قال ابن حجر رجاله ثقات. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ج10 ص594.

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ) **إعلام الموقعين** عن رب العالمين، بيروت: دار الجيل، 1973م، ج3 ص191و ص 234.

[3] البخاري، **صحيح البخاري** كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز... ح5857.

[4] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ج10 ص545.

[5] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ج12 ص312. وقال ابن حجر الحديث مرسل ورجاله ثقات.

الفصل الثالث

علاقة أبي الأنبياء بخاتمهم

المبحث الأول: التشابه بينهما في المكانة عند الله وعند الناس.

المبحث الثاني: التشابه في الصفات الخلقية.

المبحث الثالث: الدعاء والاستجابة.

الفصل الثالث

علاقة أبي الأنبياء بخاتمهم

أمر الله تعالى الأنبياء والرسل أن يبلغــوا دينــه، وأن يرســخّوا عقيــدة التوحيــد فــي الأمم، فاتصفوا عليهم الصلاة والسلام بصــفات مشــتركة، ليكونــوا قــدوة لأقــوامهم، وأدّوا واجباً واحداً. فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ نَبِــيَّ الله ﷺ قــال: **"الأَنْبِيَــاءُ أخــوة لِعَــلاتٍ أُمَّهَــاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ..."**[1]. وقد تجلّــى هــذا التشــابه بــين أبــي الأنبيــاء وخــاتمهم عليهمــا صلوات الله وسلامه، هذا ما سأبيّنه في هذا الفصل ضمن عدد من المباحث والمطالب:

المبحث الأول: التشابه بينهما في المكانة عند الله وعند الناس.

تشابه أبو الأنبياء ﷺ وخاتمهم ﷺ في المكانة عنــد الله تعــالى وعنــد عبــاده، فقــد أحبهما الله تعالى حباً لــم يصــل إلــى درجتــه أحــد مــن الملائكــة المقــربين أو الأنبيــاء والمرسلين، أو من دونهم من النــاس أجمعــين، فهــو حــب الــربّ المربّــي، الــذي تكفّــل إبراهيم ﷺ برعايته فآتاه رشداً وحكمةً لم تتهيّأ لأبناء جيلــه رغــم نشــأته فــي بيــت كفــر وضلال، فربّاه كأنه يتيم، وكذلك فإنه تكفل برعايــة حبيبــه محمــد ﷺ اليتــيم فعــلا، فربّــاه في كنفه جلّ وعلا ففاض بلاغة وحكمــة وصــدقا وأمانــة أضــعاف مــن ربــاهم ذووهــم، كيف لا والله تعالى كافله وراعيه، وقد شهد لــه بحســن خلقــه فقــال **﴿وَإِنَّــكَ لَعَلَــى خُلُــقٍ عَظِيمٍ﴾**[2].

وبسبب هذه المحاسن في الصفات الخُلُقية فقــد علــت مكانــة الرســولين العظيمــين عليهما صلوات الله تعالى وســلامه عنــد الله تعــالى وتشــابهت فحــازا محبــة الله والنــاس وهذا ما سأتناوله في المطالب الآتية:

---

[1] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار** كتاب الفتن، باب ما ذكر في فتنة الدجال، ح37526.

[2] القلم، 4.

المطلب الأول: محبة الله .

تمثلت محبة الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام بأمور عديدة كاصطفائه للرسالة، وجعله إماما للملة، واتخاذه خليلا، وابتلائه، وربما يكون ذكره والصلاة عليه في ختام كل صلاة لمحمد ﷺ وأمته لا يقل شأنا عن الصور السابقة لإثبات المحبة وتأكيدها، بل وسببا لمكافأته عليه السلام.

وقد يخطر على البال هنا سؤال وهو: ما الحكمة من ذكر إبراهيم عليه السلام مع محمد ﷺ في الصلاة الإبراهيمية حيث يقال: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؟ وقد أفاض العلماء في وجوه هذه الحكمة، وساقها الفخر الرازي، حيث ذكر أربعة وجوه في ذلك فقال:

أولها: أن إبراهيم عليه السلام دعا لمحمد ﷺ حيث قال ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ**[1]﴾ فلما وجب للخليل على الحبيب حق دعائه له قضى الله تعالى عنه حقه بأن أجرى ذكره على ألسنة أمته إلى يوم القيامة.

وثانيها: أن إبراهيم عليه السلام سأل ذلك ربه بقوله ﴿**وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ**[2]﴾ يعني ابق لي ثناء حسناً في أمة محمد ﷺ فأجابه الله تعالى إليه وقَرَنَ ذكره بذكر حبيبه إبقاءً للثناء الحسن عليه في أمته.

وثالثها: أن إبراهيم عليه السلام كان أبو الملة لقوله تعالى ﴿**مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**[3]﴾. ومحمد ﷺ كان أبو الرحمة ففي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه **"النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم"**[4]. وقال في وصفه ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**[5]﴾. وقال ﷺ: **"إنما**

---

[1] البقرة، 129

[2] الشعراء، 84

[3] الحج، 78

[4] ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن حمدان أبو عبد الله (370هـ) **مختصر في شواذ القرآن** دار الهجرة، ص119.

[5] التوبة، 128

أنا لكم مثل الوالد"[1]. يعني في الرأفة والرحمة فلما وجــب لكــل واحــد مــنهم حــق الأبــوة من وجه قرّب بين ذكرهما في باب الثناء والصلاة.

ورابعها: أن إبراهيم عليه السلام كــان منــادي الشــريعة فــي الحــج **﴿وَأَذِّن فِــى النَّــاسِ بِالْحَجِّ[2]﴾**. وكان محمد ﷺ منادي الدين**﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَــمِعْنَا مُنَادِيــاً يُنَــادِى لِلإِيمَــانِ[3]﴾.** فجمــع الله تعالى بينهما في الذكر الجميل[4].

ومما يدلّ على محبة الله تعالى لإبــراهيم عليه السلام أنــه أول مــن يُكسـى يــوم القيامــة فعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: خَطَبَ رسول اللَّــهِ ﷺ فقــال: **"يــا أَيُّهَــا النــاس إِنَّكُــمْ مَحْشُــورُونَ إلى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، ثُمَّ قال: ﴿كمــا بَــدَأْنَا أَوَّلَ خَلْــقٍ نُعِيــدُهُ وَعْــدًا عَلَيْنَــا إِنَّــا كنــا فَاعِلِينَ[5]﴾ إلى آخِرِ الآيَةِ ثُمَّ قــال: ألا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَــائِقِ يُكْسَــى يــوم الْقِيَامَــةِ إِبْــرَاهِيمُ، ألا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ من أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَــأَقُولُ يــا رَبِّ أُصَــيْحَابِي فَيُقَــالُ إِنَّــكَ لا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ كما قال الْعَبْدُ الصَّــالِحُ ﴿وَكُنْــتُ علــيهم شَــهِيدًا مــا دُمْــتُ فِيهِمْ فلما تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أنت الرَّقِيبَ علــيهم وَأَنْــتَ علــى كــل شَــيْءٍ شَــهِيدٌ[6]﴾ فَيُقَــالُ إِنَّ هَؤُلَاءِ لم يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ على أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ"**[7].

وقوله ﷺ وأول من يكســى يــوم القيامــة إبــراهيم عليه السلام فيــه منقبــة ظــاهره لــه، وفضيلة عظيمة وخصوصية، ولا يلزم من هذا أن يكــون أفضــل مــن محمــد ﷺ بــل هــو أفضل من في القيامة، ولا يلزم من اختصــاص الشــخص بفضــيلة كونــه الأفضــل مطلقــاً،

---

[1] ابن خزيمة النيسابوري، محمد بن إسحاق أبو بكر (311هـ) **صحيح ابن خزيمة** بيروت: المكتب الإسلامي، 1390هـ - 1970م، كتاب الوضوء، باب النهي عن الاستطابة بدون ثلاثة أحجار، ح80.

[2] الحج، 27

[3] آل عمران، 193

[4] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج4 ص60.

[5] الأنبياء، 104

[6] المائدة، 117

[7] البخاري، **صحيح البخاري** كتاب المغازي، باب **﴿وَكُنْتُ عليهم شَهِيدًا ما دُمْتُ فِيهِمْ﴾** ح4349.

أو أنّ المراد غير المتكلم بذلك؛ لأن قوماً من أهل الأصول ذكروا أن المتكلم لا يدخل تحت عموم خطابه[1].

وعلى أية حال فإن مناقبه ﷺ ظاهرة لكل متتبّع لسيرته العطرة، لذلك فإن محبة الله تعالى له لا تحتاج إلى إثبات؛ إذ أن الله تعالى لم يكن ليختار رجلا ليبلّغ هذا الأمر العظيم والدين القويم إلا إذا كان يحبه حباً يفوق حبّ أقرانه في عصره، ثم جاء محمد ﷺ ليفوق حبه عند الله تعالى أقرانه في عصره، وأسياد الأقران في كل زمان، وإلا لما جمع الله تعالى له الأنبياء والرسل ليلة الإسراء والمعراج ليصلي بهم فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"فحانت الصلاة فأممتهم"**[2] فلو لم يكن له ﷺ هذه المكانة العظيمة لما أمّ الأنبياء والمرسلين، وهو مما يشبه به أباه إبراهيم ﷺ من أنه إمام الناس إذ قال الله تعالى له **﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾**[3] فإن كان إبراهيم ﷺ إمام الناس، والأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أئمة هؤلاء الناس، فإن محمدا ﷺ إمام الأنبياء، فهي فضيلة عظمى لم يصلها أحد من البشر قبله ﷺ ولن يصلها أحد بعده.

وفي حيث عن علي ﷺ: **"أول من يكسى خليل الله قبطيتين ثم يكسى محمد حلة حبرة عن يمين العرش"**[4]. والحكمة في خصوصية إبراهيم ﷺ بذلك لكونه ألقي في النار عرياناً، وقيل: لأنه أول من لبس السراويل مبالغة في الستر ولا سيما في الصلاة، فلما فعل ذلك جوزي بأن يكون أول من يستر يوم القيامة[5].

---

[1] العيني، بدر الدين محمود بن أحمد أبو محمد (855هـ) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** بيروت: دار إحياء التراث العربي، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، ج15 ص242 - 243. بتصرف.

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، ح172.

[3] البقرة، 124

[4] ابن المبارك، عبد الله بن واضح المرزوي أبو عبد الله (181هـ) **الزهد والرقائق** بيروت: دار الكتب العلمية، ج16 ص106 ح364.

[5] العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** ج15 ص243.

إن اصطفاء الأنبياء والرسل أمـــر لا يتحقـــق لكـــل مـــن يشـــاء ويأمـــل، ولا يتـــأتّى للمرء إلا بعد ابتلاءات تثبت نقاء قلب المصـــطفى وطهارتـــه، وأنـــه قلـــب ملـــيء بحـــب الله تعالى، وتفضيله على كل حب دنيويّ فانٍ مع فناء الـــدنيا، ولا تـــتم طهـــارة هـــذا القلـــب إلا إذا توّج بمحبة الناس، ورحمة المسلمين.

فقد روي عن عمر بن الخطـــاب ﷺ قـــال: إن رســـول الله ﷺ قـــال: **"إن الله تبـــارك وتعالى بعث حبيبي جبريل عليه الصلاة والسلام إلى إبـــراهيم ﷺ فقـــال لـــه: يـــا إبـــراهيم إني لم أتخذك خليلا على أنك أعبدُ عبادٍ لي ولكن اطلعت علـــى قلـــوب المـــؤمنين فلـــم أجـــد قلبا أسخى من قلبك"**[1].

ومن شواهده حديث أنس مرفوعا: **"إن بـــدلاء[2] أمتـــي لـــم يـــدخلوا الجنـــة بصـــوم ولا صلاة ولكن برحمة الله وسخاء الأنفس والرحمة للمسلمين"**[3].

وعن ابن عباس ﷺ قـــال: جلـــس نـــاس مـــن أصـــحاب رســـول الله ﷺ ينتظرونـــه فخرج حتى إذا دنا منهم فسمعهم يتذاكرون فتســـمع حـــديثهم فقـــال بعضـــهم: عجبـــا أن الله تعالى اتخذ من خلقه إبراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب مـــن أن كلـــم الله تعـــالى موســـى تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحـــه وقـــال آخـــر آدم اصـــطفاه الله، فخـــرج علـــيهم رسول الله ﷺ فسلم وقال: **"قد سمعت كلامكم وعجـــبكم إن إبـــراهيم خليـــل الله وهـــو كـــذلك وموسى نجيٌّ الله وهو كذلك وعيســـى كلمتـــه وروحـــه وهـــو كـــذلك وآدم اصـــطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامـــل لـــواء الحمـــد يـــوم القيامـــة ولا فخـــر**

---

[1] المنذري، **الترغيب والترهيب** كتاب البر والصلة، ح3956. قال العجلوني: إسناده ضعيف، ومن شواهده ما رفعه أنس "إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصوم ولا صلاة ولكن برحمة الله وسخاء الأنفس والرحمة للمسلمين". أنظر: العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي أبو الفداء (1162هـ) **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** ط4 بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ، ج2 ص241.

[2] البدلاء والأبدال جمع بدل، وجمع بديل بدلى، والأبدال هم الأولياء والعباد، سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب** مادة بدل ج11 ص49.

[3] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبو الخير (902هـ) **المقاصد الحسنة المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة** ط1 بيروت: دار الكتاب العربي، 1405 هـ - 1985م، ج1 ص45 ح8. قال السخاوي: ورد الحديث بطرق مختلفة كلها عن أنس ﷺ كلها ضعيفة.

وأنا أول من يحرك حلق الجنة ويفتح الباب لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر"[1].

ولم يكن فخره ﷺ فخر تكبر ولكنه فخر بالله، ومعنى لا فخر: أي لا أقول هذا القول على سبيل الفخر الذي يدخله التكبر.

وقد ظهرت فضيلته ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج بتقدمه عليهم إماما وعلوه فوق الجميع مقاما حتى جاوز السبع الطباق إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله عز وجل. واختص ﷺ بأشياء أخر في سماحة شريعته ووضع الآصار عن أمته وكونه أكثرهم تابعا وكذلك يبدو فضله في الآخرة بكونه أول من تنشق عنه الأرض وأول مشفع وأول من يستفتح باب الجنة وأول من يدخلها من الأمم أمته وله الحوض المورود وهو الكوثر وهو أكثر الأنبياء واردا وله اللواء المعقود وهو لواء الحمد[2].

وقد تكلم العلماء في الفرق بين المحبة والخلّة بكلام كثير، فقالوا أن الخلة تختص بمعنى، والمحبة تختص بمعنى آخر.

فالمحبة هي الإيثار والموافقة والإقبال على المحبوب، وخاصته الوجد بالمحبوب، والرّقّة له بعد الميل إليه، والإقبال عليه، والإيثار له. والخلة هي الاختصاص والمداخلة، يقال خلل أصابعه إذا أدخل بعضها في بعض، وخلل لحيته إذا أدخل أصابعه فيها، فكأن المتخاللين يتداخلان بينهما في وقوف كل واحد منهما على ما يستر خليله، ويطلع على مُغَيّب خليله، وخاصة أمره، مما يستره عن غيره، ولا يُطْلع عليه أحدا من الناس، وهذه خاصية الخلة[3].

---

[1] الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي** كِتَاب الْمَنَاقِبِ عن رسول اللَّهِ ﷺ باب في فضل النبي ﷺ ح3616. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

[2] حكمي، حافظ بن أحمد، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول** ط1 الدمام: دار ابن القيم 1410هـ - 1990م، ج3 ص1122.

[3] الكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب البخاري أبو بكر (380هـ) **بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار** ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ - 1999م، ج1 ص276.

ولم يصل أحد لما وصل إليه رسول الله ﷺ من القــرب ليلــة الإســراء، ممــا يؤكــد أن الحبيب أقرب إلى الله مــن الخليــل، وأن الخلّــة مقدِّمــةُ المحبــة، بــل إن التمهيــد الأول لرسالة الإسلام التامة كان ببعثة ســيدنا إبــراهيم عليه السلام فهــو الــذي بلّــغ أصــو الرســالة الخالدة، ثم جاء رسول الله ﷺ ليبلّغ تفاصيلها، ويثبّتها ويهيئ بمــن آمــن معــه بســط نفوذهــا على أكبر بقاع الأرض وأهمها والملفت للانتباه هنا لمَ هــذا التــداخل العجيــب بــين الخليــل والحبيب دون غيرهما من الأنبيــاء والمرســلين صــلوات الله علــيهم أجمعــين، فلــولا إرادة الله تعالى لهذا التشابه والتداخل المقصود لما كــان هــذا الاخــتلاف مــن قبــل العلمــاء فــي الفصل بين المرتبتين، ومع هذا كله فمــن المؤكــد أن هنــاك قربــا خاصــا مــن الله تعــالى تقتضيه المنزلتان، ولا يسعنا إلا الإيمان بهمــا كمنــازل ومراتــب خاصــة بــأعظم الرســل، والتيقن من قرب كليهما من الله تعالى مكاناً ومكانــةً، فــي الحيــاة الــدنيا، وعنــد الله تعــالى في جنات النعيم.

المطلب الثاني: محبة الناس.

إن الإنســان كــائن اجتمــاعي بفطرتــه، لا يمكنــه أن يعــيش دون تواصــل مــع الآخرين، وحتى يكون لهذا التواصل ثماره في استمرار الحيــاة فــلا بــد مــن كســب محبــة الناس، وهذا لا يتأتّى للمــرء إلا إذا حصــل علــى احتــرامهم وثقــتهم، فــإن هــذه الأمــور وغيرها هي مقدمات للمحبة، وقد أسكن الله تعــالى حــبّ نبيــه محمــد ﷺ قلــب كــل مــن عرفه، سواء رآه أم لم يره حتى أن الله تعالى جعل حبــه ﷺ ســببا فــي حــب الله للمــؤمن وغفرانا لذنوبه فقال عزّ من قائل **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّــهَ فَــاتَّبِعُونِي يُحْبِــبْكُمُ اللَّــهُ وَيَغْفِــرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[1]﴾** كذلك فإنه ﷺ أثبــت ذلــك لنفســه حــين قــال: **"لا يُــؤْمِنُ أحدكم حتى أَكُونَ أَحَبَّ إليه من وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِــينَ"[2]** وقــد عــد الله تعــالى حبــه ﷺ سببا في مرافقته في الجنة فعن أَنَــسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُــلا مــن أَهْــلِ الْبَادِيَــةِ أتــى النبــي ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ قال: **وَيْلَكَ وما أَعْدَدْتَ لهــا** قــال: مــا أَعْــدَدْتُ لهــا إلا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قال: **أنك مع مــن أَحْبَبْــتَ** فَقُلْنَــا: وَنَحْــنُ كَــذَلِكَ قــال: **نعــم**

---

[1] آل عمران، 31

[2] البخاري، **صحيح البخاري** كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب أحدكم ما يحب لنفسه، ح15.

فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا فَمَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ وكان من أَقْرَانِي فقال: **إن أُخِّرَ هذا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حتى تَقُومَ السَّاعَةُ**"[1] وهذه الأحاديث جعلت حبه ﷺ محطّ تنافس الصحابة، وزوجاته ﷺ فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: قال لي رسول اللَّهِ ﷺ: "**إني لأَعْلَمُ إذا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً وإذا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى**" قالت: فقلت: من أَيْنَ تَعْرِفُ ذلك؟ فقال: "**أَمَّا إذا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ لا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وإذا كُنْتِ غَضْبَى قُلْتِ لا وَرَبِّ إبراهيم**" قالت: قلت: أَجَلْ والله يا رَسُولَ اللَّهِ ما أَهْجُرُ إلا اسْمَكَ[2]. وقولها رضي الله عنها ورب إبراهيم إنما ذكرت إبراهيم دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنه أولى الناس به كما نص عليه القرآن، وفيه دلالة على فطنة عائشة وقوة ذكائها، وقولها ما أهجر إلا اسمك حصرٌ في غاية من اللطف؛ لأنها أخبرت أنها إذا كانت في غاية الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا يغيرها عن كمال المحبةِ المستغرقةِ ظاهرَها وباطنَها، الممتزجة بروحها، وإنما عبرت عن الترك بالهجران؛ لتدل به على أنها تتألم من هذا الترك الذي لا اختيار لها فيه[3].

وهناك سبب آخر أراه لذكر عائشة رضي الله عنها لإبراهيم عليه السلام دون غيره وهو معرفتها التامة بحب رسول الله ﷺ الشديد له، فهو أبوه في الملّة التي هي أقرب من أبوّة النسب، وهي تعلم تمام العلم بأن ذكرها له يسعد قلب الرسول ﷺ ولا يؤثر في العلاقة بينهما سلباً، فلم تذكر أباها رضي الله عنه مع أنه أحب الناس إلى قلب الرسول ﷺ من الرجال، وذكرت من هو أحب إلى قلبه وأقرب.

جاء في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم قو القاضي عياض[4]: ولولا ذلك كان على عائشة رضي الله عنها في ذلك من الحرج ما فيه لأن الغضب على النبي ﷺ وهجره

---

[1] المرجع السابق، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك، ح5815.

[2] المرجع السابق، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، ح4930.

[3] العيني، **عمدة القاري** ج20 ص210.

[4] هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، أبو الفضل عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة، وتوفي بمراكش مسموما، قيل: سمه يهودي. من تصانيفه الشفا بتعريف حقوق المصطفى توفي سنة 544 هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام** ج5 ص99.

كبيرة عظيمة، ولهذا قالت: لا أهجر إلا اسمك، فدل على أن قلبها وحبها كما كان، وإنما الغيرة في النساء لفرط المحبة[1].

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: **"كان رسول اللَّهِ ﷺ إذا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بين نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بها معه وكان يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا غير أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النبي ﷺ تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رسول اللَّهِ ﷺ"**[2].

وكان رسول الله ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث معها، فقالت حفصة لعائشة ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك فتنظرين وأنظر؟ قالت: بلى. فركبت حفصة على بعير عائشة، وركبت عائشة على بعير حفصة، فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم، ثم سار معها حتى نزلوا، فافتقدته عائشة فغارت، فلما نزلت جعلت تجعل رجليها بين الإذخر[3] وتقول: يا رب سلط عليّ عقربا أو حية تلدغني، رسولُك ولا أستطيع أن أقول له شيئا[4] وإن هذا الذي فعلته وقالته حملها عليه فرط الغيرة على رسول الله ﷺ[5].

ولو حلّلنا مواقف أمهات المؤمنين رضي الله عنهن لوجدنا السبب الرئيسي وراء كل موقف هو شدة المحبة لرسول الله ﷺ وهذه المحبة هي التي دفعت سودة رضي الله عنها للتنازل عن ليلتها لعائشة رضي الله عنها لعلمها بمحبة الرسول ﷺ لها وبأن ذلك سيسعده، وما طلب حفصة رضي الله عنها من عائشة رضي الله عنها مبادلة الركوبة إلا لشدة محبتها للرسول ﷺ والرغبة في مرافقته، وما تصرف عائشة رضي الله عنها بعد ذلك إلا للسبب ذاته، وما أكثر الشواهد من السيرة النبوية

---

[1] النووي، يحيى بن شرف بن مري أبو زكريا (676هـ) **شرح النووي على صحيح مسلم** ط2 بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ، ج15 ص203. بتصرف.

[2] البخاري، **صحيح البخاري** كتاب الهبة، بَاب هِبَةِ الْمَرْأَةِ لِغَيْرِ زَوْجِهَا وَعِتْقِهَا إذا كان لها زَوْجٌ فَهُوَ جَائِزٌ، ح2453.

[3] الإذخر حشيش طيب الريح أطول من الثيل ينبت على نبتة الكولان واحدتها إذخرة إلا أنه أعرض وأصغر كعوبا وله ثمرة كأنها مكاسح القصب إلا أنها أرق وأصغر وهو يشبه في نباته الغرز يطحن فيدخل في الطيب وهي تنبت في الحزون والسهول وهي شجرة صغيرة وقلما تنبت الإذخرة منفردة. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة ذخر ج4 ص303.

[4] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ج9 ص311.

[5] النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي** ج15 ص202

العطرة، وسيرة الصحابة الكرام على حبه ﷺ. ولا يقل خيرةُ أهل زماننا محبةً له ﷺ عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم وحشرنا معهم، ولولا ذلك لما اشتاق إليهم المصطفى ﷺ. فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أتى الْمَقْبُرَةَ فقال: **"السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إن شَاءَ الله بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قد رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا قالوا أو لسنا إِخْوَانَكَ يا رَسُولَ اللَّهِ قال أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لم يَأْتُوا بَعْدُ..."**[1].

ومن شدة الحب الذي ألقاه الله تعالى في قلب محمد ﷺ لأبيه إبراهيم عليه السلام أن أسند إليه نعت خير الناس فعن أنس بن مالك ﷺ أن رجلا قال للنبي ﷺ: **يا خير الناس قال: "ذاك إبراهيم" قال: يا أعبد الناس قال: "ذاك داود"**[2]. وأما قوله ﷺ لما قال له ذلك الرجل يا خير البرية ذاك إبراهيم عليه السلام ففيه جوابان:

أحدهما: أنه قاله تواضعا واحتراما لإبراهيم عليه السلام لخلته وأبوته.

وثانيهما: أنه قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم.

وهناك جواب ثالث ذكره ابن العربي أن قوله ذاك إبراهيم يعني بعده، والصحيح الجواب الثاني، فالجواب من وجهين:

أحدهما أن المراد خير البرية الموجودين في عصره، وأطلق العبارة الموهمة للعموم لأنه أبلغ في التواضع.

ثانيهما إن كان ما وُصف به إبراهيم عليه السلام خبرا فالنسخ يدخله؛ لأن التفضيل يمنحه الله لمن يشاء من عباده، وخير البريّة هو سيدنا محمد ﷺ لأنه أكثر الأنبياء أتباعا[3].

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم** كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ح249.

[2] الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن مهران أبو نعيم (430هـ) **تاريخ أصبهان** ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ - 1990م، ح560. والحديث ضعيف لأن في سنده إبراهيم بن المختار التميمي أبو إسماعيل الرازي وهو صدوق ضعيف الحفظ مات سنة 82هـ. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب** ص33.

[3] ابن الملقن، عمر بن علي الأنصاري أبو حفص (804هـ) **غاية السول في خصائص الرسول** ﷺ بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1414هـ - 1993م، ج1 ص269.

ومن دلائل حبه ﷺ لإبراهيم عليه السلام أنه سماه وليّه من الأنبياء، فعن عبد اللَّهِ بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: **"إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلاةً من النَّبِيِّينَ وَإِنَّ وَلِيِّي أبي وَخَلِيلُ رَبِّي، ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ أَوْلَى الناس بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النبي وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ[1]﴾"[2].**

والولي هو الناصر المعين[3] ولا يصل المرء إلى هذه الدرجة من القرب إلا بالمحبة الكاملة التي لا تكتمل إلا بالصفات الموجبة لها، فالمحبة وإن كانت أمراً قلبياً بحتا إلا أن للعقل فيه جانب، وكأن للمحبة أسباباً تجعلها ممكنة، والأسباب في حب رسول الله ﷺ لنبي الله إبراهيم عليه السلام كثيرة أجلّها أنه خليل الله تعالى، وأبو الأنبياء والملة، وقد أسكن الله تعالى قلوبَ المسلمين حبَّ من يحبه رسول الله ﷺ فأصبح حب الخليل عليه السلام يتخلل في قلوب أولى الناس به، وهم أتباعه من المسلمين من أمة محمد ﷺ حتى قيام الساعة. وقد جاءت الآية الكريمة في سياق الرد على اليهود والنصارى بأن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا أو نصرانيا، فردت الآية عليهم، وبيّنت أن أولى الناس باتباعه هم محمد ﷺ وأمته.

المبحث الثاني: التشابه في الصفات الخَلْقية.

ينحدر البشر جميعا من أصل واحد، ومن أب واحد هو آدم عليه السلام، وقد أحكم الله تعالى خلقه بجعل سنته في خلق الأبناء على شبه الآباء، في عموم المخلوقات، بشراً كانوا أم غير بشر، ومن حكمته جلّ في علاه أن جعل بين أبي الأنبياء وخاتَمهم تشابهاً فريداً، تجلّى هذا الشبه في العديد من الصفات الخَلقية، ذُكر طرفٌ منه قبل البعثة النبوية، وذُكر البعض الآخر بعدها، ومنه ما صرّح به المصطفى ﷺ.

---

[1] آل عمران، 68

[2] الترمذي، **سنن الترمذي** كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عن رسول اللَّهِ ﷺ باب ومن سورة آل عمران، ح2995.

[3] الرازي **مختار الصحاح** مادة ولي ج1 ص306.

ومن المعروف أن العرب كانوا من أوائل من برع في اقتفاء الأثر وإلحاق الأنساب، وقد كانت إحدى هذه الصفات إرهاصاً[1] من إرهاصات نبوة سيدنا محمد ﷺ فعن ابن عباس ﷺ قال: **كانت امرأة بمكة كاهنة فاجتمعت إليها قريش فقالوا لها: أخبرينا بأشبهنا قدماً بإبراهيم خليل الرحمن ﷺ، قالت: اجتمعوا واجمعوا أبناءكم وصبيانكم، قال: فاجتمعوا، فقالت: مدوا الكساء على سهلة ومروا عليها، فبسطوا كساء ومروا عليها، فآخر من جاء النبي ﷺ، فقالت: هذا أشبهكم قدما بإبراهيم خليل الرحمن**[2].

أما ما حصل ليلة الهجرة النبوية فقد أبهر لبّ أبي سفيان بن حرب ﷺ، فعن أبي غرازة[3] عن رجل كان من رؤوسهم بمكة قال: **"لما توارى رسول الله ﷺ من قريش أخرجت قريش معقلا أبا كرز القائف، فرأوا أثرا فقالوا: أُنظر إلى هذا الأثر، فقال: ما رأيت وجه محمد قط، ولكن إن شئتم ألحقت لكم نسب هذا الأثر، قالوا: ألحق، قال: هذا الذي في مقام إبراهيم، أو هذا من الذي في مقام إبراهيم، فقال أبو سفيان: خرفت[4] حسدا للنبي ﷺ أن يكون يُشَبّه بإبراهيم ﷺ"**[5]. ومع أن الحديث ضعيف إلا أن معناه ثبت في حديث صحيح لا أصرح منه ولا أوضح في تأكيد الشبه بينهما وهو قول رسول الله ﷺ: **"ليلة أسري بي رأيت موسى، وإذا هو رَجُلٌ ضَرْبٌ**

---

[1] الإرهاص شرعا هو الأمر الخارق للعادة يظهر للنبي قبل بعثته. أنظر: مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط** دار الدعوة، مادة رهص ج1 ص377.

[2] الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1 ص75 ح60.

[3] هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مليكة التيمي المكي أبو غِرَازَة الجدعاني لين الحديث. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب** ص426.

[4] من خُرافة وهو لفظ أجراه العرب على كل ما يكذبونه من الأحاديث وعلى كل ما يستملح ويتعجب منه. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب** مادة خرف ج9 ص66

[5] الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1 ص75 ح61. والحديث ضعيف لأن راويه أبا غرازة دلّس ولم يصرح باسم الرجل الذي روى عنه.

رَجِ ، كأنه من رجال شنوءة[1] ورأيت عيسى، فإذا هــو رجــل ربعــة أحمــر، كأنمــا خــرج من ديماس[2] وأنا أشبه ولد إبراهيم به، ثم أُتيت بإناءين: فــي أحــدهما لــبن وفــي الآخــر خمر، فقال: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشــربته، فقيــل : أخــذت الفطــرة، أمــا إنــك لو أخذت الخمر غوت أمتك"[3].

والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا هــو: كيــف لكاهنــة وقــائف لا يمتّــان لمحمــد ﷺ بصلة قرابة أو دين، أن يشهدا بمثل تلك الشــهادة مــع تباعــد الــزمن، إلا أن تكــون حقــاً؟ ولم يكن ذلك إلا بأمر من الله تعالى ليهيء مناخــاً مناســباً لبعثــة الرســول ﷺ، فمــن شــهد كلام الكاهنة من أهل مكة أكثر ممن لم يشهد، ولا بد أن ينقل مــا شــهد حتــى يصــل خبــر هذه الواقعة إلى حد التواتر، ولم يكن من شهد كلام القائف بعــد البعثــة ويــوم الهجــرة أقــل شأنا من أولئك، فهــو إذن تأييــد مــن الله تعــالى لرســوله ﷺ، وتأكيــد لنبوتــه ورســالته، واستحضار لشرف نسبه؛ ليكون فيه مدعاة لتصديقه وسبب في اتباعه.

وقد رُوي عن عبد الله بن مسعود ﷺ في حــديث الإســراء والمعــراج الطويــل عــن رسول الله ﷺ: **"ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السابعة فاســتفتح جبريــل فقيــل: مــن هــذا قال جبريل وقيل: ومن معك قال: محمــد قيــل: وقــد بعــث إليــه قــال: نعــم. قــالوا: مرحبا به ولنعم المجيء جاء فأتيت علــى إبــراهيم ﷺ فقلــت: يــا جبريــل مــن هــذا قال: هذا أبوك إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح"**[4].

---

[1] رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ: أي نحيف قوله رجل بفتح الراء وكسر الجيم أي دهين الشعر مسترسله، أي غير جعد، وقوله كأنه من رجال شنوءة حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج6 ص429.

[2] الديماس في اللغة السرب ويطلق أيضا على الكنّ، والحمام من جملة الكنّ، المراد من ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه، حتى كأنه كان في موضع كن فخرج منه وهو عرقان وأنه عرق حتى قطر الماء من رأسه ويحتمل أن يكون كناية عن مزيد نضارة وجهه. المصدر السابق نفسه، ج6 ص484.

[3] البخاري، **صحيح البخاري** كتاب الأنبياء، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى **﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ﴿وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** ح3241.

[4] مسلم، **صحيح مسلم** كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، ح162.

وما ترحيب إبراهيم عليه السلام بمحمد ﷺ بهذه الطريقة وبهذه الكلمات "**مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح**" إلا ترحيب محبٍّ بحبيبه ووليّه، وربما يكون حبّ الوالد لولده ليس له تفسير منطقي؛ فهو حب فطري غريزي، وهو عند الناس جميعا لا علاقة له بالشبه أو الصفات الخِلقية، وقد تؤثر فيه الصفات الخُلُقية للولد، فكلما كان ذا خلق عالٍ قويم زادت محبته في قلب أبيه، وعند الأنبياء والرسل تحكمه هذه الصفات من باب أولى، فكيف بحب أبٍ من الأنبياء لابنه الذي هو آخر الأنبياء، وقد عظمت صفاته بشهادة ربّ العزة جلّ وعلا ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1] ومع كل ما جمعه الابن الصالح والنبي الخاتَم من صفات خُلُقيّة، فقد تُوّجت بشبهٍ كبير بينه وبين أبيه إبراهيم عليه السلام فجعلت حبّ الابن في قلب أبيه أكبر من حبه لبقية أخوته وأعظم.

المبحث الثالث: الدعاء والاستجابة.

لا يخفى على أحد من المسلمين أن الأنبياءَ والرسلَ عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، مستجابو الدعاء، فمنهم من دعا لقومه، ومنهم من دعا عليهم، ومنهم من ادخر دعاءه إلى يوم القيامة، وقد تشابهت أدعية سيدنا إبراهيم عليه السلام وأدعية سيدنا محمد ﷺ إلى حد ما، وهذا ما سأبينه في المطالب الآتية إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: التصبر على الابتلاء.

قبل أن نخوض في هذا المطلب أحب أولا أن أبيّن معنى الصبر والمصابرة والتصبر والفرق بينها، فالصبر هو حبس النفس عن الجزع وبابه ضرب وصبره حبسه قال الله تعالى ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ**﴾[2]. وفي حديث النبي ﷺ في رجل أمسك رجلا وقتله آخر قال: "**اقتلوا القاتل واصبروا الصابر**"[3]. أي احبسوا الذي حبسه للموت حتى

---

[1] القلم، 4

[2] الكهف، 28

[3] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ)، **سنن البيهقي الكبرى**، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1414هـ - 1994م. جماع أبواب تحريم القتل...، باب ما جاء في قتل الإمام وجرحه، ح15809.

يموت والتصبر تَكَلُّفُ الصبر وتقول اصطبر واصّبر[1] وقوله عز وجل **﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾**[2]. أي اصبروا واثبتوا على دينكم و صابروا أي صابروا أعداءكم في الجهاد[3].

يتبيّن مما سبق أن أعلى درجات الصبر هي تكلُّفه أي التصبّر، لأنها تعويد للنفس على عدم الجزع، وترويض لها على التحمّل، بل كأنّ اللفظ يشير إلى أن المرأ هنا يأمر نفسه بدل أن تأمره، فكأنها طائعة لأمره، منصاعة لمراده في تحمّل الأعباء، وهي الدرجة التي تتأتّى للأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه.

كما لم يرسل الله تعالى نبيا ولا رسولا إلا وابتلاه، كيف لا وهي سنة الله تعالى في الصالحين من عباده، وهي في حَمَلَة الرسالة ومبلغيها أدعى وأولى، وقد مرّ إبراهيم عليه السلام بمصاعب عدّة، وابتلاءات عظيمة، ربما كانت محاولة قتله حرقاً من أشدّ تلك الابتلاءات؛ لحداثة سنّه، وخلو قومه من مصدّق له ذي نفوذ يمنع تلك الجريمة، إلا أن هذا الرسول متوقّد العقل والمشاعر دعا الله تعالى بدعاء غير مسبوق فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: **"حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ"**[4]. وعنه أيضا: **"حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"** قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حين ألقى في النَّارِ وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حين قالوا: **﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾**[5]. والمراد أنهم كلما ازدادوا إيمانا في قلوبهم أظهروا ما يطابقه، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ومعنى الدعاء **"حَسْبُنَا اللَّهُ"** أي كافينا الله، وتقدير الآية يكفينا الله ونعم الكافي، والوكيل فعيل بمعنى مفعول، وهو الموكول إليه، والكافي والكفيل، ثم قال تعالى **﴿فَانْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾** وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ورجع بنعمة من الله، والنعمة هنا العافية والفضل، وقيل النعمة منافع الدنيا، والفضل

---

[1] الرازي، **مختار الصحاح** مادة صبر ج1 ص149.

[2] آل عمران، 200

[3] ابن منظرو، **لسان العرب**، مادة صبر ج4 ص439.

[4] البخاري، **صحيح البخاري** كتاب التفسير، بَاب "إِنَّ النَّاس قد جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ" الآيةَ، ح4288.

[5] المصدر السابق، كتاب التفسير، بَاب "إِنَّ النَّاس قد جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ" الآيةَ، ح4287.

ثواب الآخرة وقوله ﴿**لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾ لم يصـــبهم قتـــل ولا جـــراح، ﴿**وَاتَّبَعُـواْ رِضْـوانَ اللّهِ**﴾ في طاعة رسوله، ﴿**وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾ قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا[1].

وعن شداد بن أوس [2] ﷺ قال: قـــال النبـــي ﷺ: **" حَسْـــبِيَ اللهُ وَنِعْـمَ الوَكِيـــلُ أَمَـــانُ كُلِّ خَائِفٍ"**[3].

ومما يناسب إيراده هنا ما أخرجه الحكيم الترمـــذي عـــن بريـــدة بـــن الحصـــيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"مَنْ قَالَ عَشْـــرَ كَلِمَـــاتٍ عِنْـــدَ دُبُـــرِ كُـــلِّ صَـــلاةٍ غَـــدَاةَ وَجَـــدَ اللهَ عِنْدَهُنَّ مُكْفِياً مُجْزِياً خَمْسٌ للـــدُّنْيَا وَخَمْـــسٌ للآخِـــرَةِ حَسْـــبِيَ اللهُ لِـــدِينِي حَسْـــبِيَ اللهُ لِمَـــا أَهَمَّنِي حَسْبِيَ اللهُ لِمَنْ بَغَى عَلَيَّ حَسْبِيَ اللهُ لِمَنْ حَسَـــدَنِي حَسْـــبِيَ اللهُ لِمَـــنْ كَـــادَنِي بِسُـــوءٍ حَسْبِيَ اللهُ عِنْدَ الْمَوْتِ حَسْبِيَ اللهُ عِنْـــدَ الْمُسَـــاءَلَةِ فِـــي الْقَبْـــرِ حَسْـــبِيَ اللهُ عِنْـــدَ الْمِيـــزَانِ حَسْبِيَ اللهُ عِنْدَ الصِّرَاطِ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"**[4].

فإذا وفق الله عبدا توكل بحفظـــه وهدايتـــه وإرشـــاده وتوفيقـــه وتســـديده، وإذا خذلـــه وكله إلى نفسه أو إلى غيره، ولهـــذا كانـــت هـــذه الكلمـــة حســـبنا الله ونعـــم الوكيـــل كلمـــة عظيمة، وقد قالتها عائشة ﷺ حين ركبت الناقة لمـــا انقطعـــت عـــن الجـــيش، وهـــي كلمـــة المؤمنين، فمن حقق التوكل على الله لم يكله إلـــى غيـــره وتـــولاه بنفســـه، وحقيقـــة التوكـــل هي تَوكيل الأمور كلها إلى من هي بيده، فإنه تعالى وليُّ الـــذين آمنـــوا، وهـــذه هـــي حقيقـــة الوثوق برحمة الله، كما في هذا الدعاء، فإني لا أثق إلا برحمتـــك، فمـــن وثـــق برحمـــة ربـــه

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج9 ص82.

[2] شَدَّادُ بْنُ أَوْسِ بْنِ ثَابِتٍ، يُكَنَّى أَبَا يَعْلَى، وَهُوَ ابْنُ أَخِي حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، تُوُفِّيَ بِفِلَسْطِينَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ، وَلَهُ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ، عَقِبُهُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا. أنظر: أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة** ج3 ص1459.

[3] أبو نعيم الأصبهاني، تاريخ أصبهان، ج1 ص 336. والحديث إسناده ضعيف لأن فيه بقية بن الوليد بن صائد وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء مات سنة 97هـ. أنظر: ابن حجر ا لعسقلاني، **تقريب التهذيب**،ص65. وللحديث شاهد صحيح ذكرته في الصفحة 126.

[4] الحكيم الترمذي، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ** ج2 ص274.

ولم يثق بغير رحمته فقد حقق التوكل عليه في توفيقه وتسديده، فهو جدير بأن يتكفل الله بحفظه، ولا يكله إلا إلى نفسه جلّ وعلا[1].

وبهذا يكون سيدنا محمد ﷺ قد دعا بدعاء أبيه إبراهيم عليه السلام حينما أحسّ بالخطر، وما كان ليدعو بهذا الدعاء إلا لعلمه بأن المولى عز وجل لا يخذل من يؤمن بأن الله يكفيه عدوّه، ليس هذا فحسب بل أيضا يجزيه على ذلك نعمة الطمأنينة، وينزل عليه السكينة.

فعن معن بن عيسى[2] قال: كان نقش خاتم مالك بن أنس حسبي الله ونعم الوكيل، فسئل عن ذلك فقال: سمعت الله تبارك وتعالى قال لقوم قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء[3].

المطلب الثاني: الدعاء ببعثة محمد ﷺ.

توجه إبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت المحرم إلى ربه جلّ وعلا بالدعاء لأهل مكة أن يهيئ لهم من ذريتهم من يعلمهم الكتاب والحكمة، ويطهّرهم من أدران الشرك والجاهلية.

فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إني عبد الله وخاتم النبيين وأبي منجدل[4] في طينته وسأخبركم عن ذلك: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي آمنة التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته له نورا أضاءت له قصور الشام ثم**

---

[1] ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (795هـ) **شرح حديث لبيك اللهم لبيك** ط1 مكة المكرمة: دار عالم الفوائد،1417هـ، ج1 ص122.

[2] هو معن بن عيسى بن يحيى بن دينار الأشجعي مولاهم القزاز أبو يحيى المدني أحد أئمة الحديث، قال أبو حاتم: هو أثبت أصحاب مالك وأتقنهم، وكان ثقة كثير الحديث ثبتا مأمونا وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان هو الذي يتولى القراءة على مالك، مات بالمدينة سنة 198هـ. أنظر: المزّي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (742هـ) **تهذيب الكمال** ط1 بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ- 1980م، ج10 ص226.

[3] ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري أبو عمر (463هـ) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ، ج1 ص96.

[4] المُنْجَدِلُ الساقط والمُجَدَّل الملقى بالجدالة وهي الأرض. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب** مادة جدل ج11 ص104.

تلا ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴿ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً**[1]﴾"[2].

وقد جاء في مفاتيح الغيب أن إبراهيم عليه السلام إنما دعا بهذا الدعاء بمكة لذريته الذين يكونون بها وبما حولها ولم يبعث الله تعالى إلى من بمكة وما حولها إلا محمداً ﷺ[3].

وهذا ما أشار إليه الشيخ الشنقيطي في تفسيره للآية الكريمة من سورة الزخرف، وهي قوله تعالى﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءهُمْ حَتَّى جَاءهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴿ وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ**[4]﴾. فقال: الضمير المنصوب في جعلها على التحقيق راجع إلى كلمة الإيمان، المشتملة على معنى لا إله إلا الله، المذكورة في قوله ﴿**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**﴾[5] لأن لا إله إلا الله نفي وإثبات؛ فمعنى النفي منها هو البراءة من جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع العبادات، وهذا المعنى جاء موضحاً في قوله ﴿**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُون**﴾ ومعنى الإثبات منها هو إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله، وهذا المعنى جاء موضحاً في قوله ﴿**إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾[6].

وضمير الفاعل المستتر في قوله "وَجَعَلَهَا" راجع إلى إبراهيم عليه السلام وهو ظاهر السياق، وقال بعضهم: هو راجع إلى الله تعالى وليس في هذا الرجوع إشكال وسأبيّن ذلك في مطلب الدعاء لمكة والمدينة - ويكون المعنى على القول الأول صيَّر إبراهيم

---

[1] الأحزاب، 46/45

[2] الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين** كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب، ح3566. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[3] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** ج4 ص60.

[4] الزخرف، 28/ 29

[5] الزخرف، 26

[6] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (1393هـ) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** بيروت: دار الفكر، 1415هـ - 1995م. ج7 ص102 -103. بتصرف.

ﷺ تلك الكلمة باقية في عقبه؛ أي ولده وولد ولده، وإنما جعلها إبراهيم ﷺ باقية فيهم لأنه تسبب لذلك بأمرين:

أحدهما وصيته لأولاده بذلك، وصاروا يتوارثون الوصية بذلك عنه، فيوصي به السلف منهم الخلف، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله **﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ[1]﴾**

والثاني هو سؤاله ربَّه تعالى لذريته الإيمان والصلاح كقوله تعالى **﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي[2]﴾** أي واجعل من ذريتي أيضاً أئمة وقوله تعالى عنه **﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي[3]﴾** وقوله عنه أيضا **﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ[4]﴾** وقوله عنه هو وإسماعيل ﷺ **﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ[5]﴾** إلى قوله **﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ[6]﴾** وقد أجاب الله دعاءه في بعث الرسول المذكور ببعثه محمداً ﷺ ولذا جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: **"أنا دعوة إبراهيم"**[7][8]

ومعنى الحديث السابق كما يقول الإمام المناوي: أن الله تعالى لما قضى أن يجعل محمداً ﷺ خاتم النبيين وأثبت ذلك في أم الكتاب، أنجز هذا القضاء بأن قيّض

---

[1] البقرة، 131/130

[2] البقرة، 128

[3] إبراهيم، 40

[4] إبراهيم، 35

[5] البقرة، 128

[6] البقرة، 129

[7] سبق تخريجه في الصفحة: 128.

[8] الشنقيطي، **أضواء البيان** ج7 ص103.

إبراهيم عليه السلام للدعاء؛ ليكون إرساله إياه بدعائه، كما يكون تقلبه من صلبه إلى أصلاب أولاده[1].

وفي هذا عبرة لكل مسلم بأن لا ينسى ذريته وأبناءهم من صالح دعائه، وأن يطلب لهم الصلاح والاستقامة؛ لأن السائل فقير، والمسئول غني كريم لا تعجزه المسائل، وأن يلح في الطلب على الله تعالى فإنه يحب سماع صوت عبده يتضرع إليه، فقد جاء في جزء من الحديث القدسي أن الله تعالى يقول: **"يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ما نَقَصَ ذلك مِمَّا عِنْدِي إلا كما يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ الْبَحْرَ"**[2].

المطلب الثالث: الدعاء للأولاد والذريّة.

تعدّ الذّريّة الصالحة من أعظم النّعم الإلهية على البشر وقد سماها الله تعالى زينة الحياة الدنيا، فقال جلّ وعلا ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾[3] وقد جاء في تفسير هذه الآية أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا؛ لأن في المال جمالاً ونفعاً وفي البنين قوةً ودفعاً فصارا زينة الحياة الدنيا[4]. ولما كانت هذه النّعم وأشباهها محطّ أنظار البشر، ومهبط أمانيهم، وسببا في حسد بعضهم للبعض الآخر، وتمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض فقد منّ الله تعالى علينا بأن علمنا أساليب الوقاية من هذه العيون الحاسدة، وهي آيات تتلى على النفس والذرّية والمال فتحميها من الحسد بإذن الله تعالى، قال جلّ وعلا ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۞**﴾[5]. وقد جاء في تفسير الآية الأخيرة من السورة الكريمة: إن الحاسد لا يؤثر حسده إلا إذا أظهره بأن يحتال

---

[1] المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي (1031هـ) **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ط1 مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ، ج3 ص46.

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم، ح2577.

[3] الكهف، 46

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ج10 ص413.

[5] الفلق، 1 -5

للمحسود فيما يؤذيه، أما إذا لم يظهر الحسد فإنما يتـأذى بـه هـو لا المحسـود؛ لاغتمامـه بنعمة غيره[1].

قال الزمخشري: ويجوز أن يراد بشـر الحاسـد إثمـه وسـماجة حالـه فـي وقـت حسده وإظهار أثره[2].

وليست الآيات فقط حرزٌ لأبنائنا بل إن السنة النبويـة المطهّـرة عبقـت بكنـوز مـن الرقى الشرعية المحصّنة للأبناء فعـن ابـن عبـاس رضي الله عنه قـال: كـان رسـول الله ﷺ يعـوّذ الحسن والحسين فيقول: "**أعِيذكما بكلمة الله التّامّـة مـن كـل شـيطان وهامّـة ومـن كـل عين لامّة**[3]" ثم يقول: "**هكذا كـان أَبـي إبـراهيم عليه السلام يعـوذ إسـماعيل وإسـحاق عليهمـا السلام**"[4]. وهنا يظهر حسن التأسّي وقمة الاقتداء بالأب الحكـيم الحلـيم، فهـا هـو رسـولنا ﷺ يعوّذ أبناءه كما كان أبوه إبراهيم عليه السلام يعـوّذ أبنـاءه وبالكلمـات نفسـها؛ ليظـل صـداها يتردد في مسامع أمته حتى قيام الساعة، فهم أولى النـاس باتّبـاع إبـراهيم عليه السلام بعـد أتْباعـه وبعد رسولهم ﷺ.

ولأن الله تعالى أمرنا بالدعاء، فقد عـدّ تـركَ دعائـه اسـتكباراً عـن عبادتـه عـزّ وجلّ فقـال ﴿**وَقَـالَ رَبُّكُـمُ ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ إِنَّ الَّـذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَـنْ عِبَـادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[5]. وقـد ورد عـن الرسـول ﷺ أن الـدعاءَ رادٌّ للقـدر فقـال: "**لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيـد فـي العمـر إلا البـر وإن الرجـل ليحـرم الـرزق بالـذنب يصيبه**"[6]. فإن المسلم يؤمن بذلك عقيدة، ويطبقه شـريعة، مـع إيمانـه التـام بأنـه لا ينفـع

---

[1] ابن حيان الأندلسي، **البحر المحيط** ج8 ص534.

[2] الزمخشري، **الكشاف** ج4 ص825.

[3] تامة: معنى التمام ههنا أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب** مادة تمم ج12 ص67. لامّة: العين اللامة هي العين التي تصيب الإنسان. أنظر: المصدر السابق، مادة لمم ج12 ص522. هامّة: الهامة بالتشديد جاء في الحديث "اجتنبوا هوم الأرض فإنها مأوى الهوام". أنظر: المصدر السابق نفسه، مادة همم ج12 ص625.

[4] ابن حنبل، **مسند أحمد** ج1 ص270 ح2434.

[5] غافر، 60

[6] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ) **القضاء والقدر** ط1 الرياض: مكتبة العبيكان، 1421هـ - 2000م. باب لا يرد القدر إلا الدعاء، ح249. قال البيهقي: إسناده أمثل إسناد في هذا الباب.

حذرٌ من قدر محتوم، وأن قدر الله تعالى واقع لا محالة، وأن الإنسان مهما كانت قوته، ومهما بلغ ذكاؤه، فإنه لا يستطيع أن يهرب من قدر الله تعالى إلا إليه، فإنه يتعلق بالدعاء وبالرقى الشرعية؛ لشدة ضعفه، وتيقّنه بأن الله تعالى قادرٌ على حمايته، وحماية أبنائه، وأنه تعالى يثيب المستنّ بسنة الحبيب المصطفى ﷺ ثوابا عظيما، فيرفع عنه الضيق والخوف ويستجيب له، ويلطف فيه فيما قدّره عليه من مصائب، قدّر فيها أيضا أن هذا المؤمن سيلتجيء إلى الله تعالى، ويدعوه، فيقع القضاء بلطف الله تعالى، فيتلقاه الإنسان المؤمن بقلب راضٍ، ويثبتُ في حق أمة محمد ﷺ قوله تعالى **﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾**[1].

المطلب الرابع: الدعاء لمكة والمدينة.

عُمّرت مكةُ المكرمة بدخول إبراهيم عليه السلام وزوجه وابنه إليها، ولما لم يكن أمامه عليه السلام خيار في اختيار مكان آخر ليُسكِن أهله فيه غير هذا الوادي المُقفر؛ امتثالا لأمر الله العزيز العليم، لهج لسانه بالدعاء له ولأهله وذرّيتهم من بعدهم؛ ليبارك الله تعالى هذا الوادي أرضا وبناء وإنسانا، ولم تكن ملة إبراهيم عليه السلام إلا تهيئة لآخر الرسالات السماوية، ولآخر الرسل بعثةً وهو سيدنا محمد ﷺ الذي أدخل الإسلام المدينةَ المنورةَ أول مرة مع اتفاقية الهجرة النبوية وبيعتي العقبة، اللتين حظيتا بأول معاهدةٍ بين رسول الله ﷺ ومن أسلم من قبائل يثرب، ثم تُوّجت هذه الاتفاقية بهجرة النبي ﷺ إلى يثرب، التي طابت بدين الله الخاتَم الناسخ فأصبحت طيبة، وأنارت برسول الله ﷺ فسميت المدينة المنورة، ونالت المدينة من خير دعاء المصطفى ﷺ تأسياً بأبيه إبراهيم عليه السلام فدعا لها ولثمرها ومدّها وصاعها[2] فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى النبي ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: **"اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في**

---

[1] آل عمران، 68

[2] الصاع: هو إناء يسع خمسة أرطال، وهو أربعة إمداد وربما زاد عليها إلى خمسة. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ج1 ص305. المدّ: مكيال وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز ورطلان عند أهل العراق. أنظر: الرازي، **مختار الصحاح** مادة مدد ج1 ص258.

مدنا، **اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة، بمثل ما دعاك لمكة، ومثله معه"**. قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر[1].

وقد حرم إبراهيم عليه السلام مكة إلى يوم القيامة وسأل الله تعالى أن يجعلها بلداً آمناً **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** [2]. والأمان المطلوب هنا هو ألا يصيبها ما يصيب بقية البلدان من الخسف والخوف وإغارة القبائل[3].

وقد أنجز الله تعالى له ذلك فعلا فقال **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءامِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾**[4]. وكذلك فإن الله تعالى قد ذكّر قريشاً بهذا الأمان الذي أنعم به عليهم فقال **﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾**[5]. ثم جاء آخر الأنبياء محمدٌ ﷺ خيرُ ولدٍ له من ذرّيته، وخيرُ متأسٍّ به، فحرّم المدينة المنورة، كما حرم إبراهيم عليه السلام مكة المكرمة، مؤكدا على أنه يسير على خطى أبيه عليه السلام، فعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه[6] عن النبي ﷺ: **"أَنّ إبراهيم حرّم مكة ودعا لها وحرّمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مُدّها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة"**[7].

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم** كتاب الحج، باب فَضلِ المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بِالبركة، ح1373.

[2] البقرة، 126

[3] ابن جزي الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل** ج1 ص60.

[4] العنكبوت، 67.

[5] قريش، 4.

[6] هو عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب الأنصاري المازني أبو محمد اختلف في شهوده بدرا، وقال ابن عبد البر شهد أحدا وغيرها ولم يشهد بدرا، وروى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وكان مسيلمة قتل حبيب بن زيد أخاه فلما غزا الناس اليمامة شارك عبد الله بن زيد وحشي بن حرب في قتل مسيلمة وأخرج البخاري عن عبد الله بن زيد قال لما كان زمن الحرة أتاه آت فقال له إن ابن حنظلة يبايع الناس على الموت فقال: لا أبايع على هذا أحدا بعد رسول الله ﷺ يقال قتل يوم الحرة سنة 63هـ. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة** ج4 ص98.

[7] البخاري، **صحيح البخاري** كتاب البيوع، باب ما يستحب من الكيل، ح2022.

وقد فهم مجموعة من العلماء أن هذه البركة مرتبطة بحياة هذين الرسولين وبكيلهما أو بكيل من يوافقهما عقيدة وشريعة، وقد نقل ذلك ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى فقال: "وكلام الرسول ﷺ يشعر بأن البركة المذكورة في الحديث مقيدة بما إذا وقع الكيل بمد النبي ﷺ وصاعه ويحتمل أن يتعدى ذلك إلى ما كان موافقا لهما لا إلى ما يخالفهما والله أعلم[1].

والراجح لديّ أن هذه البركة ممتدة بفضل دعائه ﷺ حتى قيام الساعة، وأن هذا الامتداد واضح الأثر إلى يومنا هذا بغض النظر عن أن البركة تكون بكيل المصطفى ﷺ وصاعه أو بكيل من هو موافق له عقيدة وشريعة أو حتى لمخالفه؛ لأن التحريم لمكة والمدينة لا يزال كذلك، ولم يأت أحد ويقول إن التحريم كان في وقتهما عليهما صلاة الله وسلامه فقط، وعليه فإن البركة أيضا ممتدة مثله؛ إذ أنها معطوفة عليه في الحديث الشريف، ومن المعروف أن المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه. وبما أن الدعاء كان لمكة والمدينة كأرض ومكان ولم يظهر في الحديث مقيّدٌ ولا مخصّصٌ فإن أثر هذا الدعاء باقٍ بقاء الأرض والمكان.

أما الدعاء لأهل مكة والمدينة فقد صدر منهما عليهما الصلاة والسلام أيضا، فقد قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام **﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾**[2]. والتعليم والتزكية من أفضل ما يدعو به الأب لأبنائه والرسول لقومه، ويتمناه لهم، وقد استجاب الله تعالى له ذلك، وبعث محمدا ﷺ وعندما طلب إبراهيم عليه السلام أن تكون الإمامة في ذريته، أخبره الله تعالى بأن هذا الأمر لا يتأتّى لكل أحد، ولا يتحصّل للظالمين **﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**[3]. ودليل ذلك ما جاء في سورة الزخرف من قوله تعالى **﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۝ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاَءِ وَآبَاءهُمْ حَتَّى جَاءهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ۝ وَلَمَّا**

---

[1] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ج4 ص347.

[2] البقرة، 129

[3] البقرة، 124

جَآءهُمُ الْحَقُّ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾[1]. وقد ذكرت سابقا أن هناك قولا في أن ضمير الفاعل المستتر عائد إلى الله تعالى.

يقول الإمام الشنقيطي: إن الله تعالى لم يجب دعوة إبراهيم في جميع ذريته ولم يجعل الكلمة باقية في جميع عقبه لأن كفار مكة الذين كذبوا بنبينا ﷺ من عقبه بإجماع العلماء وقد اتهموه بأنه ساحر وكثير منهم مات على ذلك وذلك في قوله تعالى ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾. يعني كفار مكة وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين وهو محمد ﷺ ﴿وَلَمَّا جَآءهُمُ الْحَقُّ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾.

وقد دلت على ذلك آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى في سورة البقرة ﴿قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. أي الظالمين من ذرية إبراهيم عليه السلام.

وقوله تعالى في سورة الصافات ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[2]. فالمحسن منهم هو الذي بقيت فيه الكلمة، والظالم لنفسه المبين منهم ليس كذلك.

وقوله تعالى في سورة النساء ﴿فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُّلْكاً عَظِيماً ۝ فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾[3].

وقد بين تعالى في سورة الحديد أن غير المهتدين منهم كثيرون وذلك في قوله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[4] وقوله تعالى في آية الزخرف ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي جعل الكلمة باقية فيهم لعل الزائغين الضالين منهم يرجعون إلى الحق بإرشاد المؤمنين المهتدين منهم لأن الحق ما دام قائماً في جملتهم فرجوع الزائغين عنه إليه مرجوٌّ مأمول[5].

---

[1] الزخرف، 28/ 29

[2] الصافات، 113

[3] النساء، 54/ 55

[4] الحديد، 26

[5] الشنقيطي، **أضواء البيان** ج7 ص104.

وبمثل دعاء إبراهيم عليه السلام وأكثر وأشمل دعا الحبيب المصطفى ﷺ للأنصار في المدينة المنورة فقال: **"اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار"**[1].

وهؤلاء هم جزء من القرون الثلاثة الأولى التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية فقال: **"خَيْرُ الناس قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"**[2].

وبالنظر في دعائهما عليهما صلوات الله وسلامه نستنتج ما يأتي:

1. دعاء الأنبياء للأرض والمكان يلزمهما حتى قيام الساعة؛ لأن الأرض هي الأرض لا تتغير بتغير الزمان، وإنما هي باقية في أصلها، وقد نالت مكة المكرمة والمدينة المنورة خيريةً عظيمةً بتشريف الله تعالى لهما ببيته وأعظم رسله ومهاجَر حبيبه ﷺ.

2. دعاء الأنبياء للإنسان الذي يسكن الأرض، والمكان مقيد بكونه قائماً بشريعة الله تعالى ملتزماً بها، ولم يقتصر الدعاء على الأمور المادية البحتة التي يسعى إليها معظم البشر، وإنما بدأ دعاء إبراهيم عليه السلام للإنسان الصالح المقيم على عهد الله تعالى بالعلم والدين والتزكية والرزق الطيب الحلال، المقيد بالإيمان والتقوى، أما الكافر فإن له متاعاً في الحياة الدنيا يشمل كل أنواع المتاع.

وقد تُوّجت هذه المطالب بدعاء المصطفى ﷺ لأهل المدينة بالرحمة وهي كلمة شاملة للدنيا والآخرة، وهي نتيجة حتمية للالتزام بأمر الله تعالى وشرعه الذي لا يتحصّل للإنسان إلا بالعلم والتزكية.

ومن أروع ما قرأت مقارنةً عقدها الإمام السيوطي رحمه الله بين محمد ﷺ وإبراهيم عليه السلام فقال: إن إبراهيم عليه السلام أوتي النجاة من النار وقد ثبت نظير ذلك لنبينا ﷺ وأوتي إبراهيم عليه السلام الخلة وقد قال رسول الله ﷺ: **"إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ**

---

[1] ابن حنبل، **مسند أحمد** ج3 ص76 ح11748 والحديث صحيح ورجاله ثقات غير محمد بن اسحاق وقد صرح بالسماع. أنظر: الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن (807هـ) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، القاهرة/ بيروت: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي 1407هـ، ج10 ص30.

[2] البخاري، **صحيح البخاري** كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة زور إلا إذا أُشهد، ح 2509

إبراهيم خليلا فمنزلي ومنزل إبراهيم في الجنة تجاهين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين"[1] وقد حُجب إبراهيم ﷺ عن نمرود بحجب ثلاث وكذلك حجب نبينا ﷺ عمن أراد قتله بحجب ثلاث كما قال تعالى ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۞ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾[2] وقال تعالى ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً**﴾[3] وقد ناظر إبراهيم نمرود فبهته بالبرهان والحجة كما قال تعالى ﴿**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**﴾[4]. وكذلك نبينا ﷺ أتاه أبي بن خلف يكذب بالبعث بعظم بال ففركه وقال: من يحيي العظام وهي رميم فأنزل الله تعالى ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[5]. وهذا هو البرهان الساطع وقد كسر إبراهيم ﷺ أصنام قومه غضبا لله تعالى وكسر نبينا ﷺ أصنام قومه وهي ثلاث مائة وستون صنما يوم فتح مكة ومن معجزاته ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي صالح قال: انطلق إبراهيم ﷺ يمتار[6] فلم يقدر على الطعام فمر بسهلة حمراء فأخذ منها ثم رجع إلى أهله فقالوا: ما هذا قال: حنطة حمراء ففتحوها فوجدوها حنطة حمراء فكان إذا زرع منها شيء خرج سنبلة من أصلها إلى فروعها حبا متراكبا[7].

---

[1] الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين** كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب إبراهيم النبي ﷺ خليل الله عز وجل، ح4018. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه.

[2] يس، 9/8

[3] الإسراء، 45

[4] البقرة، 258

[5] يس، 79

[6] تحرك وجاء وذهب. أنظر: الرازي، **مختار الصحاح** ج1 ص266.

[7] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار** كتاب الفضائل، باب مما أعطى الله إبراهيم ﷺ وفضله به، ح31819. والحديث صحيح ورجاله ثقات إلا أن فيه سالم بن أبي الجعد تابعي مرسل ثقة. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب** ص166.

وقد حدث نظير ذلــك لنبينـــا ﷺ فـــي الســـقاء الـــذي زوده لأصـــحابه ومـــلأه مـــاء ففتحوه فإذا فيه لبن وزبد عن سالم بن أبي الجعـــد[1] قـــال: "**بعـــث رســـول الله ﷺ رجلـــين في بعض أمره فقالا: يا رسول الله ما معنا ما نتـــزود؟ فقـــال: ابتغيـــا لـــي ســـقاء فجـــاءاه بسقاء، قال: فأمرنا فملأناه ثم أوكأه وقال: اذهبـــا حتـــى تبلغـــا مكـــان كـــذا وكـــذا فـــإن الله سيرزقكما، قال: فانطلقا حتى أتيا ذلك المكـــان الـــذي أمرهمـــا بـــه رســـول الله ﷺ فأنحـــل سقاؤهما فإذا لبن وزبد غنم فأكلا وشربا حتى شـــبعا**"[2]. وفيمـــا أوتـــي إبـــراهيم وإســـماعيل عليهما السلام الصبر على الذبح وقد تقدم ذلك لنبينـــا ﷺ فـــي حادثـــة شـــق الصـــدر فـــإن ذلك نظيره بل أبلغ منه لأنه وقع حقيقة والذبح لم يقع[3].

وقد جاءت هذه المقارنـــة لتشـــمل الأمـــور العقديّـــة مـــن ناحيـــة الحمايـــة الربانيـــة للرسول ﷺ وتأييده بالمعجزات الدالّة على صـــدقه، والحجـــج والبـــراهين التـــي جابـــه بهـــا أعداءه، والابتلاء الذي يحتاج إلى صبرٍ يعجـــز عنـــه البشـــر، ممـــا تشـــابه فيـــه الرســـولان عليهما صلوات الله وسلامه، مما يؤكد وحدانية الســـراج الـــذي صـــدر منـــه النـــور الإلهـــي ببعثة أبي الأنبياء وخاتمهم ومن سبقهما، ومن جاء بينهمـــا صـــلى الله علـــيهم جميعـــا وســـلم تسليما كثيرا.

---

[1] هو سالم بن أبي الجعد أحد ثقات التابعين ذكره بعضهم في المخضرمين مات سنة 99هـــ وله مائة وخمس عشرة سنة فيكون أدرك من الحياة النبوية ستا وعشرين سنة وهذا باطل، وقد جزم أبو حاتم الرازي بأنه لم يدرك ثوبان ولا أبا الدرداء فضلا عن كبار الصحابة. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة** ج3 ص274.

[2] ابن سعد، **الطبقات الكبرى** ج1 ص173. والحديث صحيح ورجاله ثقات.

[3] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر (911هـــ) **الخصائص الكبرى** بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـــ - 1985م. ج2 ص306 - 308

الخاتمة:

الحمد لله حمداً كثيراً يوافي نعمه، ويوازي جليل قدره، ويليق بعظمة سلطانه، والصلاة والسلام على حبيبه وصفيه من خلقه وخاتَم أنبيائه ورسله النبي الأميّ محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأما بعد...

فقد هيّأ الله تعالى لي ما هيّأ من أسباب الوصول إلى كنوز العلم الديني التي لا تنضب، وقد أبهرني مجهود العلماء على ضآلة ما حوته المكتبات - في دراسة شخصية سيدنا إبراهيم ﷺ وتتبّع مسيرة حياته منذ ولادته حتى وفاته، وعقد المقارنات بينه وبين رسول الله محمد ﷺ وإظهار العلاقات بين الرسالتين، وإن دلّ هذا على شيء فإنه يدلّ على عظم شخصية هذا النبي الكريم، والتي تستحق أن تكون مثالا يُحتذى، ومناراً يهتدي به العالم والمتعلم والأب والابن في أي زمان.

وأهم ما تمّ استنتاجه في هذه الدراسة: -

أولاً: اختلف علماء التاريخ في اسم والد سيدنا إبراهيم ﷺ ومكان ولادته وبعض تفاصيل رحلاته وهجراته، وهذا الاختلاف لا يضيرنا كمسلمين لأنه لا يترتب على معرفته كبير علم، ولا على عدم معرفته كبير جهل، لأن الله تعالى لو أراد أن يطلعنا عليه لأطلعنا، والحكمة الأولى من القصص القرآني هي التقاط العبرة والعظة منها.

ثانياً: إن حياة إبراهيم ﷺ كانت نسقا متكاملا من الابتلاءات العظيمة، والتي أبدى فيها الصبر والتصبّر والتوكل والرضا بقضاء الله تعالى دون جزع أو تردد.

ثالثاً: اتبع إبراهيم ﷺ جميع الأساليب الممكنة في توصيل دعوته إلى قومه، فمن المواجهة الفردية والجماعية إلى إقامة الحجة بالبرهان والحوار والتورية.

رابعاً: لقد غير إبراهيم ﷺ المنكر بيديه حين كسّر الأصنام، وبلسانه طوال مدة بعثته، ولم يكن أبداً ممن يغير المنكر بقلبه؛ لأنه لم يكن ضعيف الإيمان مطلقاً.

خامساً: رفع إبراهيم عليه السلام قواعد البيت الحرام قبلة المسلمين التي رضـيها رسـول الله محمد ﷺ بعد أن توجه في صلاته إلى المسجد الأقصى عدداً من السنين. ثم توجّـه بعـد ذلـك بأربعين عاماً إلى رفع قواعد المسجد الأقصى المبارك، قبلة المسلمين الأولى، ومسجدهم الثاني.

سادساً: وجوه التشابه بين أبي الأنبياء عليه السلام وخاتمهم ﷺ كثيرة جداً فمن الشبه الخَلقي إلى التشابه في الصفات الخُلُقية، وفي الدعاء، وفي محبة الله والناس، والمكانة في الدنيا والآخرة.

الحمد لله الحنّان المجيد الفعّال لما يريد

ومن جعل الحمد خاتمة النعمة جعله الله فاتحة المزيد.

فهرست الآيات

صفحة ورودها	السورة	رقمها	الآية حسب ترتيب المعجم في السورة	الرقم
97	سورة البقرة	46	﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ...﴾	1
95/33/22		285	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ....الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	2
64/60		253	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾	3
40/39		269	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ .... إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	4
/130/113		129	﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً... وَيُزَكِّيهِمْ﴾	5
130		128	﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ .... الرَّحِيمُ﴾	6
138		258	﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾	7
115		124	﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاما﴾	8
12		133	﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ ....وَإِسْحَاقَ﴾	9
69		151	﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً... مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾	10
135/130/65/44		124	﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ...لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾	11
71		125	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً ... وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾	12
134		126	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ.... وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾	13
96		260	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي...عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	14
70		127	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ....السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	15
72		128	﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ... الرَّحِيمُ﴾	16
55		135	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً...... مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	17
130/55		130 -131	﴿وَمَنْ يَرْغَبُ .... أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	18
126	آل عمران	200	﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾	19
69		33	﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ......الْعَالَمِينَ﴾	20
133/122		68	﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ... وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾	21

22	﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي.... الْأَبْرَارِ﴾	193		114
23	﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ ... وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾	184		64
24	﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ .... عَنِ الْعَالَمِينَ﴾	97		73
25	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي...غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	31		118
26	﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْأَنْجِيلَ﴾	48		39
27	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ ...عَظِيماً﴾	54	سورة النساء	56
28	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي... قَوْلاً بَلِيغاً﴾	63		23
29	﴿فَإِنْ آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾	6		36
30	﴿فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ..... سَعِيراً ﴾	55/54		136
31	﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	113		39
32	﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ .... اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾	113		39
33	﴿وَكُنْتُ عليهم شَهِيدًا.... على كل شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	117	المائدة	114
34	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ .... مُهْتَدُونَ﴾	82	سورة الأنعام	92
35	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾	90		59
36	﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى ... مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾	78 - 76		32
37	﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ....مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾	56		63
38	﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر.....﴾	74		/89/31/11
39	﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ .... بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	81- 80		92
40	﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ ....* وَمَا أَنَا مِنَ	79 - 75		83
41	﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾	84		20
42	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	199	الأعراف	23
43	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾	114	التوبة	55
44	﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾	128		113

46	﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ ... الْجَحِيمِ﴾	113		91
47	﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ... إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾	114		91/88- 87
48	﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي ... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾	36	يونس	98
49	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ... وَلا تُنْظِرُونِ﴾	71		63
50	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾	75	سورة هود	55
51	﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ... مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾	54		63
52	﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ..... مَرْدُودٍ﴾	76- 74		98
53	﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ... حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾	73		70
54	﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ .... إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾	71		18
55	﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ... بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾	69		58- 57
56	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ ... الدُّعَاءِ﴾	39	سورة إبراهيم	100
57	﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ..... دُعَاءِ﴾	40		130
58	﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ .... يَشْكُرُونَ﴾	37		19
59	﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾	35		130
60	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ......الْأَصْنَامَ﴾	35		134
61	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً .... وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	120	النحل	67
62	﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ ....كَرِيماً﴾	23	الإسراء	13
63	﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا ... حِجَاباً مَسْتُوراً﴾	45		138
64	﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا ... رَشَداً﴾	10	سورة الكهف	40
65	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ ... ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾	46		131
66	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ... وَزِدْنَاهُمْ	13		40
67	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ... أَمْضِيَ حُقُباً﴾	60		40
68	﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ.... ﴾	28		125

69	﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا ..... عَنْكَ شَيْئاً﴾	42	سورة مريم	80/3
70	﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾	54		100
71	﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... نَبِيّاً﴾	49		101/24
72	﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ..*... صِدْقٍ عَلِيّاً﴾	50 -49		101/88
73	﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ... مَلِيّاً﴾	46		89
74	﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾	30		38
75	﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ .... رَبِّي شَقِيّاً﴾	48 -47		90
76	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾	41		57
77	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ...وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾	54		19
78	﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ... بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً﴾	48		23
79	﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ ...... وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾	46 -43		89
80	﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ...فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾	45 -44		89
81	﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾	12		**40/39/38/30**
82	﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾	132	طه	52
83	﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ ...عَزْماً﴾	115		62 -61
84	﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ ..... لَهَا عَابِدِينَ ﴾	53 -52	سورة الأنبياء	92/80
85	﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...... اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾	67 - 66		108
86	﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ ...... مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾	65 -64		31
87	﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ..... الْأَخْسَرِينَ﴾	70 - 66		106/51 -50
88	﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ ....يَنْطِقُونَ﴾	63		109
89	﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾	68		31/22
90	﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾	60		40/35
91	﴿كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ .... إِنَّا كنا فَاعِلِينَ﴾	104		114

92	﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾	85		100
93	﴿وَتَاللَّه لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ...... الْأَخْسَرِينَ﴾	57 -70		93
94	﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا .... لَنَا عَابِدِينَ﴾	73		66
95	﴿وَذَا النُّونِ... سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	87		62
96	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ..... أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾	51 -52		35
97	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ... فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾	51 -70		30/35/55/103 -104
98	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً ....إِنْ كُنْتُمْ لا	7		18
100	﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾	35		42
101	﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي ... لِلْعَالَمِينَ﴾	71		24/25/27
102	﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ... الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾	46	سورة الحج	85
103	﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾	78		113
104	﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ...وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾	26		70
105	﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ ...فَجٍّ عَمِيقٍ﴾	27		71/114
106	﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ .... مِنْ قَبْلُ﴾	78		109
107	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾	4	النور	90
108	﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ.... أَوْ يَضُرُّونَ﴾	70 -73	سورة الشعراء	106
109	﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ* ... رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾	75 -77		92
110	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ....إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾	69 -77		80
111	﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾	84		113
112	﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾	86		13
113	﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ...لا يَهْتَدُونَ﴾	24	النمل	32
114	﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا... لا نَبْتَغِي	55	القصص	91
115	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا ..... غَيْرِي﴾	38		33 -34

116	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءامِناً ... مِنْ حَوْلِهِمْ﴾	67	سورة العنكبوت	134
117	﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ ... الْعَزِيزُ﴾	26		49/24
118	﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ ... الْغَابِرِينَ﴾	32		98
119	﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾	32		98
120	﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ...لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	24- 16		94
121	﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ... لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾	27		65
122	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ ....مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾	7	سورة الأحزاب	62
123	﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ... كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾	34		57/39
124	﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ....وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ....﴾	33		70/5
125	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ... وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾	46- 45		129
126	﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً .... لا يُبْصِرُونَ﴾	9- 8	يس	138
127	﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّ ... خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾	79		138
128	﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	100	سورة الصافات	20
129	﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ﴾	101		53
130	﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ... عَظِيمٍ﴾	- 101		53
131	﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ....وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾	107- 102		53
132	﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ.... وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	96- 88		93- 92
133	﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ* ....تَعْمَلُونَ﴾	96- 95		106/89
134	﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ*.... مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾	85- 83		56
135	﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ... لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾	113		136
136	﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ ..... لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾	113/112		53
137	﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي... نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	112- 99		100
138	﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ ...أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾	45	ص	58

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
139	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾	20		79/39
140	﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ .... مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾	3	الزمر	32
141	﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	63		80
142	﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي ... سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾	60	غافر	132
143	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ ....﴾	78		20
144	﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِى الأَفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ﴾	53	فصلت	85
145	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ .....﴾	37		32
146	﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ... وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾	16	الشورى	34
147	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى.... إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾	13		62/60
148	﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۞ ..... سَيَهْدِينِ﴾	26 -27	سورة الزخرف	129
149	﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ... مُقْتَدُونَ﴾	22		80
150	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ.... ﴾	26		94/86/31
151	﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي ..... وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾	28 -29		135/129
152	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ ..... يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾	35	الأحقاف	60
153	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ... أَخْبَارَكُمْ﴾	31	محمد ﷺ	43
154	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	13	الحجرات	60
155	﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّت ....﴾	29	الذاريات	18
156	﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِملوم... تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	54 -55		23
157	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾	24		57
158	﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ...... فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾	36 - 54	النجم	41
159	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ..... مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾	26	الحديد	136
160	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾	4	الممتحنة	87/63
161	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	4	القلم	125/112

162	﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾	24	المدثر	107
163	﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾	24	النازعات	96
164	﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾	24		34
165	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى...... صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾	14 - 19	الأعلى	41
166	﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾	4	قريش	134
167	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ ...... حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾	1 - 5	الفلق	131

فهرست الأحاديث

22	إني أبرأ إلى كل خليل من خُلته	النهاية في غريب الحديث	صحيح	74
23	إني عبد الله وخاتم النبيين وآدم	المستدرك على	صحيح	130/128/1
24	إني لأَعْلَمُ إذا كُنْتِ عَنِّي	صحيح البخاري	صحيح	119
25	أول من يكسى خليل الله	الزهد والرقائق	موقوف/صحيح	115
26	أي الناس أشد بلاء؟ قال:.....	مسند أحمد	صحيح	43
27	بعث رسول الله ﷺ رجلين في ...	الطبقات الكبرى	صحيح	139
28	ثم اختتن إبراهيم النبي	صحيح مسلم	صحيح	28
29	ثم إن الله عز وجل إذا أحب	مسند أحمد	صحيح	43
30	ثم انطلقنا حتى أتينا	دلائل النبوة للبيهقي	صحيح	124
31	ثم سيصير الأمر إلى أن......	مسند أحمد	ضعيف	26
32	حسبنا الله ونعم الوكيل	صحيح البخاري	صحيح	126
33	حسبي الله ونعم الوكيل أمان.....	تاريخ أصبهان	ضعيف	127
34	حسبي الله ونعم الوكيل....	صحيح البخاري	صحيح	126
35	خَيْرُ الناس قَرْني ثُمَّ الَّذينَ...	صحيح البخاري	صحيح	137
36	سألت رسول الله ﷺ عن أول...	صحيح البخاري	صحيح	73
37	ستكون هجرة بعد هجرة فخيار...	سنن أبي داود	حسن	25 -26
38	السلام عليكم دار قوم مؤمنين...	صحيح مسلم	صحيح	121
39	فإن عادوا فعد	فتح الباري	مرسل صحيح	110
40	فحانت الصلاة فأممتهم...	صحيح مسلم	صحيح	115
41	فسبحان الله حين تمسون	جامع البيان	ضعيف	45
42	الفطرة خمس الختان	متفق عليه واللفظ لمسلم	صحيح	44
43	قد سمعت كلامكم وعجبكم ...	سنن الترمذي	غريب	116 -117
44	قولوا اللهم صل على محمد....	صحيح البخاري	صحيح	68

الرقم	طرف الحديث	المصدر	الحكم	الصفحة
45	**كان آخر قول إبراهيم حين ...**	صحيح البخاري	**صحيح**	**126**
46	**كان الله يبعث ملك الموت ...**	تاريخ دمشق	**ضعيف**	**28**
47	**كان رسول الله ﷺ إذا أراد ...**	صحيح البخاري	**صحيح**	**120**
48	**كان رسول الله ﷺ في مسير**	صحيح البخاري	**صحيح**	**110**
49	**كانت أمثالا كلها: أيها الملك.....**	صحيح ابن حبان	**صحيح**	**42**
50	**كانت امرأة بمكة كاهنة....**	دلائل النبوة للأصبهاني	**صحيح**	**123**
51	**كل الرسل كانوا أولي عزم...**	جامع البيان	**مقطوع صحيح**	**61**
52	**الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم...**	تفسير ابن أبي حاتم	**صحيح**	**44**
53	**كلها في صحف إبراهيم وموسى**	المستدرك على	**صحيح**	**41**
54	**لا إله إلا أنت سبحانك ....**	كشف الخفا	**صحيح**	**51**
55	**لا يؤمن أحدكم حتى أكون...**	صحيح البخاري	**صحيح**	**118**
56	**لا يرد القدر إلا الدعا ولا يزيد...**	القضاء والقدر للبيهقي	**صحيح**	**132**
57	**لم يكذب إبراهيم عليه السلام**	صحيح البخاري	**صحيح**	**109/47**
58	**لم يملك الأرض كلها إلا أربعة...**	مصنف ابن أبي شيبة	**صحيح**	**33**
59	**لما توارى رسول الله ﷺ ...**	دلائل النبوة للأصبهاني	**ضعيف**	**123**
60	**لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء...**	أخبار مكة للفاكهي	**مرفوع صحيح**	**72**
61	**لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء ...**	مصنف ابن أبي شيبة	**موقوف صحيح**	**72**
62	**اللهم ارحم الأنصار وأبناء.....**	مسند أحمد	**صحيح**	**137**
63	**اللهم بارك لنا في ثمرنا...**	صحيح مسلم	**صحيح**	**134- 133**
64	**لو كنت متخذا خليلا لاتخذت**	صحيح مسلم	**صحيح**	**75**
65	**ليلة أسري بي رأيت موسى...**	صحيح البخاري	**صحيح**	**124- 123**
67	**ما للعب خلقنا**	تاريخ دمشق	**ضعيف**	**39**
68	**المسلم إذا كان مخالطا الناس**	سنن الترمذي	**صحيح**	**24**

69	من قال حين يصبح فسبحان	المعجم الكبير	ضعيف	46
70	من قال عشر كلمات عند دبر...	نوادر الأصول في أحاديث	لم أجده	127
71	نحن أحق بالشك من إبراهيم	صحيح البخاري	صحيح	97
72	وإبراهيم الذي وفّى. قال	جامع البيان	ضعيف	46
73	وإبراهيم الذي وفّى... قال: بلغ	مصنف ابن أبي شيبة	صحيح	46
74	يا أيها الناس إنكم محشورون...	صحيح البخاري	صحيح	114
75	يا خير الناس قال: "ذاك	تاريخ أصبهان	ضعيف	121
76	يا رسول الله متى الساعة قائمة	صحيح البخاري	صحيح	118 -119
77	يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي	تفسير القرآن لابن أبي	ضعيف	63
78	يا عبادي لو أن أولكم	صحيح مسلم	قدسي/صحيح	131
79	يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة	صحيح البخاري	صحيح	12

فهرست الأعلام

الرقم	اسم العلم	مصدر الترجمة	صفحة
1	إبراهيم بن المختار التميمي أبو إسماعيل	**تقريب التهذيب**	**121**
2	أحمد البراء بن عمر بهاء الدين الأميري	*www.wa3i.org.sa/news.php*	**50**
3	أحمد محمد جاب الله شلبي	*ahmedshalbyschool.110mb.com*	**21**
4	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي 128هـ	**الأعلام**	**11**
5	بقية بن الوليد بن صائد 97هـ	**تقريب التهذيب**	26
6	جابر بن زيد الأزدي البصري 93هـ	**الأعلام**	**61**
7	جعفر بن الزبير الحنفي	**تقريب التهذيب**	**46**
8	الحسن بن يسار البصري، 110هـ	**الأعلام**	**11**
9	الحسين بن مسعود بن محمد الفراء 510هـ	**الأعلام**	**30**
10	رفيع بن مِهران الرياحي	**الإصابة في تمييز الصحابة**	**25**
11	زبان بن فائد	**المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**	**46**
12	سالم بن أبي الجعد 99هـ	**الإصابة في تمييز الصحابة**	**139**
13	سعيد بن بشير الأنصاري	**تقريب التهذيب**	**46**
14	سليمان بن طرخان التيمي، 43هـ	**تقريب التهذيب**	**14**
15	سهل بن معاذ بن أنس الجهني	**الجرح والتعديل**	**45**
16	شَدَّادُ بْنُ أَوْسِ بْنِ ثَابِتِ58هـ	**معرفة الصحابة**	**127**
17	*شهر بن حوشب*	فتح الباري	**26**
18	صالح بن فوزان بن عبد الله	www.alfawzan.ws	**67**
19	عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم	**الأعلام**	**14**
20	عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري	**الأعلام**	**95**
21	عبد الرحيم البيساني 596هـ	**طبقات الشافعية**	**5**

26	معرفة الصحابة	عَبْدُ اللهِ بْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ	22
134	الإصابة في تمييز الصحابة	عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب 63هـ	23
119	الأعلام	عياض موسى اليحصبي السبتي 544 هـ	25
18	الأعلام	كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري 32هـ	27
63	سير أعلام النبلاء	مجالد بن سعيد الهمداني	28
33	الأعلام	مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي 104هـ	29
56	الأعلام	محمد بن إبراهيم بن المنذر	30
109	الأعلام	محمد بن سلاّم بن عبيد الله الجمحي 232هـ	31
69	www.ibnothaimeen.com	محمد بن صالح بن محمد آل عثيمين	32
6	www.alhakawati.net/arabic/civilizations	محمد بن صفي الدين العماد الأصفهاني	33
123	تقريب التهذيب	**محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر** التيمي	34
58	**mawsoah.net الموسوعة العربية العالمية**	محمد بن عبد الله بن محمد المعافري بن	35
69	الأعلام	محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني	36
30	تقريب التهذيب	محمد بن كعب بن سُليم القرَظيّ 120هـ	37
14	www.14masom.com/mostabsiron	محمد بيومي مهران	38
15	الأعلام	محمد رشيد بن علي رضا القلموني	39
46	الأعلام	محمد عبده بن حسن خير الله آل التركماني	40
83	*quran.maktoob.com/vb/quran*	محمد متولي شعراوي 1998م	41
43	الإصابة في تمييز الصحابة	محمود بن لبيد بن رافع بن امريء القيس	42
109	تقريب التهذيب	مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي	43
14	تقريب التهذيب	معتمر بن سليمان التيمي 87هـ	44
38	تقريب التهذيب	معمر بن راشد الأزدي 54هـ	45
128	تهذيب الكمال	معن بن عيسى الأشجعي القزاز 198هـ	46

47	مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي 150هـ	**الأعلام**	**36**
48	المُنْذِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ الْمُنْذِرِ أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ	**الإصابة في تمييز الصحابة**	**68**
49	نعمة الله بن محمود النخجواني920هـ	**الأعلام**	**104**
50	يعقوب بن عبد الله بن سعد الأشعري74هـ	**تقريب التهذيب**	**28**

فهرست المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم وكتب التفسير:

1. **القرآن الكريم.**

2. ابن حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أبو عبد الله (745هـ) **البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم** بيروت: دار الفكر.

3. ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (327هـ) **تفسير القرآن** صيدا: المكتبة العصرية.

4. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (597هـ) **زاد المسير في علم التفسير**، ط3 بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ.

5. ابن الحنبلي، عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي أبو الفرج (634هـ) **استخراج الجدال من القرآن الكريم** ط1 دار الأعلام، 2002م.

6. ابن المنذر النيسابوري، محمد بن إبراهيم أبو بكر (319هـ) **تفسير القرآن**، ط1 المدينة المنورة: دار المآثر، 1423 هـ 2002 م.

7. ابن عادل، عمر بن علي بن عادل الحنبلي أبو حفص (775هـ)، **تفسير اللباب**، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.

8. ابن كثير، إسماعيل أبو الفداء (774هـ) **تفسير القرآن العظيم**. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

9. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء(774هـ)، **تفسير القرآن العظيم** ، بيروت: دار الفكر، 1401هـ.

10. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني **أبو الثناء** (1270هـ) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت: دار الفكر، 1978م.

11.رضا، محمد رشيد (1354هـ) **تفسير المنار** القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

12.الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي أبو القاسم (538هـ) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ط1 بيروت: دار الفكر، 1403هـ - 1983م.

13.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر (911هـ) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.

14. الشعراوي: محمد متولي (1418هـ/1998م) **المختار من تفسير القرآن الكريم** القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. مكتبة الكتاب الالكتروني الإسلامي ومنتدى الكتاب الالكتروني الإسلامي http://adel-ebooks.mam9.com.

15.الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (1393هـ) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** بيروت: دار الفكر، 1415هـ - 1995م.

16.الشوكاني، محمد بن علي بن محمد أبو عبد الله (542هـ) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** بيروت: دار الفكر.

17.الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بيروت: دار الفكر، 1405هـ،

18.الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني أبو عبد الله (606هـ) **مفاتيح الغيب** بيروت: دار الكتب العلمية، 1425هـ - 2004م.

19.القاسمي، محمد جمال الدين (1332هـ) **محاسن التأويل** ط1 القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1376هـ - 1957م.

20.القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري أبو عبد الله (670هـ) **الجامع لأحكام القرآن** بيروت: دار الكتب العلمية.

21.القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله (671هـ) **الجامع لأحكام القرآن** ط2 القاهرة: دار الشعب، 1372هـ.

22.الكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب البخاري أبو بكر (380هـ) **بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار** ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ - 1999م، ج1 ص276.

23.النخجواني، نعمة الله بن محمود، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية** مصر: دار كابي للنشر، 1999م.

ثانيا: الحديث الشريف وشروحه:

1. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي أبو بكر (235هـ) **المصنف في الأحاديث والآثار** ط1 الرياض: مكتبة الرشد، 1409هـ.

2. ابن المبارك، عبد الله بن واضح المرزوي أبو عبد الله (181هـ) **الزهد ويليه الرقائق** بيروت: دار الكتب العلمية.

3. ابن الملقن، عمر بن علي الأنصاري أبو حفص(804هـ) **غاية السول في خصائص الرسول** ﷺ بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1414هـ - 1993م.

4. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم (354هـ) **صحيح ابن حبّان** ط2 بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414هـ - 1993م.

5. ابن خزيمة النيسابوري، محمد بن إسحاق أبو بكر (311هـ) **صحيح ابن خزيمة** بيروت: المكتب الإسلامي، 1390هـ - 1970م.

6. ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (795هـ) **شرح حديث لبيك اللهم لبيك** ط1 مكة المكرمة: دار عالم الفوائد،1417هـ.

7. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري أبو عمر (463هـ) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ.

8. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (275هـ) **سنن أبي داود**، بيروت: دار الفكر.

9. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بزدبه أبو عبد الله (256هـ)، **الجامع الصحيح المسند من أمور الرسول ﷺ وسننه وأيامه**، ط1. بيروت: دار الفكر. 2000م.

10.البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ)، **سنن البيهقي الكبرى**، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1414هـ - 1994م.

11. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى (279هـ) **الجامع الصحيح سنن الترمذي** بيروت: دار إحياء التراث العربي.

12. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله (405هـ) **المستدرك على الصحيحين** ط 1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1411ه - 1990م.

13. الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله (320هـ) **نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ** بيروت: دار الجيل، 1992م.

14. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبو الخير (902هـ) **المقاصد الحسنة المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة** ط1 بيروت: دار الكتاب العربي، 1405 هـ - 1985م.

15. الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبد الله (241هـ) **مسند الإمام أحمد بن حنبل** مصر: مؤسسة قرطبة.

16. الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم (360هـ)، **المعجم الأوسط**، القاهرة: دار الحرمين، 1415هـ.

17. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (360هـ) **المعجم الكبير**، ط2 الموصل: مكتبة الزهراء، 1404هـ - 1983م.

18. العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي أبو الفداء (1162هـ) **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** ط4 بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ.

19. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي (852هـ) **فتح الباري شرح صحيح البخاري** بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

20. العيني، بدر الدين محمود بن أحمد أبو محمد (855هـ) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** بيروت: دار إحياء التراث العربي.

21. المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي (1031هـ) **فيض القدير شرح الجامع الصغير**،ط1 مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ.

22. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد (656هـ) **الترغيب والتهيب** ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ.

23. النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (303هـ) **السنن الكبرى** ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 411هـ - 1991م.

24. النووي، يحيى بن شرف بن مري أبو زكريا (676هـ) **صحيح مسلم بشرح النووي** ط2 بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ.

25. النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسين (261هـ) **صحيح مسلم** بيروت: دار إحياء التراث العربي.

26. الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن (807هـ) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، القاهرة/ بيروت: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي 1407هـ.

ثالثاً: كتب العقيدة الإسلامية:

1. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ) **دلائل النبوة** ط1 بيروت: دار الفكر، 1418هـ - 1997م.

2. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ)، **القضاء والقدر**، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 1421هـ -2000م.

3. ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الأذرعي الصالحي الدمشقي (792هـ) **شرح العقيدة الطحاوية** ط1 مصر: دار السلام للطباعة والنشر، 1426هـ - 2005م.

4. ابن عيسى، أحمد بن إبراهيم (1329هـ) **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية** ط3 بيروت، المكتب الإسلامي، 1406هـ - 1986م.

5. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ) **إعلام الموقعين عن رب العالمين** بيروت: دار الجيل، 1973م.

6. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ) **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**،ط2 بيروت: دار المعرفة، 1395هـ -1975م.

7. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ) **الرسالة التبوكية** زاد المهاجر إلى ربه.

8. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ) **زاد المعاد في هدي خير العباد** ط14 بيروت، الكويت، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية،1407هـ - 1986م.

9. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ط2 بيروت: دار الكتاب العربي، 1393هـ - 1973م.

10.ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ) **مفتاح دار السعادة وولاية العلم والإرادة**، بيروت: دار الكتب العلمية.

11.الأميري، أحمد البراء، **إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم**، ط1. جده: دار المنارة. 1406هـ - 1986م.

12.الأميري، أحمد البراء، **فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم** ط1. دمشق: دار القلم. 1420هـ - 2000م.

13.بهجت، أحمد، **أنبياء الله**، ط3. بيروت: دار الشروق. 1975م.

14.البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ) **شعب الإيمان** ط1 الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الهند: الدار السلفية، 1423هـ - 2003م.

15.زين العابدين، محمد بن سرور بن نايف، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله** ط3. برمنجهام: دار الأرقم. 1408هـ - 1988م.

16.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر (911هـ) **الخصائص الكبرى** بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ - 1985م.

17.شبلي، سعيد، **درب إبراهيم عليه السلام**، دمشق: دار علاء الدين. 2003م.

18.شلبي، أحمد، **مقارنة الأديان اليهودية** ط 8 القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

19.الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم أبو الفتح (548هـ) **الملل والنحل** القاهرة: مؤسسة الحلبي.

20.الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم أبو الفتح (548هـ) **الملل والنحل** بيروت: دار المعرفة، 1404هـ.

21.الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم أبو الفتح (548هـ)، **نهاية الإقدام في علم الكلام** بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.

22.العارف، هشام فهمي، **سيرة إبراهيم الخليل في القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة**، ط1. بيروت: دار البشائر الإسلامية. 1417هـ - 1996م.

23.العبدولي، تهامي، **النبي إبراهيم في الثقافة العربية الإسلامية** سوريا: دار الثقافة العربية. 2001م.

24.العقاد، عباس محمود، **إبراهيم أبو الأنبياء** بدون معلومات الطباعة.

25.الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد** ط3 القاهرة: مؤسسة الرسالة، 1423هـ 2002م.

26.لاوت، رينهارد، **إبراهيم وأبناء عهده مع الله** دمشق: خطوات للنشر والتوزيع. 2006م.

27.المدخلي، ربيع، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل**. ط3. المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية. 1418هـ - 1997م.

28.الهيثمي، علي بن أبي بكر أبو الحسن (708هـ) **موارد الظمآن** بيروت: دار الكتب العلمية.

رابعا: كتب الغريب والمعاجم:

1. ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد (606هـ) **النهاية في غريب الحديث والأثر** بيروت: دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

2. ابن سلّام، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء أبو عبد الله (232هـ) **غريب القرآن**.

3. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين (395هـ) **معجم مقاييس اللغة**، ط2 بيروت: دار الجيل، 1420هـ - 1999م،

4. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.

5. الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري (393هـ)، **الصحاح في اللغة،** ط4، بيروت: دار العلم للملايين، 1990م.

6. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (721هـ) **مختار الصحاح** طبعة جديدة، بيروت: مكتبة لبنان، 1415هـ - 1995م.

7. الزاوي، طاهر أحمد، **ترتيب القاموس المحيط،** بيروت: دار الكتب العلمية، 1979م.

8. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (1205هـ) **تاج العروس من جواهر القاموس** دار الهداية.

9. مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط** دار الدعوة.

10. المطرزي، ناصر الدين أبو الفتح، **المغرب في ترتيب المعرب،** ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1990م.

خامسا: كتب الجرح والتعديل:

1. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي (327هـ) **الجرح والتعديل** ط1،بيروت: دار إحياء التراث العربي 1271هـ - 1952م.

2. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (597هـ) **صفة الصفوة** ط2 بيروت: دار المعرفة، 1399هـ - 1979م.

3. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله (320هـ) **الطبقات الكبرى.**

4. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري أبو عمر (436هـ) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ط1 بيروت: دار الجيل، 1412هـ.

5. أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر (851هـ): **طبقات الشافعية** بيروت: عالم الكتب. 1407هـ.

6. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (430هـ) **معرفة الصحابة** الرياض: دار الوطن، ط1 1419هـ - 1998م.

7. البستي، محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي أبو حاتم (354هـ) **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، ط1 حلب: دار الوعي، 1396هـ

8. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله (748هـ) **سير أعلام النبلاء** ط9 بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413هـ.

9. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (1396هـ) **الأعلام** ط 15 دار العلم للملايين، 2002م

10. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي(852هـ) **الإصابة في تمييز الصحابة** ط1 بيروت: دار الفكر، 1421هـ - 2001م.

11. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي(852هـ) **تقريب التهذيب** ط1 بيروت: مؤسسة الرسالة، 1416هـ -1996م.

12. المزّي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (742هـ) **تهذيب الكمال** ط1 بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ - 1980م.

كتب التاريخ:

1. الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (852هـ) **المستطرف في كل فن مستظرف** ط2 بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ 1986م.

2. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (597هـ) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ط1 بيروت: دار صادر، 1358هـ.

3. ابن خلكان، شم الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، أبو العباس، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لبنان: دار الثقافة.

4. ابن عساكر، تقي الدين علي بن الحسن أبو القاسم (571هـ) **تاريخ مدينة دمشق** دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1982م.

5. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء(774هـ)، **قصص الأنبياء**، ط1 المنصورة: مكتبة الإيمان.

6. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن مهران أبو نعيم (430هـ) **تاريخ أصبهان** ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ - 1990م.

7. الحموي، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله (626هـ) **معجم البلدان**، بيروت: دار الفكر.

8. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (310هـ) **تاريخ الأمم والملوك** عمان: بيت الأفكار الدولية، 2004م.

9. المقدسي، مطهر بن طاهر (355هـ) **البدء والتأريخ**.

10. مهران، محمد بيومي، **تاريخ العرب القديم**، الإسكندرية: دار المعرفة،2000م.

كتب الفقه وأصوله:

1. البعلي، محمد بن أبي الفتح الحنبلي أبو عبد الله (709هـ)، **المطلع على أبواب الفقه** بيروت: المكتب الإسلامي، 1401هـ 1981 م.

2. حكمي، حافظ بن أحمد، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول** ط1 الدمام: دار ابن القيم 1410هـ - 1990م.

كتب الشعر:

1. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (769هـ) **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ط1 بيروت: دار الفكر، 1414هـ - 1994م.

2. العقيلي، بشار بن برد أبو معاذ (167هـ) **ديوان بشار بن برد** ط1 الرياض: الريّس للكتب، 2008م.

كتب علوم القرآن:

1. ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن حمدان أبو عبد الله (370هـ) **مختصر في شواذ القرآن** دار الهجرة.

2. دعاس، قاسم حميدان، **إعراب القرآن الكريم** دمشق: دار المنير، دار الفارابى، 1425هـ.

كتب الفهارس:

1. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله الرومي الحنفي القسطنطيني (1076هـ): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ.

كتب سماوية غير القرآن الكريم:

1. الصوري، الكاهن إسحاق أبو الحسن السامري، **التوراة السامرية** ط1 القاهرة: دار الأنصار، 1398هـ - 1978م، ترجمها من العبرية إلى العربية الكاهن أبو الحسن السامري في مدينة نابلس.

المواقع الإلكترونية:

1. الموسوعة العربية العالمية: **http://www.mawsoah.net**
2. موقع ابن اعثيمين: **www.ibnothaimeen.com**
3. موقع إسلام أون لاين: **http://www.islamonline.net**
4. موقع الحكواتي: **www.al-hakawati.net**
5. موقع منتديات صوت القرآن الحكيم quran.maktoob.com/vb/quran
6. موقع الفوزان: **www.alfawzan.ws/**
7. موقع المستبصرون: **www.14masom.com/mostabsiron/**
8. موقع المنبر: **ww.alminbar.net/alkhutab/khutbaa.asp**
9. موقع مدرسة أحمد شلبي: **ahmedshalbyschool.110mb.com**

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

The Wisdom Taken From Ibrahim’s Prophecy (pbh)

Prepared by

Nujood F.A. Suradi

Supervised by

Dr. Khadr Sawandak

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Religion, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2010

The Wisdom Taken From Ibrahim's Prophecy (pbh)

Prepared by Student

Nujood F.A. Suradi

Supervised by

Dr. Khadr Sawandak

Abstract

Mind is too limited and incapable to figure out the wisdom and the moral that controlled the words and the deeds of determining messenger. These deeds which made him deserve God's love, and Creed, Interpretation, Hadeeth, and history scientists' focus. Never the less, out of his life (P.B.U.H) we can abstract lessons that make each teacher and educator interested.

First: History scientists had many opinions concerning the name of Ibrahim's father (P.B.U.H), they also differed about Ibrahim's date and place of birth, and the details of his travels and emigrations, but this difference doesn't matter in Islam because there is not big knowledge depends on it, even though Allah didn't mention it; because the wisdom of Quran stories is to find out lessons.

Second: Ibrahim's life (P.B.U.H) was completely full of great plagues, in which he appeared a lot of patience, confidence and happiness with the act of Allah, without grief or hesitation.

Third: Ibrahim (P.B.U.H) used all of the possible methods in delivering his messege, such as individual and collective confrontation, proving his messege by evidence, discussion and pun.

Forth: Ibrahim (P.B.U.H) had changed denier by his tongue and by hands through breaking the idols, and since his faith was never weak, he never changed denier by his heart.

Fifth: Ibrahim (P.B.U.H) had built Al-Aqsa Masged after forty years of building Al-Ka'aba –Muslim's praying victor- which was chosen for that after Al-Aqsa Masged had been the praying victor for many years.

Sixth: Ibrahim (the father of prophets) (P.B.U.H) and Mohammad (the last of them) (P.B.U.H) were similar in mien, acts, pray, Allah and people's love and the rank in this life and the other one.